

تاريخ التّعليم في منطقة شندي في الفترة ١٩٠٠ – ١٩٦٩ م

بحث مُقدّم إلى جامعة شندي لنيل درجة دكتوراة
الفلسفة في التاريخ

إعداد الطالب
ناصر محمد عثمان عبد الرحمن

بكالوريوس الآداب في التاريخ مرتبة الشرف الثانية القسم الأول - جامعة الخرطوم ١٩٩٦ م.
ماجستير الآداب في تاريخ السودان الحديث - جامعة شندي ٢٠٠٢ م.

إشراف الدكتور
محمد سعد محمد سالم
قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الخرطوم

مايو ٢٠١٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ

لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا

الصَّابِرُونَ﴾

سورة القصص:

الآية (٨٠)

شكر و عرفان

الحمد لله حمداً لا يبلى جديدة، ولا يحصى عديدة، ولا يبلغ حدوده، والصلاة والسلام على رسول الهدى والإنسانية، سيدنا محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، وعلى صحبه وآل بيته الطاهرين. وبعد

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إن شئت سهلاً. اللهم لك عظيم شكري وجزيل ثنائي على نعمك التي لا تحصى ولا تُعد، والشكر من بعد أخص به معالي الأستاذ الدكتور يحيى فضل الله مختار مدير جامعة شندي، الذي أحاط هذا البحث برعايته واهتمامه، وظلّ متابعاً لمراحل انجازه موجهاً ومحرصاً على تجويده و سرعة انجازه.

كذلك أتقدم بخالص الشكر لمعالي الدكتور محمد سعد محمد سالم، الذي شرفني بإشرافه على هذا البحث وقدم لي من خزائن علمه وكنوز معرفته ما لا يُقدَّر بثمن، و كان لمتابعته اللصيقة وحرصه المزيّن بحسن الخلق ورحابة الصدر أكبر دافع لي لإنجازه.

والشكر والتقدير كذلك أخص به جامعة شندي، وكل من الأخوة: قسم التاريخ كلية الآداب جامعة شندي، دار الوثائق القومية بالخرطوم، مكتبة السودان جامعة الخرطوم، مركز أحمد إدريس الأرباب للتطوير التربوي جامعة شندي، المركز القومي لتدريب قيادات تعليم الكبار بشندي، مكتب التعليم بمحلية شندي، ولكل الذين أجريت معهم مقابلات من الذين سترد قائمة بأسمائهم ضمن مصادر هذا البحث، وأخص منهم العم محمد البشير محمد عثمان، والعم بشير جميل، والشيخ عثمان الحفيان، والأستاذ عباس حسين.

ويمتد شكري وتقديري أيضا لكل من الأخوة الدكتور بكري عمر رحمة و
الدكتور الشيخ سالم القراي والدكتور إيهاب محمد عثمان فقيري والأستاذ عوض
عباس والأخت أيلي حسن محجوب.

وأخيراً أتقدم بشكري الجزيل لزوجتي و أبنائي على صبرهم و دعمهم
وتشجيعهم.وقبل أن يكف قلبي عن الجريان أتضرع للمولى عز وجل أن يتغمّد
برحمته الواسعة شقيقي المرحوم علي محمد عثمان الذي اختاره إلى جواره قبيل
انتهاء هذا العمل، وقد كان - رحمة الله - أكثر شغفاً مني في أن يبلغ غايته. اللهم
أرحمه واغفر له مغفرةً عزماً لا تغادر ذنباً، ولا تدع كرباً يا أرحم الراحمين، اللهم
أعنه على القبر وغمته وعلى الميزان وخفته، وعلى الصراط وزلته، وعلى يوم
القيامة وروعه.

(اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي، وإن لم تقبل تعبي ونصبي
لا تحرمني اجر المصاب علي مصيبيته)

والحمد لله رب العالمين

المُستخلص

يتناول هذا البحث تاريخ التعليم في منطقة شندي في الفترة من العام ١٩٠٠م وحتى العام ١٩٦٩م، ويقدم صورة عن التعليم في المنطقة عبر تتبع مساره وتطوره في مستوياته المختلفة. وتتجلى أهميه البحث في كونه أول دراسة مُستقلة تتناول تاريخ التعليم في منطقة شندي وتؤرخ له .

يهدف البحث إلى تقْيِي تاريخ التعليم في منطقة شندي، وإلى تحديد وتصنيف مراكزه ودورها في نشره في المنطقة إلى جانب توضيح السمات العامة لعملية انتشاره، وإبراز دور التعليم الديني في ملء الفراغ الناجم عن الانتشار البطيء لمؤسسات التعليم النظامي، وإلى تبين تفاعل المجتمع مع التعليم ومؤسساته، وتحديد القدر الذي نالته المنطقة من مؤسسات تعليمية مُقارنة ببقية أجزاء المديرية الشمالية.

بُنيت الدراسة على المنهج التاريخي وقُسمت إلى فصول رُوعي في ترتيبها التسلسل التاريخي للدراسة، والالتزام باستخدام الأسلوب الوصفي التحليلي في الكتابة والتقْيِد بالأطر الزمانية والمكانية.

اعتمد البحث في وسائله على مجموعة من الوثائق غير المنشورة والمحفوظة بدار الوثائق القومية بالخرطوم، ومجموعة من الوثائق والمخطوطات المنشورة كطبقات ود ضيف الله ومخطوطة كاتب الشونة، ومجموعة من التقارير المصلحيه وبعض من منشورات الإمام المهدي، و المراجع التي تناولت موضوع التعليم في السودان، و بعض الدوريات والرسائل الجامعية، والمُقابلات الشخصية .

انتهى البحث إلى جملة من النتائج كان أهمها:

أولاً: تحديد الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها المراكز العلمية في منطقة شندي.

ثانياً: توضيح مدى مساهمة المراكز العلمية في منطقة شندي في الحركة العلمية التي انتظمت السودان في القرن السابع عشر الميلادي .

ثالثاً: تبين مدى ارتباط انتشار التعليم الديني في منطقة شندي بانتشار الإسلام فيها.

رابعاً: تحديد بداية دخول التعليم النظامي إلى منطقة شندي في مطلع العقد الثاني من القرن العشرين.

خامساً: الكشف عن تمركز التعليم النظامي في منطقة شندي منذ دخوله إليها وحتى العام ١٩٣٧م فقط في مدينة شندي .

سادساً: إبراز الدور الذي لعبته منطقة شندي في ميدان تدريب المعلمين وتعليم الكبار على مستوى القطر.

سابعاً: توضيح مساهمة المجتمع في منطقة شندي في نشر التعليم.

ثامناً: تحديد فترة الانتشار الكثيف للمؤسسات التعليمية في منطقة شندي واكتمال حلقات السلم التعليمي فيها.

Abstract

This study treats the history of education in Shendi area in the period 1900—1969. It throws light on the spreading and developing of the different levels of education in the reaches of Shendi in the aforesaid time. It is a pioneering study in treating independently the history of education in Shendi area.

The study aimed at tracing the history of education in Shendi area, specifying and classifying its centres and their roles, highlighting the general features of its spreading, displaying the role of religious education in filling the gap made by the slow spreading of formal education, showing the interaction between the community and the educational institutions and estimating the share of the area in education relative to all the Northern Province.

The study has adopted the historical methodology and chronologically chaptered. It also used the descriptive and analytical approach and regarding the spatial and temporal limits.

The sources of the study are: unpublished manuscripts in the National Manuscripts House in Khartoum, published documents and manuscripts like "Tabagat Wad Daif Allah", "Shuna Author Manuscript", Departmental Reports, Emam Mahdi Leaflets, periodicals, theses and interviews.

Of the important findings of the study:

Firstly, determining the historical epoch of the appearance of the educational centres in Shendi area.

Secondly, illustrating the contribution of Shendi area educational centres in the educational movement in all Sudan in the 17th century.

Thirdly, showing the association between the spread of the religious education and the spread of Islam in Shendi area.

Fourthly, it was found that the second decade of the 20th century had witnessed the beginning of formal education in Shendi area.

Fifthly, it was discovered that formal education up to 1937 was centralized in Shendi town.

Sixthly, displaying the role played by Shendi area in training teachers and educating adults all over the country.

Seventhly, illustrating the contribution of the community of Shendi area in spreading education.

Eighthly, specifying the time of the intensive spreading of the educational institutions and the completion of the cycles of education ladder in Shendi area.

المحتويات

	الإهداء
و	المستخلص باللغة العربية
ح	المستخلص باللغة الانجليزية
ي	المحتويات
ل	فهرس الجداول والإشكال
١	المقدمة
	الفصل الأول
	الخلفية الجغرافية والتاريخية لمنطقة شندي
٩	١-١ جغرافية منطقة شندي
١٢	٢-١ السكان في منطقة شندي
٢٠	٣-١ خلفية تاريخية
	الفصل الثاني
	تاريخ التعليم الديني في منطقة شندي
٣٨	١-٢ ملامح تاريخ وتطور التعليم الديني في السودان في الفترة من ١٥٠٥-١٩٠٠
٤٧	٢-٢ التعليم الديني في منطقة شندي
٦٨	٣-٢ التعليم الديني في منطقة شندي في القرن العشرين
	الفصل الثالث
	التعليم النظامي في منطقة شندي ١٩٠٠-١٩٥٥
٨٢	١-٣ ملامح تطور التعليم في السودان في الفترة ١٩٥٥-١٩٠٠
٩١	٢-٣ التعليم النظامي في منطقة شندي ١٩٣٧-١٩٠٠
١٠٢	٣-٣ التعليم النظامي في منطقة شندي ١٩٣٨-١٩٤٧

١٠٦	٤-٣ التعليم النظامي في منطقة شندي ١٩٤٧-١٩٥٥.....
	الفصل الرابع
	التعليم النظامي في منطقة شندي ١٩٥٦-١٩٦٩.....
١١٢	١-٤ ملامح تطور التعليم في السودان في الفترة ١٩٥٦-١٩٦٩.....
١٢١	٢-٤ التعليم الأولي في منطقة شندي في الفترة من ١٩٥٦-١٩٦٩.....
١٣٦	٣-٤ التعليم الأولي في منطقة شندي ١٩٦٥-١٩٦٩.....
١٤٠	٤-٤ التعليم الأوسط في منطقة شندي.....
١٤٩	٥-٤ التعليم الثانوي.....
	الفصل الخامس
	المعاهد والمراكز المتخصصة في منطقة شندي.....
١٦٦	١-٥ ملامح تاريخ معاهد تدريب المعلمين ومركز التنمية الاجتماعية في السودان.....
١٦٨	٢-٥ معهد التربية شندي.....
١٩٩	٥-٢-١-٦ مدرسة الاستقلال الأولية.....
٢٠٠	٣-٥ مركز التنمية الاجتماعية شندي.....
٢٠٥	٥-٣-١ رياض الأطفال بمدينة شندي.....
٢١٥	الخاتمة
٢١٩	النتائج والتوصيات
٢٢١	الملاحق
٢٢٥	قائمة المصادر والمراجع

فهرس الجداول والأشكال

رقم الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول	م
	الخلاوى النظامية بمنطقة شندي	١	١
	المؤسسات التعليمية بمنطقة شندي ومراحل تطورها في الفترة من العام ١٩٥٥م وحتى العام ١٩٥٥م.	٢	٢
	مدارس البنين الأولية والصغرى بمنطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م	٣	٣
	مدارس البنات الأولية بمنطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م	٤	٤
	المدارس الصغرى بمنطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م	٥	٥
	مدارس البنات الأولية والصغرى بمنطقة شندي حتى عام ١٩٦٢م	٦	٦
	مدارس الإنشاء في منطقة شندي في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م	٧	٧
	مدارس الرفع بمنطقة شندي في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م	٨	٨
	نسب تمرکز المدارس الثانوية في المديرية الشمالية خلال الفترة من العام ١٩٥٤م وحتى العام ١٩٦٨م	٩	٩
	تعداد وتصنيف طالبات مدرسة شندي الثانوية بنات من ناحية السكن والفرق في الفترة من العام ١٩٦٣م وحتى العام ١٩٦٨م.	١٠	١٠
	مقارنة بين أعداد طالبات مدرسة شندي الثانوية وبربر الثانوية بين العامين ١٩٦٣ و١٩٦٨م.	١١	١١
	الأساتذة بمدرسة شندي الثانوية بنات في الفترة من العام ١٩٦٣ وحتى العام ١٩٦٨م.	١٢	١٢
	طلاب مدرسة شندي الثانوية في الفترة من ١٩٦٤ وحتى ١٩٦٨م.	١٣	١٣
	عدد طلاب مدرسة شندي الثانوية بنين مقارنة مع أعداد الطلاب بالمدارس الثانوية بالمديرية الشمالية في الفترة من العام ١٩٦٤ وحتى العام ١٩٦٨م.	١٤	١٤
	أعداد طلاب وطالبات مدرستي شندي الثانوية في الفترة من العام ١٩٦٢ وحتى العام ١٩٦٨م.	١٥	١٥
	أعداد الأساتذة بمدرسة شندي الثانوية بنين في الفترة من العام ١٩٦٤ وحتى العام ١٩٦٨م	١٦	١٦
	عمداء معهد التربية بشندي في الفترة من العام ١٩٥٢ وحتى العام ١٩٩٤م.	١٧	١٧
	خريجو معهد تدريب المعلمين شندي نظام العامين	١٨	١٨
	خريجو معهد التربية شندي نظام السنوات الأربعة:	١٩	١٩
	خريجو معهد التربية شندي نظام العام	٢٠	٢٠
	مراقبو مركز التنمية الاجتماعية في الفترة من العام ١٩٦٠ والعام ١٩٧١	٢١	٢١
	الدورات الأساسية بمركز التنمية في الفترة من العام ١٩٦٠ وحتى العام ١٩٧١	٢٢	٢٢
	أعداد المنتسبين للدورات الأساسية من كل مديرية من مديريات السودان التسعة	٢٣	٢٣

	وبعض المصالح الحكومية		
	دورات مرشدات رياض الأطفال بمركز التنمية شندي في الفترة حتى العام ١٩٧١م	٢٤	٢٤
	عدد المشاركات في دورات رياض الأطفال من كل مديرية من مديريات السودان المختلفة	٢٥	٢٥

مُقَدِّمَةٌ

تعرّض السودان وادي النيل خلال قرون عديدة سبقت وأعقبت البعثة النبوية في القرن السابع الميلادي لموجات مُتتالية من الهجرات العربية الوافدة من شبه الجزيرة العربية تباينت في أحجامها وبواعثها والسُّبل التي سلكتها في طريقها إلى مهاجرها في السودان قبل الإسلام وبعده. في فترات سابقة لظهور الإسلام وفدت مجموعات صغيرة من المهاجرين العرب إلى السودان عن طريق البحر الأحمر بغرض التجارة والتعدين والرعي. آثرت أعداد قليلة منها الاستقرار في السودان دون أن تترك أثراً كبيراً على التركيبة العرقية لسكانه آنذاك .

بعد ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية وازدياد رقعة انتشاره حتى مشارف حدود السودان مع مصر ازدادت وتيرة الهجرات العربية إلى السودان بغرض التجارة والتعدين والرعي، أو بسبب الهروب من ضغط الحكومات القائمة في مصر آنذاك، نتيجة للتطورات السياسيّة التي لحقت بالدولة الإسلاميّة والمتمثلة في تغوُّل العناصر الأعجمية على سُلطة العرب في مركز الدولة وأطرافها، وتبعاً لذلك فقد ازدادت أعداد المهاجرين العرب إلى السودان وتعاضمت أعداد الذين انصهروا منهم في المجتمعات المحليّة في السودان، وبرز تأثيرهم على التركيبة العرقية لسكان السودان وعلى مجمل الأوضاع السياسيّة والدينيّة في البلاد .

استمرار هذه الهجرات العربيّة المتتالية نحو السودان واستقرارها فيه كان لا بد أن يُؤدي في نهاية المطاف إلى حدوث أمرين:
الأول: انتشار الإسلام والثقافة العربية فيه.

الثاني: ظهور المجموعات القبليّة السودانيّة ذات الطابع العربي والتي استطاعت فيما بعد مُتحدة مع بعضها البعض، أو مع مجموعات محليّة أُخرى أقلَّ عُروبةً منها تدين بالإسلام أن تكوّن كياناتها السياسيّة المُستقلة والتي عُرفت فيما بعد بالممالك الإسلاميّة في السودان في القرنين السادس عشر والسابع عشر من الميلاد، وارتبط قيامها في السودان بانتشار الإسلام والثقافة العربيّة.

ارتبط انتشار الإسلام والثقافة العربية في السودان بمرحلتين أساسيتين:
المرحلة الأولى: وهي المرحلة التي شهدت بدايات انتشار الإسلام على يد الرعيّل الأول من المهاجرين العرب من التجار والرُّعاة بأبسط الوسائل.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة نشر العقيدة الإسلامية بصورة أعمق وأشمل في الحقبة التي تلت قيام الممالك الإسلامية في السودان، وتولى خلالها مجموعة من السودانيين الذين تشرّبوا بالعلوم الإسلامية حمل لواء نشر الثقافة الإسلامية، ساعدهم في ذلك مجموعة من العلماء الوافدين من الحجاز ومصر وبلاد المغرب، والذين كان مجيئهم للسودان ثمرةً للسياسات التي انتهجها سلاطين تلك الممالك لنشر الثقافة الإسلامية والعربية في ممالكهم. وقد نجحت تلك السياسات في زيادة وتيرة انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في السودان، عن طريق انتشار المراكز العلمية التي قامت عليها لاحقاً المؤسسات والمراكز التعليمية في السودان، والتي ظلّت تمارس دورها في نشر العلوم الدينية حتى يومنا هذا، جنباً إلى جنب مع ما استجد من نظم تعليمية انتظمت البلاد في حقبة لاحقة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

ارتبط انتشار التعليم النظامي الحديث في السودان بالحكم الثنائي وسياسته التعليمية التي بُنيت على الفكر الاستعماري البريطاني والواقع الاقتصادي للبلاد، والتي ألفت بظلالها على التعليم وانتشاره في السودان قبل وبعد الاستقلال، فأصبح أسيراً للأهداف التي وُضعت له في مطلع القرن العشرين على الرغم من المحاولات العديدة لإصلاحه في الحكم الوطني، والانتقال بأهدافه من خدمة الجهاز الإداري للدولة، إلى اعتباره واجباً للدولة تجاه مواطنيها، وضرورة من ضرورات العصر.

هذه السياسة بالإضافة إلى الفتور الذي قابل به المجتمع السوداني التعليم في بدايته حدّت من الانتشار المتوازن والسريع للتعليم في البلاد. وهذه الدراسة تبحث في تأثير هذه السياسات الاستعماريّة ونظرة المجتمع المحليّ للتعليم في منطقة شندي على انتشار التعليم في الحقبة الاستعمارية - دون إغفال الإمكانيات المادية والفنيّة لمصلحة المعارف آنذاك - والتطورات التي لحقت بهذه العملية في حقبة الحكم الوطني.

أهميّة الدراسة:

ظلّت الجوانب المتعلقة بالنظم السياسية وتاريخ الدُول تجد اهتماماً عظيماً من قبل الباحثين بسبب أهميتها. غير أن هنالك جوانب أخرى في تاريخ الدول

والشعوب ذات صلات وثيقة ببنائها الحضاري والسياسي والاجتماعي ظلَّت رغم أهميتها بعيدة عن اهتمامات الباحثين، وذلك لأسباب ربما تتعلق باتجاهات وميول الباحثين، أو التأثير الذي خلفه الرُّواد من المؤرخين عليهم. ومن هنا تأتي أهمية الموضوع حيث أن التعليم ومخرجاته وإسهاماته في تقدُّم الشعوب وبناء نُظُمها السياسيَّة وتشديد حضاراتها يُعدُّ موضوعاً جديراً بالبحث والتقصِّي خاصةً في منطقة شندي التي تستند على خلفيَّة حضارية راقية في الحقبة المروية وخلفيَّة ثقافية ودينية مُتميزة في العصر الإسلامي .

ويمكن إجمال الأهمية التي تنطوي عليها هذه الدراسة في الآتي:

(١) أول دراسة تاريخية مُستقلة تتناول قضيَّة التعليم وانتشاره في منطقة شندي.

(٢) تُعدُّ دراسة مُكمِّلة لتاريخ منطقة شندي .

(٣) فتح الباب أمام الباحثين لإجراء دراسات أعمق لموضوعات مُتصلة بالتعليم وانتشاره في المنطقة أو بموضوعات ذات صلة مُباشرة بالدراسة ربما تكون الدراسة قد مسَّتها مساً خفيفاً.

(٤) تُبيِّن تفاعل المجتمعات المحليَّة مع قضايا التعليم وانتشاره في منطقة الدراسة.

(٥) تُبيِّن دور المنطقة ومجتمعاتها في مجال التعليم، وتُبرز الدور الذي لعبته في نشر التعليم في بقاع السودان المختلفة عبر احتضانها لمعهد إعداد المعلمين بشندي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة للبحث والتقصِّي في تاريخ التعليم في منطقة شندي، وذلك عن طريق تحديد مراكزه ومؤسساته - المُنتشرة في المنطقة - قديمها وحديثها ومعرفة الكيفية التي ظلَّت خلالها تلك المؤسسات تضطلع برسالتها في نشر المعرفة، وممارسة دورها في قيادة وتوجيه المجتمع، والدور الذي ظلَّ يلعبه العلماء في تلك المجتمعات. وهي من صنف الدراسات التي لم تجد حظاً كبيراً من عناية الباحثين الأمر الذي جعل منها محاولة لفتح الباب أمام الباحثين للقيام

بدراسات أعمق وأشمل حول التعليم في المنطقة ودوره في النهوض بالمجتمع المحلي. ويمكن إجمال أهداف هذه الدراسة في الآتي:

- ١/تتبع انتشار وتطور التعليم في مراحلهُ المُختلفة في منطقة الدراسة.
- ٢/تحديد وتصنيف المراكز التعليمية في منطقة شندي وإبراز الدور الذي لعبته تلك المراكز في نشر التعليم ورفد المجتمع بمخرجاته.
- ٣/توضيح الدور الذي لعبته مراكز التعليم الديني في المنطقة أمام الانتشار البطيء لمؤسسات التعليم الحديث بالمنطقة وازدياد رغبة المواطنين في إلحاق أبنائهم بتلك المؤسسات.

٤/تقويم الأسس والمعايير التي تمّ بموجبها التوزيع الجغرافي للمؤسسات التعليمية الحديثة في منطقة شندي، ومدى عدالتها مقارنةً بأعداد السُكان ومحاولة تحديد القدر الذي نالته المنطقة من الاهتمام الحكومي مقارنةً ببقية أجزاء المديرية الشمالية .

٥/البحث والتقصّي في كيفية تفاعل المجتمع المحلي لمنطقة الدراسة مع التعليم ومؤسساته والمعوقات التي ربما تكون قد واجهته في المنطقة.
منهج الدراسة:

هذه الدراسة تستند على المنهج التاريخي مع محاولة الاستقصاء والاستقراء والتحليل وفق منهجية تقوم على تقسيم البحث إلى فصول يُراعى في ترتيبها التسلسل التاريخي للموضوع، لمحاولة فهم وقياس تطوّر مراكز التعليم ومؤسساته التي انتشرت في منطقة شندي، ومعرفة مدى تأثرها بالمتغيرات السياسية التي انتظمت البلاد مع استخدام الأسلوب الوصفي والتحليلي في الكتابة والتقيّد بالأطر الزمانية والمكانية للموضوع .
مصادر الدراسة:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع - المُدونة تفصيلاً في قائمة المراجع والمصادر - كان أهمها مجموعات الوثائق الغير منشورة والمحفوظة بدار الوثائق القومية بالخرطوم وملفات وزارة التربية والتعليم وملفات المديرية الشمالية والتقارير المصلحيه والمتنوعات، وقد حوت هذه المجموعات معلومات قيّمة

عن موضوع الدراسة. كذلك اعتمدت الدراسة على مجموعة من الوثائق والمخطوطات المنشورة كان أهمها كتاب الطبقات لمحمد ود ضيف الله الذي قام بتحقيقه ونشره الدكتور يوسف فضل حسن ومخطوطة كاتب الشونة التي قام بتحقيقها ونشرها الشاطر بصيلي عبد الجليل، ومنشورات الإمام المهدي التي قام بتحقيقها ونشرها الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم.

كذلك اعتمد البحث على مجموعة من المراجع القيّمة التي تناولت موضوع التعليم في السودان كان أهمها كتاب تطوّر التعليم في السودان لمحمد عمر بشير، وتاريخ التعليم الديني في السودان ليحيى محمد إبراهيم، وقضايا التعليم الأهلي في السودان لسعاد عبد العزيز أحمد، وتاريخ السياسة والتعليم لناصر السيد، إلى جانب بعض المراجع والدوريات والرسائل الجامعية الغير منشورة، والمراجع العربية والأجنبية والمُعَرَّبَة، وبعض المُقابلات الشخصية التي أثرت البحث بالكثير من التفاصيل والحقائق عن موضوع الدراسة.

الحدود المكانية للدراسة:

الحدود المكانية للدراسة هي منطقة شندي بولاية نهر النيل، والمُمتدة جُغرافياً من قرية جبل أم علي شمالاً وحتى جندل السبلوقه أو المسيكتاب جنوب جنوباً على الضفة الشرقية لنهر النيل، وهي جزء مما كان يُعرف تاريخياً بمركز شندي الذي كان يضم أجزاء واسعة من المنطقة الجنوبية للمديرية الشمالية سابقاً على جانبي النيل من جنوب الدامر شمالاً وحتى جندل السبلوقه جنوباً، ومنطقة الدراسة بوصفها الحالي تمثل الحدود الجغرافيّة لمحلية شندي الحالية، بعد أن تمّ تقسيم مركز شندي السابق إلى محليتي شندي والمتمة، وإضافة الأجزاء الشمالية منه إلى الدامر.

الحدود الزمانية للدراسة:

يتناول البحث تاريخ التعليم في منطقة شندي خلال فترتي الحكم الثنائي للسودان والحكم الوطني بعد الاستقلال إلى ما قبل قيام الحكم العسكري الثاني، وهي فترة تمتد تاريخياً ما بين العام ١٩٠٠م وحتى ١٩٦٩م .

الحدود الموضوعية للدراسة:

أما الحدود الموضوعية للدراسة فتختصُ بدراسة تاريخ تطوُّر التعليم في منطقة شندي في الفترة من العام ١٩٠٠م وحتى العام ١٩٦٩م. مكانة الدراسة من الدراسات السابقة:

حُظي التعليم في السودان باهتمام وعناية كثير من الباحثين الذين تناولوا الموضوع بالبحث من جوانب شتى، وقد أُجريت العديد من الدراسات حول الموضوع تحت مُسميات مختلفة، ولعل من أهم هذه الدراسات التي تناولت موضوع التعليم في السودان:

١- دراسة محمد عمر بشير، وهي رسالة ماجستير منشورة قُدمت لجامعة أكسفورد في عام ١٩٦٦م، وقد تناولت الدراسة انتشار التعليم في السودان في الفترة من ١٨٩٨م وحتى ١٩٥٦م، وقُدِّمت صورة مُتكاملة مُدعَّمة بالأرقام والإحصاءات عن التعليم وتطوُّره في تلك الفترة، كما ربطت الدراسة بين التعليم والاقتصاد والمجتمع.

٢- دراسة يحيى محمد إبراهيم بعنوان تاريخ التعليم الديني في السودان، وهي رسالة ماجستير منشورة قُدمت لكلية الآداب جامعة القاهرة فرع الخرطوم في عام ١٩٧٨م، وقد حَوَت الدراسة سرداً مُفصلاً عن التعليم الديني في السودان ومؤسساته وتياراته ومراكزه المنتشرة في أنحاء السودان منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، وحتى مُنتصف القرن العشرين .

٣- دراسة سعاد عبد العزيز أحمد بعنوان تطوُّر التعليم الأهلي في شمال السودان ١٨٩٨ - ١٩٥٦م، وهي رسالة ماجستير منشورة قُدمت لكلية الآداب جامعة الخرطوم في عام ١٩٧٩م، وقد تناولت الدراسة موضوع التعليم الأهلي ومؤسساته، ومُساهماتها في نشر التعليم في السودان والدُّور الذي لعبه المجتمع في هذا الجانب.

والملاحظ هنا أن هذه الدراسات قد تناولت موضوع التعليم في السودان بصورة عامة، بينما تناولت هذه الدراسة موضوع التعليم في رقعة جغرافية محددة وهي منطقة شندي الممتدة من قرية أم علي شمالاً إلى المسيكتاب جنوب جنوباً،

ولعلَّ أهمَّ ما يميِّز هذه الدراسة بالإضافة لكونها تُناقش قضيةَ التعليم في منطقة شندي هو أن مداها الزمني قد امتد إلى فترة ما بعد الاستقلال وقيام الحُكم الوطني في السودان.
خطة الدراسة:

تقع هذه الدراسة في خمسة فصول تسبقها مُقدمة وتليها خاتمة، يليها ثبت المصادر والمراجع. والفصل الأول عبارة عن خلفيّة جُغرافية وتاريخية مختصرة لمنطقة شندي تتناول بعض السمات والخصائص الطبيعية التي تميّزت بها المنطقة بالإضافة إلى عرض موجز لمجموعات السكان فيها ولتاريخها الحضاري والسياسي حتى مطلع القرن العشرين.

في الفصل الثاني تطرّق البحث إلى موضوع التعليم الديني في منطقة شندي، حيث تناول نشأة هذا النمط من التعليم في المنطقة ومراكزه والحركة العلمية والفكرية التي انتظمت فيها، والصلات التي قامت بين هذه المراكز والمراكز العلمية المجاورة والتأثيرات المتبادلة بينهما. بالإضافة إلى تبيان الدور الذي لعبته هذه المراكز في نشر التعليم الديني في المنطقة وبقية أنحاء القطر.

أما الفصل الثالث فقد حُصص لدراسة انتشار مؤسسات التعليم النظامي في مراحلها المختلفة في منطقة شندي من قرية جبل أم علي شمالاً و حتى المسيكتاب جنوب جنوباً، في الفترة من العام ١٩٠٠م وحتى العام ١٩٥٦م، وتحديد ما حُظيت به شندي كمدينة وحيدة في المنطقة من مؤسسات تعليمية مُقارنة ببقية أجزاء المنطقة، و ما حُظيت به كذلك المنطقة عامة من مؤسسات تعليمية مُقارنة ببقية أجزاء المديرية الشمالية.

ويُناقش الفصل الرابع قضيةَ توسُّع التعليم النظامي وتطوره في منطقة شندي، في الفترة من العام ١٩٥٦م وحتى العام ١٩٦٨م وهي الفترة التي شهدت بدايات مشروعات التوسع التعليمي وقيام مدارس البنات الوسطى ومؤسسات التعليم الثانوي في المنطقة.

الفصل الخامس حُصص لدراسة وإبراز الدّور الذي لعبته المعاهد والمراكز المُتخصصة في منطقة شندي ممثلة في معهد إعداد المعلمين شندي ومركز التنمية

الاجتماعية في مجالات التوسع التعليمي وتنمية المجتمع وتعليم الكبار في جميع أنحاء السودان. أما الخاتمة فقد حوت مُلخصاً شاملاً لما ورد في متن البحث بالإضافة إلى أهم النتائج التي توصل إليها.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

الخلفية الجغرافية و التاريخية لمنطقة شندي

١ - ١ جغرافية منطقة شندي:

تشغل منطقة شندي مساحة مُقدرة من جزيرة مروى التي تقع بين نهري النيل و عطبرة* وكانت في الماضي مسرحاً لحضارات عديدة تعاقبت عليها، مما هيا لها أن تلعب دوراً مهماً في تاريخ السودان القديم والوسيط. تمثل في احتضانها لعاصمة الدولة المروية في منطقة البجراوية بالقرب من كبوشية والمراكز الحضرية الأخرى للمملكة المروية في أواسط وشرق منطقة شندي في النقعة والمصورات وود بانقا. كذلك شكّلت المنطقة حُضوراً مميزاً في تاريخ السودان الوسيط، فأصبحت تمثل الحد الفاصل بين مملكتي علوة المسيحية والممالك المسيحية في شمال السودان، فيما عُرف تاريخياً ببلاد الأبواب أو مملكة الأبواب يُضاف إلى ذلك، المكانة التجارية المميزة التي تمتعت بها المنطقة

* سُميت هذه المنطقة بجزيرة مروى بسبب قيام مملكة في أراضيها اشتهرت تاريخياً باسم عاصمتها مروى شمال كبوشية.

والشهرة التاريخية الكبرى التي حظيت بها خلال عهد السلطنة الزرقاء والحكم التركي المصري للسودان.

كذلك تمتعت منطقة شندي، وبحكم موقعها الجغرافي المميز في أواسط السودان بأهمية اقتصادية مكنتها من أن تلعب دور الوسيط التجاري بين بلاد السودان ومصر، ووسط وغرب أفريقيا من جهة، وبلاد العرب والهند والحبشة من جهة أخرى، كما تمتعت المنطقة بثروات معدنية وغابية لا بأس بها، مكنت المرويين في السابق من صهر وتعددين الحديد. كما كانت المنطقة من المناطق الرئيسية لإنتاج الملح الذي كان يُستخرج من الأراضي المتاخمة لمدينة شندي. هذه الأهمية السياسية^٢ والاقتصادية التي تأنت للمنطقة أدت لأن تكون قبلة لأعداد مقدرّة من أبناء السودان الذين وفدوا إليها من مناطقهم واستوطنوا فيها، فأصبحت بذلك مُستقرّاً لمختلف أعراق وسحنات أهل السودان.

تقع منطقة شندي في النصف الجنوبي لولاية نهر النيل، في شمال السودان وتحتل مساحة من الأرض تمتد من قرية أم علي شمالاً، وحتى قرية المسيكتاب جنوب جنوباً، على الضفة الشرقية لنهر النيل، ومن الضفة الشرقية لنهر النيل غرباً، وحتى السهول الشرقية المتاخمة لسهل البطانة شرقاً، بما في ذلك قرى النقعة، وتميد حاج الطاهر، وتميد النافعاب. والمنطقة بهذا الوصف تمثل ما اصطلح على تسميته حديثاً بمحلية شندي الواقعة في النصف الجنوبي لولاية نهر النيل على الضفة الشرقية للنهر. كما تمثل جزءاً كبيراً مما اصطلح على تسميته في الماضي بجزيرة مروى. وتحتل المنطقة موقعاً وسطاً بين شمال البلاد وعاصمتها الخرطوم، وتعدُّ هي الأقرب لها من جهة الشمال، و البوابة الشمالية لها. كما تُعدُّ منطقة شندي كذلك من المناطق الواقعة في شمال البلاد والقريبة نسبياً من سواحل البحر الأحمر، حيث لا تبعد بعض أجزاء المنطقة كثيراً عن مناطق شرق السودان، المتاخمة لسهول البطانة والحدود الأريترية. وهذا الموقع المتميز الذي تمتعت به

١- آلان مورهد ، النيل الأزرق. تعريب الدكتور إبراهيم عباس، ط١، بيروت: دار الثقافة، ١٩٩٦م. ص ٢٦٧.

٢- جعفر محمد دياب، تاريخ الإدارة الأهلية في منطقة الجعليين. رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الخرطوم: ١٩٩٨م، ص ٣٠

منطقة شندي هيأ لها في الماضي أن تسيطر على الطُّرق التجارية التي كانت تربط سنار والحبشة جنوباً بمصر شمالاً، وأواسط وغرب أفريقيا ودارفور غرباً، بجزيرة العرب شرقاً .^١

١ - ١ - ١ طبيعة موقع منطقة شندي:

تمتاز منطقة شندي باتساع أراضيها، وامتداد سهلها الفيضي إلى مساحات طويلة بمُحاذاة نهر النيل، الذي يُعدُّ من أهم المعالم التضاريسية في المنطقة حيث يشكّل فيها ظاهرة من أهم ظواهره الطبيعية، وهي انحناءات المجرى بين الخرطوم وأسوان. ويتراوح اتساع مجرى نهر النيل في منطقة شندي بين خمسمائة إلى ألف ياردة، ويمثل أكثر مناطق السطح انخفاضاً في المنطقة، حيث ينحدر السطح فيها من الشرق إلى الغرب، باتجاه السهل الفيضي. ووفقاً للنيل في مُعظم أرجاء منطقة شندي مرتفعتان، ولكن في بعض الأحيان يعلوهما النيل، مما يُشكّل خطراً كبيراً على القرى ومناطق التجمعات السكانية في المنطقة في موسم الفيضان ، وتبعد حافة وادي النيل في بعض المناطق بمنطقة شندي عن جانبي النهر فيتسع الوادي وتصبح له صفة الحوض الذي تغمر بعض أجزائه بالمياه خلال فترة الفيضان، فتكون ما يعرف حالياً بأحواض شندي، وتتمثل هذه الظاهرة الطبيعية بصفة خاصة في منطقة جنوب شندي، وبعض المناطق الواقعة إلى الشمال من مدينة شندي .

إلى الشرق من السهل الفيضي توجد سهول رملية شاسعة تبعد على مسافة ميل ونصف من شاطئ النيل في أغلب الأحوال ما عدا المناطق التي توجد بها الأحواض . وهذه السهول الرملية تمتد نحو الشرق إلى مسافات بعيدة، ولا يخلو تكوينها السطحي من بعض مظاهر التعقيد في بعض الأحيان، وتتجلى هذه

١ - Graw ford .O.G.. The Fong Kingdom of Sinnar, ,Pubished by John .Bellows L T - D1951 P. 58

٢ - نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان. ط١؛ بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٢م. ص ١٤ .

٣- جون لويس بوكهارت، رحلات بوكهارت في بلاد النوبة والسودان. ترجمة فؤاد دندراوس، ط١؛ القاهرة: مطبعة المعرفة، ١٩٥٩م. ص ٢٣٤ .

المظاهر في بعض المرتفعات والجبال التي توجد في المنطقة مثل سلسلة جبال جاري أو قرّي وجبال النقعة وأم علي وتلال البجراوية، بالإضافة إلى بعض الأودية والخيران ومجاري السيول، مثل وادي الطرابيل في الشمال، وخور العوتيب ووادي العروس في الوسط. والتربة في منطقة شندي طينية سوداء في السهل الفيضي تتجدد خصوبتها كل عام بواسطة الطمي وتتغير طبيعة التربة، وتقل خصوبتها كلما ابتعدنا عن النيل، وتزداد نسبة الرمل فيها وتتغير من طينية إلى طينية رملية، حتى تصبح رملية تماماً في بعض المناطق في أقصى شرق منطقة شندي .

يتصف مناخ منطقة شندي بالحرارة والجفاف بسبب وقوعها في المنطقة المدارية التي تتعامد عليها الشمس، فترتفع درجات الحرارة فيها إلى حوالي ست وأربعين درجة مئوية في فصل الصيف الحار. كما تتأثر المنطقة عمومًا بالتغير الذي يطرأ على الضغط الجوي فيها، وبالاختلاف بين حالة الضغط الجوي من فصل إلى آخر، والذي يتسبب في حدوث تغيير طفيف على حركة الرياح واتجاهاتها، وما يحدثه ذلك من تأثير بين فصل تسيطر عليه الرياح الجنوبية الغربية الرطبة التي تتسبب في هطول الأمطار بالمنطقة، وفصل آخر تسود فيه الرياح الشمالية الشرقية الجافة، التي تؤثر على مناخ المنطقة في معظم شهور السنة، باستثناء فصل الخريف الذي يمتد بين شهري يوليو وسبتمبر، حيث تسود الرياح الجنوبية الغربية، التي تتسبب في هطول أمطار بالمنطقة لمدة تسعين يوماً، تقل أو تزيد من سنة إلى أخرى، تبعاً لحركة وتأثيرات هذه الرياح. وفي هذا الفصل تتعرض معظم أنحاء منطقة شندي لتساقط أمطار متوسطها السنوي حوالي مائة وأربعين مليمترًا، تكفي لإنبات العُشب الذي يصلح للرعي، وتصلح للزراعة المطرية في المناطق السهلية، خاصة المناطق الواقعة إلى الشرق من فُرى

١ - صلاح الدين الشامي، السودان دراسة جغرافية. ط١؛ القاهرة: منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٢م. ص ١٧٢-١٧٨.

٢ - نعم شقير، مصدر سابق، ص ٣٧.

٣ - صلاح الدين الشامي، مرجع سابق، ص ١٧٣.

٤ - صلاح الدين الشامي، مرجع سابق، ص ١٧٣.

المسيكتاب وكبوشية وود بانقا. وقد أدى اتصال هطول هذه الأمطار إلى نمو مجموعات من الشجيرات البرية كالسُّنط والسيال والسمر في الأجزاء الشرقية البعيدة عن النيل ، بينما انتشرت غابات المسكيت بالقرب من مراكز التجمعات البشرية المنتشرة على شواطئ النيل. وتعد المناطق السهلية الواقعة إلى الشرق من قرى المسيكتاب وكبوشية والنقعة من أكثر الأماكن في منطقة شندي ملائمة لمزاولة النشاط الرعوي والزراعي ولنمط حياة مجموعات العرب الرُّحل .

١ - ٢ السُّكان في منطقة شندي:

تتكوّن منطقة شندي من مدينة واحدة هي مدينة شندي، ومجموعة من القرى والفُرقان المتناثرة على الضفة الشرقية لنهر النيل، والسهول الشرقية الواقعة إلى الشرق من السهل الفيضي لنهر لنيل، وهذه القُرى والفُرقان تتفاوت في أحجامها وتعداد سكانها، الذين يتشكّل مجموعهم من مجموعة من العناصر المُتباينة عرقياً استوطنت المنطقة وأقامت فيها وارتبط تاريخها بتاريخ المنطقة، الذي يرتبط هو الآخر بالهجرات العربية التي وفدت إلى السودان، وبحركة المجموعات المحليّة من سكان السودان في داخل السودان من منطقة إلى أخرى خلال الحقب التاريخية التي انتظمت السودان عامة، ومنطقة شندي خاصة منذ القرن السادس عشر الميلادي وحتى الربع الأول من القرن العشرين.

على الرغم من أن انتشار وتواجد السكان في منطقة شندي، قد امتد إلى المناطق الشرقيّة الجافة وشبه الصحراوية الواقعة في أقصى شرق المنطقة، حيث توجد مجموعات من السكان الذين احترفوا مهنة الرعي في هذه المناطق، إلا أن مُعظم سُكان منطقة شندي قد انحصر تواجدهم في القرى والفُرقان الواقعة على الضفة الشرقية لنهر النيل على طول امتداد المنطقة، مما يعكس ارتباطاً شديداً لإنسان المنطقة بالمراكز الحضرية التي ساعد النشاط الزراعي في قيامها واستمرارها، إضافة إلى وقوعها على الطريق التجاري الذي يربط شمال المنطقة بجنوبها، الأمر الذي هيا أسباب النمو والازدهار لهذه المراكز الحضرية في المنطقة التي أصبحت تستوعب العدد الأكبر من سكان المنطقة. وقد أدى هذا

التنوع في نشاطات السكان الاقتصادية في منطقة شندي، ما بين ممتهن لحرفة الرعي، وآخر للزراعة والتجارة إلى انقسام السكان في منطقة شندي إلى قسمين أو مجموعتين من السكان هما:

1- المجموعات السكانية المُستقرة (سكان الحضر والقرى).

2- المجموعات السكانية غير المُستقرة (العرب الرُّحل).

أولاً: المجموعات السُّكانية المُستقرة (أهل الحضر والقرى):

وهم من الذين استقروا في المدن والقرى والفرقان بصورة مُستديمة نتيجة لارتباط حياتهم في مناطقهم هذه بالزراعة أو التجارة، وهؤلاء يشكّلون القسم الأكبر من السُّكان في منطقة شندي، وينحصر تواجدهم في المناطق الواقعة على الضفة الشرقية لنهر النيل، وهم مجموعات الجعليين، والعبادة و الشايقية والداقلة والحضور والحسانية.

١ - ٢ - ١ الجعليون:

الجعليون من المجموعات السُّكانية الكُبرى في السودان، والتي تعود أصولها إلى المجموعات العربية التي وفدت للسودان واختلطت بالعناصر المحلية من سُكانه. ويدّعي الجعليون أنهم ينتسبون إلى العباس بن عبد المطلب ﷺ عم الرسول ﷺ، عن طريق جدهم الأكبر إبراهيم جعل، ويستدلون على ذلك ببعض المخطوطات وأوراق النسب التي تشير إلى أنسابهم وهجرة أسلافهم للسودان.

ولا يُعرف على وجه التحديد متى تكوّنت قبيلة الجعليين في السودان، وذلك بسبب اختلاف الآراء حول تاريخ دخول أسلافهم للسودان، والزمن الذي استغرقوه في تكوين القبيلة. ولكن استناداً على حركة الهجرات العربية نحو السودان التي زادت وتيرتها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر من الميلاد، خاصة بعد سقوط مملكة المقرة المسيحية في شمال السودان، فمن المرجح أن تكون قبيلة الجعليين قد تكوّنت في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، بعد امتزاج العناصر العربية مع

Hassan, Yousif Fadl, the Arab and the Sudan, Khartoum 1967. Edinburg - 1 university Press. First Edition P. 146

٢ - محمد سعيد معروف ومحمود محمد علي نمر، الجعليون، الخرطوم. ط٢؛ الخرطوم: دار السودان الحديث للطباعة والنشر. ١٩٩٦م. ص ٦.

السكان المحليين في السودان ، ومن ثمّ استقرارها في منطقة حوض النيل الأوسط
شمال شلال السبلوقة .

٢

يُطلق اسم الجعليين على جميع أبناء إبراهيم جعل وأحفاده والمنتسبين إليه
من المجموعات العربية التي دخلت السودان واستقرت فيه، وتكوّنت منها قبيلة
الجعليين التي امتدت فروعها إلى مناطق مختلفة من السودان. ويُطلق هذا الاسم
أيضاً على أبناء عرمان وأبو خمسين وأحفادهم الذين تمتد أوطانهم من التقاء نهر
عطبرة مع نهر النيل شمالاً وحتى الشلال السادس جنوباً، وعلى هذا فإن مصطلح
الجعليين يُستعمل في السودان استعمالاً عاماً يشير إلى جميع أبناء إبراهيم جعل
والمنضويين تحت لوائه، والذين انتشروا في أجزاء واسعة من السودان تحت
مُسميات مُتنوعة عُرفت بالمجموعة الجعلية الكبرى ، أو المجموعة^٣
العباسية. ويُستعمل استعمالاً خاصاً يشير إلى قبيلة الجعليين الذين ليس لهم إلا هذا
الاسم، وهم أبناء عرمان وأبي خمسين .

٤

تتكوّن المجموعة الجعلية الكبرى من القبائل والفروع التي انفصلت عن
القبيلة الأم التي أسسها إبراهيم جعل، مُستقلة عن بعضها البعض، وحملت أسماء
جديدة هي في الغالب أسماء مؤسسيها، أو اسم الجد الأكبر فيها الذي يعود في نسبه
إلى إبراهيم جعل ومن ثمّ إلى العباسيين. وهذه الفروع هي الشايقية والجوابرة
والركابية والجمع، والجموعية والبديرية والجوامعة والرباطاب والمناصير،
والميرقاب والجعليين. والمجموعة الجعلية الكبرى يسكن مُعظمها على شواطئ
النيل بين الدبة وشلال السبلوقة، أما الجعليين الذين ليس لهم سوى هذا الاسم، وهم
أبناء عرمان وأبو خمسين، فهم أيضاً ينقسمون إلى عدة فروع مثل المكابراب
والنافعاب والزيداب والجلاب والكبوشاب، والسعداب. وهؤلاء تمتد أوطانهم بين
الدامر وشلال السبلوقة، وعلى هذا فإن قبيلة الجعليين من ذرية عرمان وأبو

١ - جعفر محمد دياب، مرجع سابق ، ص ١٦ .

٢ - محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقبائله. ط١؛ القاهرة، ١٩٥٣م. ص ١٦٠ .

٣ - Yousif Fadl. Op.cit.p. 146

٤ - عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان. ط٢؛ الخرطوم: أفرو كراف للطباعة،
١٩٩٤م. ص ٤٧٢ .

خمسین، تنتشر في كل منطقة شندي على مستوى الأفراد أو المجموعات الكبيرة أو الصغيرة. غير أن بعض هذه المجموعات تتواجد بأعداد كبيرة في بعض المناطق مثل السعداب الذين يتواجدون بكبوشية وحجر العسل وشندي، والكبوشاب بكبوشية والعمراب والمسنداب وأولاد ضحوية بجبل أم علي والنافعاب بتميد النافعاب وتميد حاج الطاهر. وعموماً فإن المنطقة بأجمعها تُعدُّ موطناً لمجموعات الجعليين، الذين ينتشرون فيها بكثافة، وأعدادهم فيها تفوق أعداد سواهم، من السكان في معظم أرجاء المنطقة.

١ - ٢ - ٢ الشايقية:

استناداً على أوراق نسب الجعليين فإن الشايقية يُعدون أبناء عمومة للجعليين، فهم أبناء شايق بن حمدان شقيق غانم بن حمدان جد قبيلة الجعليين. وقد ظلَّ الشايقية يستقرون في أوطانهم الممتدة من كورتي إلى أبي فاطمة على النيل في شمال السودان طيلة فترة السلطنة الزرقاء، ولم يُعرف عنهم أنهم قد فارقوا أوطانهم طيلة تلك الفترة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى هيمنتهم على موارد لا بأس بها في المنطقة، سمحت لهم بالعيش في دعة ورفاهية. ولكن هنالك بعض المصادر تحدثت عن هجرة مجموعة صغيرة من الشايقية إلى منطقة شندي في تلك الفترة لأسباب مجهولة لم نتبيَّن منها إلا بواعث هجرة بعض مشائخ العلم من الشايقية في القرن السابع عشر الميلادي.

بدأت هجرة جماعات الشايقية إلى منطقة شندي في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وذلك عندما انسحبت مجموعات مُقاتلة منهم إلى مدينة شندي بعد هزيمتها في معركة كورتي. وبعد استيلاء الأتراك على السودان في عام

١ - عثمان حمد الله، سهم الأرحام في السودان. ط١؛، القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة، بدون تاريخ. ص ١٢٦ - ١٢٩.

٢ - نفس المرجع، ص ١٥-٤١.

٣ - محمد سعيد معروف ومحمود علي نمر، مرجع سابق، ص ٧

٤ - جون لويس بوكهارت، مرجع سابق، ص ٢١٧

٥ - محمد عمر بشير، تطور التعليم في السودان ١٨٩٨-١٩٥٦م، ترجمة هنري رياض وآخرون، ط١؛ بيروت: دار الجيل، ١٩٦٨م. ص ٣٦٥.

٦ - مكي شبكية، السودان عبر القرون. ط١؛ بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٤م. ص ١٠٣.

١٨٢١م تحالف الشايقية معهم ودخلوا في خدمتهم، وقد مهّد ذلك السبيل أمام هجرتهم إلى المنطقة والانتشار فيها، مُستغلين حالة الفوضى التي مرّت بها المنطقة في أعقاب اغتيال إسماعيل بن محمد علي في شندي وحملات الدفتردار الانتقامية، فقاموا بالاستيلاء على مُعظم الأراضي التي خلت من أصحابها، وساعدتهم الحكومة في ذلك وأقطعتهم كل ما رغبوا فيه من أراضي في منطقة شندي وبلاد الجعليين عامة من كبوشية شمالاً إلى حجر العسل جنوباً. واستوطن الشايقية مناطق كبوشية وقندتو والفجيجة والبسابير وشندي وحجر العسل وفي هذه المناطق تكاثرت أعدادهم واختلطوا بالجعليين، حتى أصبحوا يحتلون المرتبة الثانية بعد الجعليين، من حيث تعداد السكان في منطقة شندي حالياً.

١ - ٢ - ٣ العباددة:

ينتسب العباددة إلى الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه عن طريق جدهم عباد، الذي هاجر من شبه الجزيرة العربية إلى مصر في حوالي القرن الثالث عشر الميلادي . وموطن العباددة في جنوب مصر حول منطقة أسوان، غير أنهم ينتشرون في مناطق واسعة بين مصر والسودان، واستقرت جماعات منهم في منطقة شندي إلى الجنوب من مدينة شندي الحالية، خاصة في منطقة ود نورة وسمر العباددة جنوب مدينة شندي . وفي منطقة شندي تبوأّت قبيلة العباددة مكانة مميزة بين القبائل النازلة فيها حيث كانوا يلون الجعليين مرتبة في منطقة شندي من حيث المكانة الاجتماعية ، بحكم انتمائهم لقبيلة قزّيش مثل جيرانهم الجعليين. وفي منطقة شندي عاش العباددة في حالة انتقال دائم بين شندي ودرّاو، وكانوا يتواجدون وباستمرار على طول الطريق الصحراوي الذي يربط مصر بالسودان، على أن هنالك مجموعة منهم ظلت تعيش بصورة دائمة في مدينة شندي وبعض القرى التي تقع على جنوبها، ويختفي أثرهم تماماً في المناطق الواقعة إلى الشمال

١ - محمد سعيد معروف ومحمود علي نمر، مرجع سابق، ص ٧.

٢ - مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، ط٢؛ القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٦٠م، ص ١٩٦.

٣ - جون لويس بوكهارت، مصدر سابق ، ص ٢٣٧

٤ - نفس المصدر، ص ٢٦٧

من مدينة شندي، باستثناء بعض الحالات المحدودة لبعض الأفراد أو الأسر الصغيرة .

١ - ٢ - ٤ الحدارية:

الحدارية أو الحضارمة - نسبة إلى موطنهم الأصلي في حضرموت باليمن - من مجموعات السكان الذين استقر بعضهم بمنطقة شندي، ويُعتقد أن الحداربه وفدوا إلى السودان في القرن السادس الميلادي واستقروا على الساحل الغربي للبحر الأحمر، واختلطوا هنالك مع بعض العناصر البجاوية . أما توأجدهم في منطقة شندي فيعود إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادي، عندما بدأت تزدهر الحركة التجارية بمدينة شندي، وقد أقامت مجموعة من الحدارية بمدينة شندي حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، وهي في الواقع عبارة عن مجموعة صغيرة العدد من التجار الذين ارتبطت إقامتهم في مدينة شندي بمصالحهم التجارية فيها، إضافة إلى مجموعة أخرى أقل عدداً منهم استقرت في قرية كبوشية.

١ - ٢ - ٥ النوبا:

النوبا من أقدم العناصر البشرية التي استوطنت بمنطقة شندي ، وترجع بدايات ظهور العناصر النوبية في منطقة شندي إلى حوالي القرن الرابع الميلادي عقب سقوط المملكة المرويه ، حيث انتهب شعب النوبا فرصة تشتت المرويين بعد سقوط مملكتهم، فاتجهوا جنوباً نحو جزيرة مرويه وأقاموا مملكة خاصة بهم، عُرفت بمملكة علوة في نهاية القرن الرابع الميلادي أو مطلع القرن الخامس من الميلاد، وبعد سقوط مملكة علوة في مطلع القرن السادس عشر، قلّت أعداد النوبا المُقيمين في منطقة شندي بصورة ملحوظة، بسبب هجرة أعداد كبيرة منهم نحو فازوغي وجنوب كردفان، أما المجموعات التي تبقت منهم بمنطقة شندي فقد

١ - مصطفى محمد مسعد، مرجع سابق ، ص ١٠٨

٢ - أندرس بيركلو، إرهابات الثورة المهدية والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للجعليين وجيرانهم ١٨٢١-١٨٨٥م.ترجمة عادل عبد الماجد فرج، جامعة الخرطوم، ١٩٩٥م، رسالة ماجستير غير منشورة. ص ١٦١ .

٣ - نعم شقير، مصدر سابق ، ص ٣٤٣ .

اختلطت بالعناصر العربية الموجودة في الإقليم، ولم يتبق منها إلا مجموعات صغيرة تخفي أصلها عن الناس . وفي منطقة شندي تعرّض النوبا للمؤثرات العربية والإسلامية فاعتنقت أعداد منهم الإسلام، واندمجت في مجتمعات المنطقة. أما النوبا الموجودين حالياً في منطقة شندي خاصة في مدينة شندي فقد تم تهجيرهم إليها قسراً في الربع الثاني من القرن العشرين، بعد أن قاموا بثورة ضد الحكم البريطاني في جبال النوبة في عام ١٩١٧م، بغرض إبعادهم عن مناطقهم الأصلية وتشديد الرقابة عليهم في منطقة شندي، القريبة من العاصمة الخرطوم، زد على ذلك أن بعض عناصر النوبة قد وفدت إلى المنطقة بحكم عملها في الجيش وقوات الشرطة .

١ - ٢ - ٦ أولاد الريف:

كذلك استقرت في منطقة شندي بعض العناصر المنتمية إلى القطر المصري، وهي على مجموعتين: مسلمين مثل جماعات الحضور أو ما أطلق عليهم أولاد الريف، وهؤلاء أغلبهم يقيمون في مدينة شندي. ومسيحيين وهم من مجموعات الأقباط المصريين، الذين اشتهروا في منطقة شندي باسم النقادا نسبة إلى قرية نقادا في صعيد مصر .

١ - ٢ - ٧ الرقيق:

كذلك عرفت منطقة شندي مجموعات الرقيق، الذين كانت توجد أعداد منهم في جميع أنحاء منطقة شندي، وهذه المجموعة ظلّت تعيش في المنطقة إلى اليوم، وقد أجبرتهم تقاليد المجتمعات العربية في التزاوج والمصاهرة، على الاحتفاظ بنظامهم الاجتماعي الخاص بهم، وهم يشكلون شريحة مهمة من السكان في منطقة شندي .

ظلّت هذه المجموعات بخلفياتها العرقية المتباينة، تتشكّل مجموع سكان منطقة شندي في المراكز الحضرية في المدن والقرى المجاورة لنهر النيل، حيث ازدهرت العوامل المحفزة على الاستقرار، والتي كان أهمها الزراعة والتجارة التي نشطت في المنطقة منذ القرن السابع عشر الميلادي .

١ - الزبير ود ضوه وآخرون، تاريخ ملوك السودان، تحقيق مكي شبكية، ط١؛ الخرطوم، ١٩٤٧م. ص ٢٠

ثانياً: المجموعات السكانية المتنقلة (الرُّحَل):

وهذه المجموعة تتكون من السكان الذين تبعد أوطانهم عن شاطئ النيل في منطقة شندي، وهي تضم مجموعة من القبائل الصغيرة التي تجوب الصحراء الشرقية لمنطقة شندي، وتعتمد هذه القبائل في حياتها على الزراعة المطرية والرعي، وقد سميت هذه المجموعة بالعرب الرُّحَل. والعرب الرحل في منطقة شندي تمتد أوطانهم في السهول الشرقية للمنطقة، والتي تشكل مجالاً طبيعياً لتحركاتهم الموسمية سعياً وراء الماء والكأ لماشيتهم، وهم يمثلون نسبة صغيرة من سكان منطقة شندي، التي ترتفع نسبة الكثافة السكانية فيها في المناطق المجاورة لنهر النيل، بينما تقل كثيراً في مناطق العرب الرُّحَل، والسهول الشرقية للمنطقة. وتتكوّن مجموعات العرب الرُّحَل في منطقة شندي، من خمس مجموعات قبليّة هي: الفادنية والعبادة والحسانية والكفنجة والنافعاب. وهؤلاء تغطي تحركاتهم معظم السهول الجنوبية الشرقية، الواقعة إلى الشرق من مدينة شندي، أو السهول الشمالية الشرقية لمنطقة شندي .

١ - ٢ - ٨ العبادة الرُّحَل:

العبادة الرُّحَل هم جزء من قبيلة العبادة المنتشرة في كثير من بقاع السودان، وتعيش مجموعات منها في بعض المناطق الحضرية الواقعة جنوب مدينة شندي. وهم يعدون من أكبر جماعات العرب الرحل في المنطقة، يتواجدون في المناطق الواقعة شرق مدينة شندي، والسهول الجنوبية الشرقية لمنطقة شندي، المتاخمة لسهل البطانة وفي منطقة النقعة والمصورات حيث يحتكون مع الكفنجة في المرعى، وكثيراً ما يتجول العبادة الرحل حول آبار الدشة والسلمانية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة شندي، ويتوغلون أحياناً إلى داخل البطانة .

٢

١ - ٢ - ٩ الكفنجة:

١ - إدارة المديرية الشمالية، الدامر، مرشد المديرية الشمالية، أبريل ١٩٧٣م. ص ١٧-١٨

٢ - متنوعات ١٢١/٨/١ ن ص ٧

ينتمي الكفجة الرحل إلى قبيلة الشايقية التي استقرت مجموعات منها في منطقة شندي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مثل السواراب والعدلاناب والعبوداب في كبوشية، وقندتو وحجر العسل والبسابير. وقد استقرت المجموعات التي سبق ذكرها في المناطق الحضرية، أما الكفجة فتمتد أوطانهم في السهول الشرقية لمنطقة شندي في الأودية الواقعة إلى الشرق والجنوب من منطقة حجر العسل، وفي مناطق وادي العوتيب والنقعة والمصورات. ويمتد تأثير الكفجة على سكان المنطقة فيتصلون بالمجموعات السكانية الأخرى في بانقا وحجر العسل، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يُعدّون من أصغر مجموعات العرب الرُّحل في المنطقة .

١ - ٢ - ١٠ الحسانية:

وهي من أكبر مجموعات الرُّحل في منطقة شندي، ويُعرف حسانية منطقة شندي بالحسانية شرق، وتوجد مجموعات الحسانية غرب في المنطقة الواقعة غرب النيل، وقد الحق مصطلح شرق وغرب، باسم الحسانية بغرض التصنيف الجغرافي فقط. وتمتد أوطان الحسانية في منطقة شندي إلى الشرق من محطة جبل جاري والرويان، وقاعدتهم منطقة ألبان جديد، وقد تصل تحركات الحسانية في بعض الأحيان شرقاً حتى ود حسونة بمنطقة البطاحين، وإلى حدود ولاية الخرطوم. وهذه المناطق التي يرتادها الحسانية، هي في جملتها مراعي خصبة أسهمت بقدر كبير في جعل الحسانية، من أكثر قبائل العرب الرحل ثراءً وامتلاكاً للثروة الحيوانية بمنطقة شندي .

٢

١ - ٢ - ١١ الفادنية:

ينتمي عرب الفادنية إلى قبيلة قريش، ويرجعون في نسبهم إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، والfadنية بمنطقة شندي يعيشون في السهول الواقعة شرق نهر النيل، ويُطلق عليهم الفادنية شرق، وتمتد أوطانهم في بادية كبوشية، و

١ - عثمان حمد الله ، مرجع سابق ، ص ١٢٨

٢ - متنوعات ١٢١/٨/١، ص ٨

٣ - عثمان حمد الله ، مرجع سابق ، ص ٢١

مركزهم قرية تميد حاج الطاهر ، ونسبة لوجود بئر للمياه بمنطقة تميد حاج الطاهر ساعدت على الاستقرار فيمكن تصنيف الفادنية بأنهم عرب شبه رُحل، حيث تطول إقامتهم في قرية التميد خصوصاً في فصل الصيف والشتاء. وهم كذلك يعدون من المجموعات القليلة من العرب الرحل في منطقة شندي .

١ - ٢ - ١٢ النافعاب:

ينتمي النافعاب الي الجعليين الذين ينتشرون في معظم منطقة شندي وتعيش مجموعات من النافعاب حياة تنقل وترحال في المنطقة الشرقية من شندي، وفي بادية كبوشية ومركز النافعاب الرحل قرية تميد النافعاب وهم مثل الفادنية يُعدون عرب شبه رُحل، حيث أنهم يستقرون في مركزهم فترات طويلة من شهور السنة.

١ - ٣ خلفية تاريخية:

تُعَدُّ منطقة شندي من المناطق القليلة في السودان التي حفلت بإرث حضاري مميّز وأهمية تاريخية ظاهرة للعيان بسبب ما توافر لها في السابق من كونها كانت قديماً إحدى مراكز التلاقح بين الثقافات النوبية والعربية، ومهداً لحضارات عظيمة شهدها السودان خلال الحقب التاريخية المتعاقبة التي مرّت عليه.

١ - ٣ - ١ منطقة شندي في العُصور الحجرية:

شهدت منطقة شندي في العصر الحجري القديم بعض مظاهر الحياة والاستقرار لإنسان العصر الحجري القديم، واستدلّ على ذلك من خلال العثور على بعض المخلفات الأثرية الدالة على وجوده في المنطقة بواسطة علماء الآثار، خاصة في موقع قلعة شنان شمال غرب مدينة شندي، حيث تمّ العثور في الموقع على هياكل عظمية بشرية، ومخلفات عبارة عن أدوات زينة وقطع فخاريّة تعود إلى الفترة بين عامي ٦٠٠٠ ق.م و ٣٠٠٠ ق.م .

٢

١ - نفس المرجع، ص ٢١

٢ - صلاح عمر الصادق ، تقرير عن العمل الميداني لقسم الآثار جامعة شندي ، يونيو ٢٠٠٠م.ص٣

كذلك عثر علماء الآثار في منطقة شندي في موقع بالقرب من قرية كبوشية شمال شندي، على أدوات حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم في السودان ، ولم يتم العثور في هذه المنطقة على هياكل عظمية بشرية أو مخلفات، مثلما كان الحال في موقع قلعة شنان، ولكن العثور على هذه الأدوات الحجرية التي كانت تُصنع وتُستخدم بواسطة الإنسان تمثل دلالة قاطعة على وجوده واستقراره في المنطقة .

٢

وضّحت هذه المخلفات التي تمّ العثور عليها في المنطقة أن إنسان العصر الحجري القديم بمنطقة شندي كان يعيش حياة بدائية بسيطة على الأراضي المرتفعة المجاورة لنهر النيل، واعتمد في هذه الفترة في توفير غذائه على صيد الحيوانات البرية والتقاط ثمار الأشجار الخلوية القريبة من أماكن سكنه. ويبدو أنّه في هذه الحقبة لم يعتاد حياة الاستقرار في المناطق المجاورة لنهر النيل بسبب عدم انتظام فيضان النيل، وتغييره لمجراه، وقد فرض عليه هذا الواقع أن يعيش حياة تجوال دائم بالقرب من شواطئ النيل، غير أن هذا الأمر سرعان ما تغير بعد أن طرأت بعض التغيرات المناخية في المنطقة، نجمت عنها موجة من الجفاف أدّت إلى استقرار مجرى النيل، الأمر الذي شجّع على الاستقرار بالقرب من شواطئ النيل ومن ثمّ ممارسة حرفة الزراعة، وقد ترتّب على هذه التطورات ازدياد ارتباطه بالأرض، و بداية ظهور مراكز التجمعات السكانية في المنطقة التي دخلت في حقبة العصر الحجري الحديث .

٤

في العصر الحجري الحديث وردت إشارات في بعض النصوص المصرية القديمة التي تعود إلى حقبة الدولة المصرية القديمة، هي عبارة عن أسماء لمواقع أو مناطق تجمعات سكانية في إقليم النوبة العليا، اعتقد بعض العلماء أنها تعود

١ - سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية القديمة. ط١؛ الخرطوم: دار هایل للطباعة والنشر والتغليف، ١٩٩٩م. ص ٣٨.

٢ - شوقي الجمل، تاريخ السودان وادي النيل. ط١؛ القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية، ١٩٦٩م. ج ١، ص ١١٠.

٣ - سامية بشير دفع الله، مرجع سابق، ص ٣٩.

٤ - شوقي الجمل، مرجع سابق، ص ١٣.

١ لبعض مواقع التجمعات السكانية في منطقة شندي الحالية ، مما يشير إلى أن المنطقة قد شهدت قيام بعض المراكز الحضرية فيها، من كبوشية شمالاً وحتى منطقة ود بانقا جنوباً على طول مجرى نهر النيل مروراً بمدينة شندي .

الفترة النهائية للعصر الحجري الحديث في منطقة شندي والتي تعود إلى النصف الأول من الألفية الرابعة قبل الميلاد، أمكن التعرف عليها وتحديدتها في منطقة التراجمة الواقعة في وسط منطقة شندي إلى الشمال من مدينة شندي الحالية. وبنهاية هذه الفترة دخلت منطقة شندي في حقبة غامضة يعتقد علماء الآثار استناداً على عدم عثورهم على أدلة أثرية في المنطقة تشير إلى وجود نشاط بشري أو أثر لحياة في المنطقة بعد هذه الحقبة أنها هُجرت من سكانها وخلت من أي أثر للحياة فيها، ولم تظهر مؤشرات وجود النشاط البشري في المنطقة مرة أخرى إلا عندما حلَّ القرن السابع قبل الميلاد الذي شهد ازدهار الحضارة المروية في منطقة كبوشية .

٢

١ - ٣ - ٢ منطقة شندي في العصر المروي:

في القرن السابع قبل الميلاد نتيجة لتضعع السيادة الكوشية على مصر وضعف الصلات التجارية بين البلدين، انتقلت عاصمة الدولة الكوشية إلى مدينة مروي القديمة بالقرب من البجراوية، وأصبحت مروي العاصمة السياسية والاقتصادية في مملكة كوش، وازدهرت الأجزاء الشمالية من منطقة شندي سياسياً واقتصادياً، فصارت قبلة لأنظار الكثيرين من أهل المنطقة، واكتظت بالسكان بعد أن كانت خالية في نهاية العصر الحجري الحديث ، ونتيجة لذلك انتشرت المراكز الحضرية في مروي حيث توجد مراكز الحكم والإدارة، وفي النقعة والمصورات في السهول الشرقية للمنطقة، حيث شُيدت هنالك المعابد

٣

١ - سامية بشير دفع الله، مرجع سابق ، ص ١٤٣-١٤٨.

٢ - شارلس بونيه وأحمد محمد علي الحاتم، كرمة مملكة النوبة، ترجمة صلاح الدين محمد احمد. ط١؛ الخرطوم: شركة دار الخرطوم للطباعة. ص ٦٣.

٣ - شارلس بونيه وأحمد محمد علي الحاتم، مرجع سابق، ص ٦٣.

والمدارس، وفي ود بانقا التي ازدهرت في هذه الحقبة ونمت كمركز تجاري وديني ومُنْتَجِع للعائلة المالكة في جنوب منطقة شندي .^١

في عام ٣٥٠م تعرّضت مملكة مروى لغزوة مدمرة من الأحباش الذين أشاعوا الخراب في كلّ أجزاء المملكة، وفي أعقاب هذه الغزوة دخلت المنطقة مرة أخرى في حقبة مُظلمة لا يُعرف على وجه التحديد ما دار فيها بسبب انقطاع الصلات بين أركان المملكة المتداعية والعالم الخارجي خاصة مصر. يبدو أن المملكة قد دُمرت تماماً نتيجة لهذه الحملة الشرسة، وأن الأسرة الحاكمة ومعظم سكان المملكة قد فروا غرباً نحو كردفان ودارفور، ومن المُرجَّح أن هذا الانهيار المفاجئ للمملكة قد تسبب في حدوث شيء من الفوضى والاضطرابات السياسية والاجتماعية في كلّ الإقليم ومنطقة شندي بصفة خاصة نتيجة لتدمير النظم السياسية والاجتماعية في الإقليم، وفرار أعداد كبيرة من سكانه، وتسببت كذلك في حدوث فراغ فتح الطريق أمام هجرة مجموعات من شعب النوبا للمنطقة والاستقرار فيها. ويبدو أن الزعامات القبلية والدينية لهذه المجموعات المهاجرة استطاعت لاحقاً أن تكوّن كيانات صغيرة في المناطق الجنوبية والشمالية الغربية من العاصمة السابقة مروى والتي تطوّرت فيما بعد إلى ما صار يُطلق عليه مملكة الأبواب أو بلاد الأبواب؛^٣

١ - ٣ - ٣ منطقة شندي في حقبة الممالك المسيحية في السودان:

لا يُعرف على وجه التحقيق تداعيات الأحداث التي شهدتها منطقة شندي في الفترة التي تلت سقوط المملكة المروية وسبقت قيام مملكة علوة المسيحية. ولكن يبدو أن منطقة شندي خلال هذه الحقبة الغامضة من تاريخها كانت مسرحاً لهجرة مجموعات سكانية محلية أُطلق عليها النوبا جاءت من شمال السودان واستقرت

١ - شوق الجمل، مرجع سابق، ص ١٨٧.

٢ - Arkell. A J .A history of the Sudan from the earliest time to 1821.London.1900.published by the Athlone press. First Edition. P.174

٣ - محمد إبراهيم بكر، المدخل إلى تاريخ السودان القديم. ط١؛ القاهرة: المطبعة الحديثة بمصر، ١٩٦٨م. ص٨٤.

٤ - مكى شببكية، مرجع سابق، ص٧٣.

فيها، وشهدت ميلاد الممالك المسيحية في المنطقة الواقعة إلى الشمال والجنوب من منطقة شندي الحالية.

في حقبة الممالك المسيحية في السودان، ولاعتبارات سياسية محضة فُسمت جزيرة مروى إلى قسمين، قسم شمالي يتبع لمملكة المقررة المسيحية، وقسم جنوبي يتبع لمملكة علوة المسيحية، والحد الفاصل بين هذين القسمين هو منطقة كبوشية شمال شندي والتي كانت تشكّل المقاطعة الشمالية لمملكة علوة المسيحية، التي اشتهرت ببلاد الأبواب أو مملكة الأبواب، وعلى هذا فإن معظم أجزاء منطقة شندي الحالية كانت تدخل ضمن حدود مملكة علوة المسيحية التي كانت تمتد شمالاً حتى موقع قرية كبوشية الحالية على الضفة الشرقية لنهر النيل.

المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ المنطقة لم تسهب في الحديث عن مملكة الأبواب، ولم تُسلط الكثير من الضوء على المنطقة في هذه الحقبة التاريخية التي نجهل عنها الكثير، ولكن يبدو أن مملكة الأبواب هذه كانت تتمتع بشيء من الاستقلال في علاقتها بمملكة علوة المسيحية نتيجة لبُعدها الجغرافي عن العاصمة وقد انحصرت علاقة ملوك سوبا بهذه المملكة فقط في الموافقة على تعيين حُكَّام هذه المقاطعة، وفرض نفوذها السياسي عليها، وذلك للأهمية الإستراتيجية التي كانت تتمتع بها المنطقة بالنسبة لمملكة علوة المسيحية باعتبارها البوابة الشمالية للمملكة والتي تسرّبت عبرها المؤثرات الإسلامية والعربية إلى أواسط السودان.

قبل سقوط مملكة علوة المسيحية في عام ١٥٠٤م بدأت تلوح في الأفق الأهمية الاقتصادية لمنطقة شندي، والتي تجلّت بوضوح في حقبة الممالك الإسلامية في السودان، حيث أصبحت مدينة شندي في تلك الحقبة من أكبر المدن التجارية في السودان بفضل موقعها الجغرافي المُميز، الذي مكَّنها من السيطرة على طرق القوافل التجارية المتجهة من شندي شمالاً وجنوباً وشرقاً، وقد ساعد على بروز هذه الأهمية الاقتصادية لمدينة شندي استقرار مجموعات العرب المهاجرين فيها وسيطرتهم عليها قبيل سقوط المملكة المسيحية في عام ١٥٠٤م.

١ - ٣ - ٤ منطقة شندي في عصر السلطنة الزرقاء:

سقطت مملكة علوة المسيحية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي علي يد تحالف الفونج والعرب، وقامت على أنقاضها سلطنة إسلامية عُرفت تاريخياً بالسلطنة الزرقاء أو سلطنة الفونج، امتدت حدودها من الشلال الثالث شمالاً إلى جبال فازوغلى جنوباً، ومن سواكن على البحر الأحمر شرقاً إلى النيل الأبيض غرباً، وقد تقاسم النفوذ والسيادة في السلطنة الوليدة الفونج وحلفائهم العبدلاب، الذين بسطوا نفوذهم على المنطقة الممتدة من قري جنوباً وحتى بلاد الشايقية أو الشلال الثالث شمالاً، يحكمون هذه المنطقة مباشرة نيابة عن الفونج. وضمت منطقة نفوذ العبدلاب هذه بعض المشيخات والممالك الصغيرة مثل مشيخة الشنابلة، ومملكة الجموعية ومملكة الجعليين ومملكة الميرقاب ومملكة الرباطاب ومشيخة المناصير .

٣

١ - ٣ - ٥ مملكة الجعليين:

قامت مملكة الجعليين وعاصمتها شندي شمال مشيخة العبدلاب في المنطقة التي عُرفت في حقبة مملكة علوة المسيحية بدار الأبواب أو بلاد الأبواب. ولا يُعرف على وجه التحديد متى نشأت هذه المملكة، ولكن استناداً على ما ذكره الرحالة اليهودي ديفيد روبيني* عن مملكة الجعليين ومقابلته لملكها المُسمى أبو عقرب، بعد مغادرته سنار مُتجهاً شمالاً إلى مصر. فمن المحتمل أن تكون المملكة قد نشأت في الربع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي أو مطلع القرن السادس عشر الميلادي، لتبدو في نظر روبيني في نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر مملكة ثابتة الأركان ولها نُظمها ورسومها الملكية .

خضعت مملكة الجعليين لنفوذ الفونج عن طريق العبدلاب الذين كانوا يبسطون نفوذهم على المنطقة نيابة عن الفونج، وتولى الحكم في هذه المملكة أسرة

١ - نعوم شقير، مرجع سابق، ص ٣٨٧.

٢ - نفس المرجع، ص ٣٨٧.

٣ - نفس المرجع، ص ٤٢٤-٤٢٧

* روبيني رحالة يماني زار سنار في طريقه من جزيرة العرب إلى أوروبا عام ١٥٢٣م على أيام عمارة دنقس ومر بمنطقة شندي في طريقه إلى مصر .

٤ - Hillelson. David Reubeni, an early visitor to Sennar. SNR. Vol. 16-1933. -

السعداب - نسبة إلى سعد أبي دبوس - التي ارتبطت بصلات مُصاهرة وروابط أسرية مع العبدلاب ، وحكمت هذه الأسرة المملكة فترة طويلة من الزمن امتدت حوالي مائتان وخمسة وثلاثون عاماً، تعاقب خلالها على كُرسی الملك ستة عشر ملكاً، أوردهم كايو في كتابه (رحلة في مروي) ابتداءً من سعد أبي دبوس أولهم إلى المك نمر آخرهم .

قائمة كايو هذه تُرجع أول ملوك السعداب إلى العام ١٥٧٦م تقريباً، أي في نهاية القرن السادس عشر الميلادي، وهو تاريخ يتفق مع ما ذكره مكمايكل بأن قبيلة الجعليين التي ينتمي إليها السعداب تزوجت في القرن السادس عشر مع السكان المحليين في منطقة شمال السبلوقة، وكوّنت لها نفوذاً عن طريق هذه المصاهرة في هذا القرن السادس عشر ، ولكنه يبدو متأخراً بعض الشيء عن الفترة التي زار فيها روبيني مملكة الجعليين وملكها أبو عقرب في عام ١٥٢٣م مما يترتب عليه احتمالات ثلاثة:

الاحتمال الأول أن قائمة كايو تتحدّث عن ملوك مملكة الجعليين من السعداب فقط، وسعد أبو دبوس أولهم كما جاء في قائمته، وأن هناك بعض الحكام قد سبقوه في الحكم من خارج أسرة السعداب، منهم أبو عقرب الذي قابله روبيني في عام ١٥٢٣م.

والاحتمال الثاني هو أن سعد أبو دبوس وأبو عقرب اسمان لشخص واحد وإن كايو وسبب اعتماده في حساب سنوات حكم ملوك الجعليين على الروايات الشفهية التي تفتقر إلى الدقة في هذا الجانب قد أخطأ وأورد فترات حكم ناقصة لبعض الملوك وربما أغلبهم ونتج عن ذلك ظهور تاريخين مختلفين، لبداية حكم شخص واحد.

١- Macmichael H.A. A history of the Arabs in the Sudan. London. 1921. P. 233

٢- Cailliaud. Voyage Ametroe. Paris, 1826. P. 106-107

٣- H.A. Macmichael, op.cit. P.233

أما الاحتمال الثالث، فهو أن أبو عقرب الذي قابله روبيني لم يكن سوى زعيم محلي في أو بالقرب من شندي وأن هناك زعيم آخر لم يذكره يخضع له أبو عقرب .^١

توضح قائمة كايو أن نظام الحكم في مملكة الجعليين كان يقوم على نظام الوراثة، وذلك بأن ينتقل الحكم إلى الابن بعد وفاة الأب، أو إلى الأخ بعد وفاة أخيه، إن لم يكن له ابناً يرثه في سن الرشد، ولكن يبدو أن هذا النظام في أواخر أيام حكم هذه الأسرة، لم يعد يلبي طموحات بعض أفراد الأسرة الطامحين في الوصول إلى كرسي الملك، فاضطروا إلى اللجوء لاستعمال وسائل أخرى للنفوذ بنصيب من النفوذ أو السلطة، مثل الانشقاق أو استخدام القوة مثلما فعل محمد ود نمر مع الملك سعد ود إدريس ود الفحل ، وابنه نمر بعده مع الملك مساعد بن سعد بن إدريس . ويتم تنصيب الملك الجديد بعد وفاة سلفه - وعادةً ما يكون ابن الملك المتوفى - بعد مباركة الأسرة الحاكمة وموافقة العبدلاب وفق طقوس معينة تجرى في عاصمة العبدلاب.

تمتعت مملكة الجعليين بنوع من الاستقلال أو الحكم الذاتي الموسع، وانحصرت علاقات ملوكها مع الفونج والعبدلاب في الموافقة على تعيين الملك الجديد، ودفع مبلغاً من المال سنوياً دلالة على الولاء والخضوع لملك الفونج، وعدا ذلك فقد كانوا يتمتعون بكل مظاهر الاستقلال ولهم مُطلق الحرية في تصريف شئون مملكتهم .^٥

النظام الإداري في مملكة الجعليين كان نظاماً مركزياً حيث كان الملك يجمع في يديه كل السلطات، وهو يحكم مملكته من عاصمته شندي ويعاونه

١ - Craw Ford, O.G.S, op.cit., P.61

٢- الفحل الفكي الطاهر، تاريخ وأصول العرب في السودان. ط١؛ الخرطوم: دار الطابع العربي، ١٩٧٦م. ص٣٧.

٣- الزبير ود ضوة وآخرون ، مرجع سابق، ص ١٤ .

٤ - محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية. ط١؛ الخرطوم: الدار السودانية للكتب، ١٩٧٢م. ص٢١٠.

٥ - جون لويس بوكهارت، مصدر سابق، ص ٢١٥.

أقرباؤه في حُكم القرى التابعة للملكة وفي تصريف شئونها وبسط الأمن فيها، وفضّ المنازعات التي قد تحدث بين أهلها. وقوام الإدارة في مملكة الجعليين هي الملك ومعاونيه من حكام الأقاليم والقرى، وأسرته وستة من أفراد الشرطة وإمام وخازن وفرقة من الحرس أغلبها من الرقيق .^١

ظلت مدينة شندي عاصمةً ومقرّاً لملوك الجعليين حتى بداية حُكم الملك سعد ابن إدريس بن عبد السلام، الذي خالف أسلافه وقام لأسباب مجهولة بنقل مركز المملكة من مدينة شندي إلى المتمة على الشاطئ الغربي لنهر النيل، وجعل شندي مركزاً لوكيل الدار محمد بن نمر بن عبد السلام^٢ ومنذ ذلك الحين أصبحت المتمة عاصمة لمملكة الجعليين والسعداب حتى أيام نمر بن محمد بن نمر الذي أعاد لشندي مكانتها السابقة كعاصمة لمملكة الجعليين حتى الغزو التركي المصري للسودان في عام ١٨٢١م.

١ - ٣ - ٦ شندي في فترة الحُكم المصري التركي:

في عام ١٨٢٠م قرّر محمد علي والي مصر غزو السودان وضّمّه لولايته، فأرسل جيوشه إلى السودان بقيادة ابنه إسماعيل الذي توغّل بجيوشه جنوباً بعد انتصاره على الشايقية في معركة كورتى، واستولى على مدينة بربر في مارس ١٨٢١م، وفي نفس الشهر استسلم له الملك نمر ملك شندي في مدينة بربر وباستسلام هذا الأخير دخلت منطقة شندي تحت الحكم التركي في السودان وخضعت لسلطان الفاتح الجديد.

رابط إسماعيل بن محمد علي بجيوشه في مدينة شندي ولم يواصل زحفه نحو مدينة سنار كما كان مخططاً له، خاصة بعد أن أصبحت سنار مدينة مكشوفة أمام الجيش الفاتح بعد سقوط مدينة شندي، الأمر الذي جعل والده يشعر بالقلق من تأخره وعدم تقدمه نحو مدينة سنار، والذي برره إسماعيل بانتظاره لتوفر العدد الكافي من الجمال لمواصلته الزحف نحو سنار . وعندما تحرك إسماعيل^٣ من شندي مُتجهاً إلى سنار، في مايو ١٨٢١م اصطحب معه الملك نمر والملك مساعد لضمان

١- نفس المصدر ، ص ٢١٦ .

٢ - الفحل الفكي الطاهر، مرجع سابق، ص ٣٠ .

٣ - مكى شبكية، تاريخ شعوب وادي النيل . ط١؛ بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٥م. ص ٣٣٨ .

ولاء أهل المنطقة له، وترك في مدينة شندي كتيبة صغيرة من الجند في إشارة إلى نهاية مملكة الجعليين وانتهاء دور أسرتها الحاكمة .

بعد أكثر من سنة قضاها في السودان، وبعد أن قام بالمهمة التي كلفه بها والده قرّر إسماعيل العودة إلى مصر، وفي طريق عودته توقف بمدينة شندي ومكث فيها فترة وجيزة قابل خلالها المك نمر والمك مساعد اللذين كانا قد عادا إلى شندي بعد سقوط سنار، ولم يتمكن إسماعيل من إكمال بقية رحلته من شندي إلى مصر بسبب نشوب أزمة حادة بينه والمك نمر في شندي، انتهت باغتياله حرقاً في المدينة في نهاية أكتوبر من عام ١٨٢٢م!

شهدت مدينة شندي في بدايات الحكم التركي المصري للسودان هذه الحادثة التي ألقت بظلالها على منطقة شندي وسكانها ومستقبلها السياسي والاقتصادي، وذلك بسبب المجازر التي ارتكبتها محمد بك الدفتردار الذي ما أن سمع بخبر اغتيال إسماعيل في شندي، حتى تحرك بجيوشه من كردفان، دون أن ينتظر تعليمات القاهرة قاصداً شندي، وأحدث فيها دماراً بالغاً، وارتكب فيها مذابح مروعة راح ضحيتها أعداد كبيرة من السكان الأبرياء، وهجر الناجون منهم منازلهم واعتصموا في المناطق النائية بعيداً عن سطوة وبطش الدفتردار، وتحولت المدينة إلى خرائب بعد أن كانت ثاني أكبر مدينة في السودان الشرقي قبيل الغزو، وفقدت أهميتها كعاصمة تاريخية للجعليين، وحلّت محلها المتممة على الشاطئ الآخر لنهر النيل؛ وأصبحت شندي مقراً لحامية عسكرية ومركزاً لحُط تحت إدارة المتممة، ومقرّاً لحاكم الخط ولشيخ مشائخ الجعليين بشير ود عقيد الذي عينه الدفتردار مكالاً على شندي والمتممة .

١- أندرس بيركلو، مصدر سابق، ص ٨٢.

٢- Hill Richard, Egypt in the Sudan, 1820-1881, London, 1958. P.16

٣- الزبير ود ضوة وآخرون، مصدر سابق، ص ٢٤.

٤- ب.م. هولت، المهديّة في السودان، ترجمة د. نبيل عيد. ط١؛ بغداد: دار الفكر العربي، ١٩٨٧م. ص ١١.

٥- أندرس بيركلو، مرجع سابق، ص ٨٣.

بعد رحيل الدفتردار وكفَّ آتته الحربية عن المنطقة وسكانها، بدأت الحياة تدب في شندي من جديد، ولكنها لم تتمكن من استعادة أهميتها السابقة كمركز ثقل تجاري وإداري بين سنار ومصر طيلة فترة الحكم التركي للسودان، بسبب التخريب الذي أحدثه فيها الدفتردار وتراجعت أهمية المنطقة لمصلحة منطقة بربر التي أصبحت حاضرتها مدينة بربر، عاصمة إقليمية هامة في فترة الحكم التركي المصري للسودان، وبدأت تحتل مكانة شندي التجارية، بعد أن أصبحت ترد إليها البضائع من مصر وجزيرة العرب والهند عن طريق النيل والبحر الأحمر .

يبدو أن منطقة شندي ولأسباب غير معروفة رُبما يعود مصدرها إلى قُربها الشديد من العاصمة الخرطوم، قد شغلت حيزاً كبيراً من اهتمامات الحكمدار أحمد خورشيد (١٨٢٦ - ١٨٣٩م)، والذي أظهر اهتماماً واضحاً بأحوال المدينة ومجريات الأمور فيها بسبب خصوصيتها والدمار الكبير الذي تعرّضت له قبل سنوات قليلة، كما أظهر حرصاً بالغاً في معالجة النزاعات التي حدثت حول الأراضي بين الجعليين وبشير ود عقيد من جهة، وبين الجعليين والشايقية من جهة أخرى . وكان خورشيد قبل ذلك قد اتخذ من مدينة شندي مصيفاً له، حيث بنى فيها قصرًا صيفياً خصيصاً لهذا الغرض^٣سكنه فيما بعد قائد الفرقة المصرية التاسعة التي تمركزت في مدينة شندي ، لذلك وعندما انتشر وباء الكوليرا في العاصمة الخرطوم وقضى على الكثير من سكانها في عام ١٨٣٧م، توجه خورشيد إلى مدينة شندي وأقام فيها فترة من الزمن حتى ينجلي هذا الوباء عن العاصمة الخرطوم . وربما اعتبرت شندي في تلك الفترة عاصمة لكل القطر يدير منها الحكمدار أحمد خورشيد شؤون البلاد.

لعبت منطقة شندي دوراً مهماً في دعم المجهود الحربي لجيوش محمد علي والي مصر التي كانت تقاتل الوهابيين في الحجاز منذ ١٨١٨م، فقد كانت المدينة

١- نعوم شقير، مرجع سابق، ص ١٠٥ .

٢ - Hill Richard, Op.cit. P. 43

٣ - Ibid. P. 36

٤ - اندرس بيركلو ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

٥ - الزبير ود ضوة وآخرون ، مصدر سابق ، ص ٣٣ .

وباعتبارها أقرب مدينة على النيل لميناء سواكن مركزاً لحشد وتجميع الجنود الذين كانوا يُرسلون إلى الحجاز عن طريق سواكن عبر شندي ومنها إلى ميناء جدة على الجانب الآخر من البحر الأحمر . كما كانت مدينة شندي أيضاً، وعبر نفس الطريق مصدر الإمداد الرئيس لجيوش محمد علي في الحجاز بالجمال التي تتناسب طبيعتها مع صحراء جزيرة العرب، ويبدو أن منطقة شندي كانت بها ثروة لا بأس بها من الجمال حيث تأخر إسماعيل بن محمد علي فيها بعض الوقت لنفس الغرض .

كذلك شهدت منطقة شندي في بدايات عهد الحكمदार أحمد باشا أبو ودان (١٨٣٩م-١٨٤٤م) أحداث ثورة الشايقية، التي اندلعت في مدينة شندي بسبب حرمانه لهم من الامتيازات التي منحها لهم خورشيد باشا، وتمثلت في إقطاعهم مساحات واسعة من الأراضي لزراعتها دون أن يدفعوا عليها ضرائب على أن تمنحهم الحكومة علفاً لخيولهم، فطالبهم أحمد باشا بدفع الضرائب عن الأراضي التي زرعوها منذ أيام خورشيد باشا، وألزمهم بزراعتها وعدم تركها، مع دفع ضريبة عنها مما أغضب أحد زعماء الشايقية في مدينة شندي، وهو المك حمد الذي قام بتخريب مزارع الشايقية في شندي، انتقاماً من أحمد أبو ودان، وخرج بأهله ورجاله من مدينة شندي سالكاً الطريق بين النيل الأزرق ونهر عطبرة في طريقه إلى الحدود الحبشية . غير أن أحمد أبو ودان^٣ لحق به على رأس كتيبة من الفرسان مُصطحباً معه أحد زعماء الشايقية في مدينة شندي وهو المك كمبال ، وهاجم معسكره ففرَّ المك حمد مع عدد من رجاله وأسر أحمد أبو ودان معظم النساء والأطفال وعاد بهم إلى شندي .

صمَّ المك حمد على القيام بهجوم مُباغت على أحمد أبو ودان وتقدّم برجاله إلى مدينة شندي عبر طريق مهجور، وهاجم معسكر أحمد أبو ودان في

١ - ريتشارد هيل، على تخوم العالم الإسلامي، ترجمة عبد العظيم أحمد عكاشة، جامعة الخرطوم، قسم الترجمة، ١٩٨٤م ، رسالة ماجستير غير منشورة. ص ٧٥.

٢ - أندرس بيركلو، مرجع سابق ، ص ٢٧.

٣ - ريتشارد هل، مرجع سابق ، ص ١٣٤.

٤ - نعوم شقير، مرجع سابق، ص ٥٢١.

شندي قبيل الفجر وتحت جناح الظلام، وضرب ضربته وأحدث فوضى في معسكره، واستولى على بعض الخيول والجمال والأسلحة النارية، وخرج من المدينة فتبعه أحمد أبو ودان وأوقع به الهزيمة مرة أخرى وهو وفي طريقه نحو الحدود الحبشية، وقُتل في هذه المعركة المك كمال. وبعد أخذ ورد بين الطرفين استسلم المك حمد في مارس ١٨٣٩م، بعد أن عفا عنه أحمد باشا، وسمح للجنود الشايقية في مدينة شندي وقوادهم بالتنازل عن الأرض التي ظلوا يزرعونها منذ أيام خورشيد باشا، أما من أراد الاستمرار في زراعتها فعليه دفع ضريبة سنوية مُعينة، ورجع المك حمد لمزاولة الزراعة في أرضه من جديد وعاش في شندي بسلام .

عندما زار محمد سعيد باشا والي مصر السودان في عام ١٨٥٧م توقف بمدينة شندي في طريقه إلى الخرطوم، وفيها أعلن بحضور زعمائها وأعيانها - بعدما تبين له ما يعانیه الأهالي من ظلم وإرهاق في دفع الضرائب، وتسلب الباشبوزق في جمعها - عن عزمه على إعادة جميع الموظفين الأتراك إلى القاهرة، واستبدالهم بالأهالي لإدارة شئونهم بأنفسهم، وأصدر مرسوماً بإلغاء منصب الحكمدارية وربط كل مديرية بالقاهرة رأساً، وأسند جباية الضرائب للمشائخ والعمد وزعماء القبائل على أن يتم توريدها رأساً إلى خزينة المديرية. وأوصى سعيد بتشجيع الفلاحين على الاستقرار وعلى زراعة القمح والقطن وغرس الأشجار في الطرق، وأعلن تجاوزه عن كل متأخرات الضرائب. ثم تخلف أحد مستشاريه بأمره ليبقى في مدينة شندي بضعة أيام يبحث خلالها مع رجال الحكومة في شندي مسألة إنشاء مجالس بلدية تتألف بالانتخاب بين رؤساء العشائر المحلية، لتتولى بعض المهام في تسيير شئون المدينة .

١ - ريتشارد هل، مرجع سابق، ص ١٣٤.

٢ - مكي شببكية، مرجع سابق، ص ١٣٤.

٣ - زاهر رياض، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال ١٨٢٠-١٩٥٣م. ط١؛ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦١م. ص ٧٧.

٤ - محمد فؤاد شكري، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٩٩م. ط٢؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م. ص ٨٥.

بعد اندلاع الثورة المهدية وتأزم الأوضاع في السودان، أرسلت الحكومة المصرية الجنرال غردون لإخلاء السودان. ويبدو أن غردون قبيل سقوط الخرطوم وبعد قطع خطوط التلغراف بين بربر والخرطوم وبربر والقاهرة، وبعد أن سمع بإرسال حملة إنجليزية لإنقاذه فكّر في استخدام مدينة شندي كنقطة استطلاع أمامية لمعرفة أخبار الحملة التي أرسلت لإنقاذه، وربما فكّر في اللجوء إليها إذا ساءت الأحوال في الخرطوم وضيق الأنصار عليه الخناق لأنها أقرب مدينة للخرطوم من جهة الشمال لم تسقط في يد الأنصار، لهذا قام غردون بتجهيز ثلاثة وابورات بقيادة نصحي باشا وأمره بالذهاب إلى شندي لملاقاة الإنجليز في المتمة واستطلاع أخبارهم، وأرسل معه خشم الموس بك ليستميل سناجق الشايقية في شندي إلى جانبه، وكان ذلك في سبتمبر ١٨٨٤م وأمرهم بإرسال الأخبار والمعلومات إليه أولاً بأول مما زاد من حركة ونشاط البواخر بين شندي والخرطوم، الأمر الذي أشعر الأنصار المحاصرين لغردون في الخرطوم بالقلق، فأمر المهدي أنصاره ببناء الطوابي على النيل لمنع الوابورات من المرور ذهاباً وإياباً بين شندي والخرطوم، فبنوا طابية في الحلفاية وأخرى مُقابلة لها في خور شمبات في ديسمبر ١٨٨٤م. وفي يناير ١٨٨٥م حرّر الأنصار الخرطوم، وقبلها مدينة شندي التي دخلت بعدها في حقبة المهدية .

١ - ٣ - ٧ منطقة شندي في حقبة المهدية:

لم يكن من السهل على الجعليين نسيان ما فعله بهم الدفتردار، وما لحق بعاصمتهم شندي من دمار وتخريب مهما طال الزمن، لذلك ما إن اندلعت الثورة المهدية حتى وجد فيها الجعليون سانحة لإدراك ثأرهم القديم من الحكومة التركية والانتقام منها، وكان أول من تفاعل وتجاوب مع دعوة المهدية من الجعليين أحمد حمزة السعدابي من أسرة المك نمر، والذي التحق بالمهدي في كردفان وشهد معه معركة شيكان، وبعد نهاية المعركة أرسله المهدي أميراً على الجعليين في منطقة شندي ليدعو للمهدية ويشعل الثورة فيها .

١ - نعم شقير، مرجع سابق، ص ٨٤٩.

٢ - نعم شقير، مرجع سابق، ص ٧٨٧.

أما مدينة شندي والتي كانت ترابط فيها حامية مصرية، فإن أحمد حمزة السعدابي بعد عودته من كردفان إلى منطقة السبلوقة استعان بمجموعة من البطاحين وأخلاق من العرب النازلين في المنطقة، وتقدّم بهم إلى مدينة شندي وحاصر الحامية التركية المصرية الموجودة فيها . وظلّت الحامية في مدينة شندي تحت الحصار إلى أن جاء محمد الخير من كردفان إلى المتمة، وبايعته جموع الجعليين على طاعة المهدي وانضموا إليه، ولما علمت الحامية المصرية بقدم محمد الخير إلى المتمة، حاولت الخروج من مدينة شندي والتوجه شمالاً إلى بربر، ولكن محمد الخير باغتها بالهجوم ، فسقطت شندي في يد الأنصار في ١٨٨٤ م ، وكان سقوطها ضربة قوية لغردون في الخرطوم لأنه وبسقوط مدينة شندي تبخّرت أحلامه بوصول النجدة التي أرسلت لإنقاذه، وأصبح وحيداً في الخرطوم خاصة بعد أن نجح الأنصار في قطع خطوط التلغراف بين بربر وشندي في ١٥/٣/١٨٨٤ م .^٤

لم تكن منطقة شندي ذات شأن وأهمية في المهديّة، وظلّت على حالها السابق كما كانت على أيام الحكم التركي، كذلك لم تكن لمدينة شندي من وجهة نظر قادة المهديّة أيّ أهمية إدارية أو عسكرية، لذلك لاقت المنطقة والمدينة معاً إهمالاً شديداً في هذه الحقبة، خاصة وأن فترة المهديّة في السودان كانت في معظمها فترة حروب خارجية وقتن ومشاكل داخلية .

أظهر الخليفة عبد الله اهتماماً شديداً بمدينة المتمة في أواخر أيام حكمه، بسبب خشيته من تقدم جيوش كتشنر عبر الطريق الذي سلكته سرية الصحراء، التي أرسلت لإنقاذ غردون في الخرطوم عام ١٨٨٤م من كورتي إلى المتمة مباشرة، وأن يتقدم جيش كتشنر مباشرة إلى أم درمان سالكاً هذا الطريق لذلك أمر

١- نفس المرجع، ص ٧٨٨.

٢ - إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر. ط١؛ القاهرة: منشأة المعارف، ١٣١٩م. ج١، ص ١٣٧.

٣- زاهر رياض، مصدر سابق، ص ١٢٩

٤- ونستون تشرشل، حرب النهر، ترجمة عبد الله محمد سليمان. ط١؛ الخرطوم: دار جامعة القرآن الكريم، ١٩٩٩م. ص ٦١.

الخليفة عبدالله الأمير عثمان أزرق بحماية آبار أبو طليح، وأمر محمد ود بشارة باحتلال المتممة رئاسة الجعليين .

في أوائل يونيو ١٨٩٧م قرر الخليفة عبد الله إرسال جيش كردفان بقيادة محمود ود أحمد للتمركز في المتممة وأمر عبد الله ود سعد زعيم الجعليين أن يسند أمر المتممة وما جاورها من قُرى الجعليين لمحمود ود أحمد، وأن ينتقل هو بجموع الجعليين إلى مدينة شندي ويخلي المتممة ليعسكر فيها جيش محمود ود أحمد، وعندما رفض عبد الله ود سعد إخلاء المتممة، أوقع بهم محمود ود أحمد مجزرة هائلة راح ضحيتها أعداد كبيرة من الجعليين.

أما مدينة شندي فقد وصلها أحمد فضيل بجيشه، وصار الأنصار ينهبون كل ما وقعت عليه أعينهم فيها، وسببوا ضيقاً شديداً لسُكاتها الذين هربوا منها نحو أمدرمان ، وبعد نكبة المتممة عبر محمود ود أحمد بجيوشه النيل إلى مدينة شندي، ليكمل استعداداته فيها، وفي شندي التقى محمود ود أحمد بعثمان دقنة الذي كان قد وصل إليها وفي معيته ألف مقاتل من الهدندوة، وأنشأ فيها حصنين جديدين على النهر ، وعندما غادرا المدينة إلى جهة النخيلة، تركا فيها محطة وُضع فيها زوجات الأمراء، والمؤن الفائضة، وحامية صغيرة مؤلفة من سبعمائة من رجال البنادق وخمسة وعشرون من الخيالة .

بعد أن علمت مخابرات كتشنر بتحرك محمود ود أحمد من شندي إلى جهة النخيلة، قرر كتشنر الاستيلاء على مدينة شندي لتشتيت جهود الخليفة ولإحداث البلبلة في صفوف الأنصار، فزحفت عليها الكتيبة المصرية الثالثة من لواء لويس في يوم ١٨٩٨/٣/٢٤م عن طريق النيل بواسطة ثلاث بواخر وبعض المراكب، وفي فجر يوم ١٨٩٨/٣/٢٧م ظهرت هذه القوة النهرية قبالة مدينة شندي، وكان الأنصار قد أخطروا باقترابها واستعدوا للمقاومة، ولكن القوة التي كانت في مواجهتهم كانت كبيرة العدد، وتمَّ إنزال المشاة من أفراد الكتيبة المصرية الثالثة

١ - ونستون تشرشل، مرجع سابق ، ص ٢٢٠.

٢ - محمد سعيد معروف ومحمود علي نمر، مرجع سابق ، ص ٢٩.

٣- نفس المرجع، ص ٢٩.

٤- ونستون تشرشل، مصدر سابق ، ص ٢٧٠.

والمدافع تحت وابل من نيران مدفعية البواخر، ثم بدأت مدفعية الميدان في إطلاق نيرانها، ولكن ما أن أطلقت قذيفتين فقط على المدينة حتى انسحب الأنصار واحتلت القوة مدينة شندي، وأوكلت مهمة تعقب الأنصار المنسحبين من المدينة إلى الجعليين الذين قتلوا منهم حوالي مائة وستين رجلاً، أما زوجات أمراء الأنصار فقد تمكنن من الهرب إلى أم درمان، وسقطت بذلك مدينة شندي في يد قوات كتشنر ودخلت بعدها كل المنطقة في الحقيبة التي عُرفت باسم الحكم الثنائي أو الحكم الإنجليزي المصري للسودان.

١ - ٣ - ٨ منطقة شندي في حقيبة الحكم الثنائي:

الحكم الثنائي

١ - ونستون تشرشل، مصدر سابق، ص ٢٧٠.

الفصل الثاني

تاريخ التعليم الديني في منطقة شندي

٢ — ١ ملامح تاريخ وتطور التعليم الديني في السودان في الفترة من ١٥٠٥م وحتى ١٩٠٠م:

عُرِفَت الفترة الممتدة بين العامين ١٥٠٥ و ١٨٢١ في السودان بحقبة الممالك الإسلامية، التي تتابع ظهورها في بلاد السودان خلال تلك الفترة التي تميّزت بانتشار الثقافة الإسلامية في أجزاء واسعة من بلاد السودان، نتيجة للهجرات العربية التي وفدت إليه قبل هذه الفترة.

على الرغم من أن اتصال المهاجرين العرب بالسودان وسكانه قد بدأ قبل الإسلام بقرون عديدة، إلا أن هؤلاء المهاجرين لم يتمكنوا من نشر ثقافتهم في بلاد السودان في تلك الفترة بسبب قلة أعدادهم وانشغالهم بالتجارة. وعندما دخل الإسلام مصر انتقلت الثقافة الإسلامية إلى السودان، في ركاب الهجرات العربية الكثيفة التي وفدت إليه .

الهجرات العربية التي وفدت إلى السودان وصلت إليه إما عبر أسوان جنوب مصر، أو عبر الموانئ المطلة على البحر الأحمر ومن أهمها ميناء باضع على الساحل الغربي للبحر الأحمر . وقد استقرت مجموعات من المهاجرين الذين دخلوا السودان عبر البحر الأحمر على الساحل، بينما فضّلت البقية الأخرى التي دخلت عبر أسوان - وهم الأغلبية - التغلغل في عمق البلاد واختلطت بسكانها حتى إذا ما جاء القرن الرابع عشر الميلادي أصبح لهؤلاء المهاجرين السيادة على البلاد، وأصبحت اللغة العربية لغة السكان المحليين وأضحى الإسلام ديناً لهم .

بعد أن فتح العرب المسلمون مصر في القرن السابع الميلادي، اتجهوا بأنظارهم جنوباً نحو بلاد النوبة، فأرسل والي مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه حملة حربية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح لفتح بلاد النوبة، إلا أنها لم تتمكن من تحقيق هدفها المرسوم فأعقبتها محاولة أخرى في عهد والي عبد الله بن سعد بن أبي السرح، انتهت بعقد صلح بين النوبة والمسلمون في مصر عُرف بمعاهدة البقط، التي أقرت السلم على الحدود المشتركة بين البلدين، ونظمت العلاقات

١ - صلاح الدين الشامي، الموانئ السودانية. ط١؛ القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦١م. ص ٦٤.

٢ - شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق، تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم. ط١؛ القاهرة: دار

الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م. ص ٦٢.

٣ - صلاح الدين الشامي، مرجع سابق، ص ٧٤.

٤ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٤.

التجارية والاقتصادية بين الدولتين. وقد ظلَّت هذه المعاهدة سارية لمدة ستة قرون تقريباً ، تسربت خلالها وبصورة مستمرة المؤثرات العربية والإسلامية لبلاد النوبة، وأخذ الإسلام ينتشر تدريجياً نتيجة لهجرة القبائل العربية من مصر بسبب التطورات السياسية فيها وضعف سلطة ملوك النوبة . وترتب على ذلك انتشار الإسلام اللغة العربية في بلاد النوبة .

٣

تتابع الهجرات العربية من مصر وتوالي الحملات التأديبية التي كان يشنها سلاطين المماليك في مصر على بلاد النوبة في القرن الثالث عشر الميلادي، كان عاملاً مُهماً في سقوط الممالك المسيحية فيها عند منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ، وتدفق المجموعات العربية نحو حوض النيل الأوسط وكردفان وأواسط السودان، وبالتالي سقوط مملكة علوة المسيحية في القرن السادس عشر الميلادي، على يد مجموعة مُتحالفة من العرب والفونج، في عام ١٥٠٤م ، وقد مهَّد هذا الحدث المهم لقيام ممالك إسلامية في سنار ودارفور وكردفان، وذلك في القرن السادس عشر الميلادي بالتزامن مع امتداد النفوذ العثماني على مصر والشام والعراق، مما تسبَّب في موجات أخرى من الهجرات العربية من هذه الأقطار للسودان، كان من بينها جماعات من العلماء الذين وجدوا استقبالاً طيباً من حُكَّام الممالك الإسلامية في السودان الذين أحاطوهم بالرعاية والاهتمام وأغدقوا عليهم الهبات وأقطعوهم الأراضي .

٧

بعد قيام الممالك الإسلامية في السودان بدأت تتجلى رغبات سلاطينها في نشر الثقافة العربية والإسلامية في ممالكهم عن طريق أولئك العلماء الذين عملوا

١ - شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق، مرجع سابق، ص ١٦١.

٢ - يوسف فضل حسن وآخرون، من معالم تاريخ الإسلام في السودان. ط١؛ الخرطوم: دار الفطر للطباعة والنشر، بدون تاريخ. ص ٢٦.

٣ - شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق، مصدر سابق، ص ٦٢.

٤ - زاهر رياض، مرجع سابق، ص ١١.

٥ - نفس المرجع، ص ١١٥.

٦ - نفس المرجع، ص ١١٨.

٧ - ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث. ط٣؛ الخرطوم: الدار السودانية، ١٩٨٨م. ص ١٦٠.

بجد لتحقيق هذه الرغبات . وترتّب على ذلك ظهور نمط تعليمي يلبي تلك التطلعات يقوم على حفظ القرآن الكريم وتعلّم القراءة والكتابة وإشاعة العلوم والمعارف الإسلامية الأولية بين عامة الناس، خاصة المسائل المتعلقة بالعقيدة والشعائر الدينية للمسلم.

قبل قيام الممالك الإسلامية في السودان كان انتشار الإسلام في السودان يتسم بالبطء وكان الاهتمام آنذاك مُنصباً حول إدخال أكبر قدر من السكان في الإسلام على يد الدعاة الذين كان أغلبهم من التجار ممن اهتموا بنشر السمات العامة للإسلام، وذلك إما بسبب عدم استنادهم على خلفيّة دينية عميقة، أو بسبب انتقالهم السريع من منطقة إلى أخرى سعياً وراء الرزق. و يجدر بنا أن نلاحظ هنا أن انتشار الإسلام في هذه الحقبة قد قابلته في الجانب الآخر ضعفاً في الكنيسة النوبية، تسبب فيه الضغط الذي مارسه العرب المسلمون على كنيسة الإسكندرية التي عجزت عن ترميم الجسور بينها وبين الكنيسة النوبية التي أضعفها انتشار الإسلام في بلاد النوبة .

٢

لم يكن التجار وحدهم من حمل لواء الإسلام في بلاد السودان، فقد شاركهم في نيل هذا الشرف بعض العلماء الذين كانت لهم إسهاماتهم الملموسة في نشر الإسلام بصورة أعمق، وإن لم تكن بمثل الكثافة التي تميزت بها مجهودات التجار ولا النتائج التي تحققت على أيديهم ، وقد كان غلام الله بن عمّائد الذي قدم من اليمن في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي من أبرز هؤلاء العلماء، وذلك من خلال إقامته في مدينة دنقلا بشمال السودان التي بنى فيها المساجد، وأنشأ الحلقات لتدريس القرآن والعلوم الدينية لأبنائه وأبناء المسلمين في المنطقة. أيضاً من العلماء الذين وفدوا إلى السودان في القرن الخامس عشر الميلادي الشيخ حمد أبو دنانة الذي قدم من الحجاز، واستقر في منطقة سقادي غرب الواقعة قُرب المحمية، وأخذ يعمل بالدعوة للطريقة الشاذلية ، كذلك وفد الشيخ محمود العركي

١ - سعاد عبد العزيز أحمد، مرجع سابق، ص ١٣ .

٢ - يوسف فضل حسن وآخرون ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

٣ - نفس المرجع ، ص ٤٦ .

٤ - سعاد عبد العزيز أحمد، مرجع سابق ، ص ١٥ .

٥ - يوسف فضل حسن وآخرون ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

من مصر في القرن السادس عشر الميلادي وأقام بمنطقة النيل الأبيض، ثم جاء من بعده الشيخ تاج الدين البهاري الذي قدم من بغداد ثم الشيخ التلمساني المغربي .^١

على الرغم من مجهودات هؤلاء العلماء، فقد ظلَّ الإسلام المنتشر في بعض مناطق السودان اسماً بسبب الفوضى السياسية والاجتماعية التي ظلت تضرب بأطنابها في كل البلاد، ولم تتبدد هذه الفوضى إلا بعد قيام السلطنة الزرقاء، فاستقرت الأوضاع السياسية والاجتماعية فيها، وأصبحت البيئة صالحة لنشر الإسلام بصورة أشمل وأعمق مما كان عليه الحال من قبل .^٢

كذلك شهدت فترة قيام السلطنات الإسلامية في السودان ارتحال بعض السودانيين إلى مصر والحجاز طلباً للعلم في مكة والمدينة والقاهرة، وعودتهم إلى السودان للمشاركة مع العلماء والمتصوفة الوافدين من خارجه في تعليم أبنائه أصول العقيدة الإسلامية، وترسيخ مفاهيمها على أسس سليمة وقواعد صلبة. وقد كان لهؤلاء الرواد من العلماء ورجال الدين أثرهم العميق الذي خلفوه في السودان تبعاً للمنطقة التي قدموا منها، أو التي تلقوا علومهم فيها، فالقادمون من مصر كان جُلهم من الفقهاء والوافدين من الحجاز غلب عليهم الأثر الصوفي، بينما ساهم التيار المغربي والقادمون من أواسط بلاد السودان - وهو آخر التيارات الوافدة للسودان - في إثراء كل من الطابع الفقهي والصوفي معاً .^٤

هذا الاستقرار الذي تعاضم بنيانه في المجتمع السوداني تحت ظل سلاطين الممالك الإسلامية واهتمام العلماء الوافدين بالإسلام الحاملين ، نجم عنه انتشار المساجد في بقاع السودان المختلفة وبرزها كمؤسسات تعليمية تهتم أساساً إلى جانب وظيفتها الأساسية كدور للعبادة بدراسة علوم القرآن والسنة، بغرض^٥

١ - أحمد بن الحاج أبو علي، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية، تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل. ط١؛ الخرطوم: الدار السودانية للكتب، ٢٠٠٩م. ص ٢٦-٢٧ .

٢ - يوسف فضل حسن وآخرون ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

٣ - زاهر رياض، مرجع سابق ، ص ١٨ .

٤ - يوسف فضل حسن وآخرون ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

٥ - شوقي الجميل وعبد الله عبد الرازق، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

الوصول إلى هدف أكبر وهو التفقه في الدين والتعمق في الدراسات الفقهية. وقد ترتب على ذلك ظهور نمط من النظام التعليمي يهدف إلى إشباع رغبات المجتمع في تلك الفترة بحكم ملاءمته لمتطلباته ، وهو نظام شبيه بالنظم التعليمية التي كانت سائدة في أوساط المجتمعات العربية آنذاك، التي بدأت بالمسجد ثم تطوّرت وخرجت من بعد ذلك إلى مدارس مخصصة لأغراض التعليم .

وكما كان الحال في كل أنحاء العالم الإسلامي أصبح المسجد مكاناً للعبادة ومدرسة في نفس الوقت في السودان، وقد اشتهرت بعض المساجد في السودان في تلك الحقبة بتدريس القرآن الكريم وحده، ومساجد أخرى بتدريس علوم الفقه، بينما جمعت بعض المساجد بين المنهجين، فاشتهرت مساجد الغُباش في بربر بتدريس القرآن وقراءاته وأحكامه، وكذلك الحال بالنسبة لبعض مساجد نوري بديار الشايقية، أما المساجد التي اهتمت بتدريس علوم الفقه، منها مسجد الفقيه أرباب بن علي الذي نشأ بتوتي ثم هاجر إلى الخرطوم، ومسجد عبد الرحمن بن جابر الذي اهتم في مساجده الثلاث بديار الشايقية بتدريس فقه المالكية والعلوم الفقهية الأخرى. والواقع أن ثقافة العالم وبراعته كانت هي التي تقرر نوع الدراسة، التي تجرى في المسجد المعني ، وقد يتغير النشاط العلمي في المساجد تبعاً للخلفية العلمية للفقيه الذي يعمل فيه .

في عام ١٨٢١م غزت الجيوش التركية المصرية بلاد السودان وأخضعتها لسيادتها وأقامت فيها أول حكومة مركزية في تاريخ السودان الحديث على أنقاض الممالك القائمة فيه باستثناء إقليم دارفور الذي لم يدخل تحت مظلة الحكم التركي المصري للسودان إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي على يد الزبير باشا رحمة. ومنذ البداية انصبَّ اهتمام المصريين في السودان نحو استغلال موارده البشرية والاقتصادية دون الالتفات لأي أمر آخر. غير أنه وبمرور الزمن تبددت آمال الإداريين المصريين في السودان ومن ورائهم حكومة القاهرة في

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

٢ - سعاد عبد العزيز أحمد، مرجع سابق، ص ١٦ .

٣ - ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص ٦١-٦٢ .

الاستفادة من موارد السودان المختلفة، بعد أن فشلت محاولات محمد علي باشا في الحصول على ذهب السودان بالكميات التي كان يحلم بها أو سمع عنها، وكذلك تقلّصت أعداد الزنوج السودانيين الذين كان الحصول عليهم من أهم أهداف الغزو، بعد إلغاء تجارة الرقيق نتيجة للضغوط الأوروبية على مصر .

في بداية الحكم التركي المصري للسودان لم ينل التعليم الكثير من الاهتمام، وتميّزت النظرة المصرية له بالجمود بسبب انصراف محمد علي وإداريه لاستغلال ثروات البلاد إضافة إلى التأثير السلبي الذي خلفته الاضطرابات السياسية والعسكرية التي حدثت في بدايات هذا العهد على المؤسسات التعليمية التي كانت قائمة، خاصة بعد اغتيال إسماعيل بن محمد علي في شندي، وما جرّه على البلاد من فظائع ارتكبتها الدفتردار راح ضحيتها عدد من العلماء والفقهاء .

هذا الجمود الذي لازم التعليم في بداية الحكم التركي المصري للسودان سرعان ما تبدّد ولكن على نحو محدود بعد مرور فترة زمنية قصيرة، حيث أظهر محمد علي باشا بعض الاهتمام بالتعليم في السودان، وذلك بمنح الهبات والإعانات لخلوى ومدارس القرآن وعلماء الدين ، وكذلك قام محمد عليّ عقب زيارته للسودان في عام ١٨٣٨-١٨٣٩م باختيار ستة من الطلاب السودانيين وأرسلهم إلى مصر للالتحاق بمعاهدها الزراعية لنقل الخبرات الزراعية للسودان الأمر الذي أوقد الرغبات في نفوس الطلاب السودانيين للالتحاق بالمؤسسات التعليمية في مصر، فتكاثرت أعدادهم فيها حتى أنشئ لهم رُواقاً خاصاً بهم في الأزهر سُمي برواق السنارية في ١٨٤٦م .^٤

في عهد عباس (١٨٥٤-١٨٤٨م) الذي خلف جده محمد علي على عرش مصر ظلّ التعليم الديني في السودان على ما كان عليه، واستمرت الخلوى ومساجد العبادة والعلم تتلقّى الإعانات من الحكومة التي ظلّت محافظة على نهجها

١ - حسن أحمد إبراهيم، رحلة محمد علي باشا إلى السودان ١٨٣٨-١٨٣٩م. ط١؛ الخرطوم، ١٩٨٠م. ص ١٤.

٢ - أحمد بن الحاج علي، مصدر سابق، ص ١٠٨.

٣ - أحمد أحمد سيد أحمد، رفاة رافع الطهطاوي في السودان. ط١؛ ١٩٧٣م. ص ٦٢.

٤ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٤٠-٤١.

الداعم للخلاوى والمساجد، وقد استفاد كذلك بعض الفقهاء الذين حفظوا القرآن في الخلاوى من أساتذة مدرسة الخرطوم الابتدائية التي أسسها عباس في الخرطوم عام ١٨٥٣م في المسائل المتعلقة بالتجويد وعلوم القراءات . و بعد وفاة عباس^١ جلس على عرش مصر محمد سعيد باشا (١٨٦٣-١٨٥٤م) الذي سار على نهج سلفه في تشجيع التعليم الديني في السودان، بتقديم الإعانات والإعفاءات الضريبية والمرتببات لشيوخ الخلاوى في مناطق مُتفرقة من السودان .^٢

في عام ١٨٦٣م اعتلى عرش مصر الخديوي إسماعيل (١٨٧٩-١٨٦٣م) الذي كان كجده محمد علي طموحاً وذو نظرة ثاقبة وفكر مُتقدم. ومنذ اعتلائه للعرش في مصر انخرط إسماعيل في إجراء الإصلاحات الإدارية في مصر والسودان، كما أولى التعليم قدراً من اهتمامه وعنايته الخاصة، التي تجلت في تشجيعه للتعليم الديني في السودان بمنحه الإعانات للخلاوى والمساهمة في إنشائها وتكفّله بدفع مُرتببات فقهاؤها وشييوخها . كما وضعت في عهدّه خطة لتطوير الخلاوي القائمة في السودان وإصلاح شأنها، وقد قضت الخطة بتعيين موظف سوداني لكل مديرية للإشراف على سير التعليم بالخلاوي فيها، ووضع مقررات جديدة للدراسة، كما نصّت الخُطة على تعيين مفتش تعليم سوداني بالخرطوم تُوكل إليه مهمة الإشراف على السياسة التعليمية في المديریات، غير أن هذه الخطة الطموحة لم تجد طريقها للتنفيذ ، وإن كانت موافقة إسماعيل عليها دليلاً واضحاً على اهتمامه ودعمه للتعليم الديني في السودان.

بعد تنحّي إسماعيل باشا في ١٨٧٩م اعتلى عرش مصر الخديوي محمد توفيق الذي سار على نفس سياسة سلفه في مصر والسودان. واستمرت مؤسسات التعليم الديني في السودان تقوم بعملها على الوجه الأكمل في ظل تراجع التعليم النظامي الذي تأثر سلباً بالخطوة التي اتخذها غردون بإغلاق المدارس الابتدائية

١ - نفس المرجع، ص ١٨ .

٢ - أحمد أحمد سيد أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

٣ - زاهر رياض ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

٤ - ضرار صالح ضرار، مرجع سابق ، ص ٩٧ .

٥ - سعاد عبد العزيز أحمد، مرجع سابق، ص ١٩ .

في السودان في العام ١٨٧٧م، وقد أعاد هذا القرار النُظم التعليمية في السودان إلى صورتها القديمة باستثناء النشاط التبشيري الذي بدأ ينتظم منذ عهد الخديوي عباس .

في عام ١٨٨٥م انتصرت الثورة المهديّة وطُرد المصريين من السودان الذي أصبح في قبضة رجال الثورة وزعيمها المهدي، الذي شرع في تنفيذ برنامج الذي قاده إلى سُدة الحُكم في أم درمان. وبالطبع لم ينس المهدي الموقف السلبي لعُلماء الدّين تجاه دعوته ووقوفهم إلى جانب السُلطة التي كانت قائمة آنذاك ، لذلك لم تجد النُظم التعليمية الحديثة - التي أدخلها المصريون - أو بقاياها أيّ تعاطف من جانب المهدي ورجال دولته . وهذا الموقف من جانب المهدي وقادته لا يشير بالضرورة هنا إلى أنّه كان يتخذ مواقف سلبية من التعليم عامة، بل على العكس من ذلك فقد كان المهدي يدعو إلى الاهتمام بعلوم الدين وتخليص الإسلام من الشوائب التي لحقت به، والاهتمام بالقرآن وعلوم الحديث ، وهذا هو جوهر الدعوة المهديّة. كما أن المهدي نفسه عمل في مجال التعليم الديني وأنفق من وقته في تعليم أبنائه واشتهر في أبا كمعلم ومُربي للصبيان .

وعلى ذلك فإننا نجد أن التعليم النظامي الحديث الذي أدخله المصريون في السودان منذ العام ١٨٥٣م تأثر بنظرة المهدي المُنحازة للتعليم الديني، الذي كان سائداً في السودان، وبكراهية المهدي لكل ما هو مصري أو مُرتبط بالمصريين، كما تأثر بعقيدة المهديّة التي كانت تقدم الجهاد على ما سواه . وعموماً فقد تأثر التعليم الديني بالواقع السياسي الجديد في السودان والمُتمثل في ظهور دولة المهديّة المُثقلة بمرارات الحُكم المصري للبلاد، الشيء الذي أحدث توتراً في العلاقات بين البلدين في هذه الحقبة، حيث نظرت الثورة المهديّة بريية وشك إلى كل ما هو

١ - مكي شببكة ، تاريخ شعوب وادي النيل، مرجع سابق، ص ٥٠٤.

٢ - نفس المرجع، ص ٦٥٤.

٣ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٥٥.

٤ - نعوم شقير، مرجع سابق، ص ٩٤١.

٥ - ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص ١٠٤.

٦ - محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهديّة. ط٣؛ الخرطوم، ١٩٨٩م. ص ١٦٧.

مصري أو على صلة بمصر، فقلّت تبعاً لذلك حركة السودانيين نحو مصر وانعكس هذا الواقع على طلاب العلم الذين كانوا يهاجرون إلى مصر لتلقي العلم في معاهدها التعليمية، كما تأثر التعليم أيضاً بعدم الاستقرار الذي شهده السودان في تلك الحقبة، والذي تسببت فيه النزاعات الداخلية والحروب الخارجية التي شهدتها حقبة المهديّة. وزاد من تفاقم هذا الوضع التوجيهات التي أصدرها المهدي والتي قضت بتحجيم الطُرق الصوفية ومنع تداول الكتب والتضييق على العلماء، وقصر التعليم على علوم القرآن والحديث، وقبل كل ذلك كانت الثورة قد قضت على النشاط التبشيري وأغلقت مدارس الإرساليات التي تمّ فتحها إبان الحكم المصري للسودان .

٢

أما فيما يتعلق بالتعليم الديني فقد كانت عناية المهدي بالقرآن الكريم كبيرة حتى أنّه أبقى على الخلاوى التي كانت تضطلع بدورٍ مهم في تحفيظ القرآن، وسمح بإنشاء خلاوى جديدة إضافة إلى ما كان قائماً كما أمر بعدم خروج شيخ الخلوة في الجهة المعنية للجهاد، إلا إذا خرج إليه أمير الجهة بنفسه، وقد كان من أهم أنشطة التعليم والتربية في حقبة المهديّة الدروس التي كان يلقيها المهدي بنفسه على أتباعه في مجالات التفسير وعلوم الحديث والوعظ.

في عهد الخليفة عبد الله وعلى الرغم من انشغاله الشديد بالمنازعات الداخلية والحروب الخارجية التي شهدها السودان في عهده، إلا أنّه كان يُولي اهتماماً خاصاً بالتعليم فشرع في إشاعة حفظ القرآن بين الأنصار، ورُوى أنّه في عام ١٨٨٦م كان قد أمر بأن يُعد له أربعة آلاف وخمسمائة لوح ليكتب عليها الأنصار سُور القرآن الكريم، وأن يتعلموا قراءة الفاتحة والمعوذتين، كما أمر الصبيان بالقراءة و الكبار بالإلمام بمبادئ التعليم الثلاثة القراءة، والكتابة والحساب مع حفظ القرآن الكريم .

١ - ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، ص ١٦٠.

٢ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٥٥.

٣ - محمد إبراهيم أبو سليم، مصدر سابق، ص ١٩٧.

٤ - معتصم أحمد الحاج، التعليم الأهلي في أمدرمان. ط١؛ الخرطوم: مطبعة البشير، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، ٢٠٠٢م. ص ٥.

٥ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٥٥.

هذا الاهتمام الكبير من الخليفة عبد الله بالتعليم الديني ساهم في جعل أم درمان مركز جذب وإشعاع ديني في السودان نتيجة لانتشار الخلاوى فيها وتكفل بيت المال بدفع مرتبات شيوخها من العلماء الذين قامت على أكتافهم حركة علمية قوامها مجموعة من الكتب والمؤلفات التي تم تصنيفها بواسطة هؤلاء العلماء ونشرها بواسطة المطبعة الحكومية التي استولى عليها المهدي بعد تحرير الخرطوم، وقد برز من هؤلاء العلماء إسماعيل عبد القادر، والطاهر ود تاتاي، وعضو الكريم المسلم، والحسين ود الزهراء .^٢

على الرغم من أن المهدي قد قامت بالقضاء على المدارس التبشيرية في السودان وما تبقى من التعليم النظامي المصري، إلا أن هذا لم يمنع الخليفة عبد الله من الاستفادة من خريجي هذه المؤسسات واستخدامهم في شئون إدارته، فأصبحوا يمثلون عماد العمل المكتبي والفني في دواوين الحكومة في عهده ، هذا إلى جانب ما شهدته حقبة المهدي من نشاطات علمية ملموسة في شرق السودان تولى زمام أمرها الشيخان المجذوب أبوبكر يوسف ومحمد المجذوب الطاهر من المجاذيب . في فترة حكم الخليفة عبد الله تراجعت العلاقات الثقافية بين السودان ومصر بسبب العداء بين نظامي الحكم في البلدين، والذي استمر حتى نهاية المهدي لذلك لم تعد معاهد مصر قبلة للطلاب السودانيين لتلقي العلم كما تأثر التعليم أيضاً في السودان بالحروب الكثيرة التي شهدتها المهدي، والضربة التي تلقاها التعليم النظامي الذي وضعت لبناته الأولى إبان الحكم المصري، فقد توقف وحل محل تعليم ديني في عدد من الخلاوى التي أصبحت السبيل الوحيد للتعليم في السودان حتى مطلع القرن العشرين .^٦

١ - معتصم أحمد الحاج، مرجع سابق، ص ٥.

٢ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٥٦.

٣ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٥٧.

٤ - سعاد عبد العزيز أحمد، مرجع سابق، ص ١٩.

٥ - محمد إبراهيم أبو سليم ، مصدر سابق، ١٩٧.

٦ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٥٧.

٢ - ٢ التعليم الديني* في منطقة شندي:

المقصود بالتعليم الديني هنا ذلك النمط من التعليم الذي عُني بدراسة القرآن الكريم وحفظه، وتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الفقه لليافعين، ومن رغب في ذلك من الناضجين ممن لم يجد حظاً منه في طفولته ، مُتخذاً من المساجد والخلاوي مُطلقاً له. وهذه هي الصفة التي ظهر عليها التعليم عند المسلمين في صدر الإسلام في الحجاز، ثم انتشر بعد ذلك في المناطق التي انتشر فيها الإسلام خارج الجزيرة العربية، ومن بينها السودان الذي بدأ يتعرّض للمؤثرات الإسلامية القادمة من مصر منذ القرن السابع الميلادي!

ارتبط ظهور وانتشار التعليم الديني في منطقة شندي بانتشار الإسلام والثقافة العربية فيها نتيجة لاستقرار المجموعات العربية المهاجرة من مصر في منطقة حوض النيل الأوسط، وهي جزء من المنطقة التي تشكّل منها السودان الذي سادت فيه الثقافة العربية والإسلامية منذ القرن الرابع عشر الميلادي. وقد شهد القرن السادس عشر الميلادي في السودان - كما رأينا - قيام الممالك الإسلامية التي نشطت تحت ظلها حركة علمية نشطة، ساهمت في إرساء وتدعيم الثقافة العربية

* مصطلح التعليم الديني هنا لا يبدو دقيقاً إذ أنه ليس بالضرورة أن تشير كلمة ديني إلى الدين الإسلامي على وجه الخصوص وهو الأساس الذي قام عليه ذلك النمط والظن عندي أن استخدام مصطلح التعليم التقليدي بدلاً عن التعليم الديني ربما يكون أقرب ملامسة لجوهر المعنى أو الموضوع المراد طرقة وذلك تحسباً لعواقب الخوض في دراسة أنماط أخرى من التعليم الديني غير ذات صلة بالدين الإسلامي ربما تكون قد عاصرت النمط المراد طرقة في منطقة الدراسة . على أنه يجب الإشارة هنا إلى أن منطقة شندي ومنذ سقوط مملكة علوة المسيحية في مطلع القرن السادس عشر وربما قبل ذلك التاريخ يزمن قليل ، ظلت خاضعة وبشكل ربما يكون كاملاً للمؤثرات الإسلامية التي سادت في أجزاء واسعة من السودان الشمالي . من جانب آخر فإن استخدام مصطلح التعليم الديني ربما يوحي بأنه ذلك النمط من التعليم المتعلق بالعلوم الدينية فقط دون العلوم الأخرى التي أصبحت جزءاً من التعليم الديني في السودان في فترات لاحقة الأمر الذي سنضطر معه إلى تجاهل التطورات التي لحقت بنظام الخلاوي في السودان في النصف الأول من القرن العشرين وهذا ما لا نسعى إليه.

١ - عبد العزيز أمين عبد المجيد، التربية في السودان في القرن التاسع عشر والأسس النفسية والاجتماعية التي قامت عليها. ط١؛ القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٤٩م. ج١، ص٨٠.

٢ - يحيى محمد إبراهيم ، تاريخ التعليم الديني في السودان. ط١؛ الخرطوم: دار الجبل، ص٢٤.

٣ - عبد العزيز أمين عبد المجيد، مرجع سابق، ج١، ص٨٤

والإسلامية واستمرت لعدة قرون وامتدت آثارها لتشمل معظم مناطق السودان في سنار وكردفان ودارفور. وعلى هذا فإن منطقة شندي تُعدُّ جزءاً أصيلاً من الحركة العلمية التي انتظمت السودان في القرن السادس عشر الميلادي وما تلاه من قرون من خلال المراكز العلمية التي نشأت فيها، من منطقة أم علي شمالاً وحتى حجر العسل جنوباً على الضفة الشرقية للنيل في قرى جبل أم علي وشندي ومويس والفجيجة وقوز العلم والمشرع الأحمر (ديم أم طريقي) وجزيرة مرينات .

في القرن السابع عشر الميلادي حُظيت منطقة شندي بشهرة واسعة نتيجة لانتشار المراكز العلمية فيها، ولموقعها الجغرافي المميز والمتمثل في وقوعها على أهم طريقين للتجارة في بلاد السودان:

الأول: هو الذي يربط بين دارفور وكردفان غرباً، وسواكن شرقاً وهذا الطريق بالإضافة لأهميته التجارية، فقد كانت له أيضاً أهمية دينية باعتباره معبراً للحجيج القادمين من بلاد الهوسا والبرنو إلى الحجاز عبر البحر الأحمر .

الثاني: هو الذي يصل ما بين الحبشة وسنار جنوباً ومصر شمالاً، وهذا الموقع الجغرافي المميز جعل منطقة شندي بمثابة مُلتقى ومُفترق طرق تجارية مهمة، تحتم على كل رائح أو غاد من وإلى أواسط وشرق وغرب السودان بالمرور عبرها من خلال استخدامه أحد هذين الطريقين اللذين يُرجَّح أن تكون معظم الهجرات العربية التي توغلت إلى أواسط السودان قد مرّت عبرهما، ولعلّ هذا هو السبب الذي دفع البعض لأن يُطلق على منطقة شندي اسم دار الأبواب أو بلاد الأبواب .

الموقع الجغرافي المميز الذي حُظيت به منطقة شندي أضفى عليها جاذبية ساهمت في لفت أنظار العناصر العربية التي اشتهرت باسم المجموعة الجعلية، فتوافدت على المنطقة واستقرت فيها وتمكنت من تأسيس كيان سياسي خاص بها عُرف باسم مملكة الجعليين، بعد أن شاركت مع المجموعات العربية المتحالفة مع

١ - حمدنا الله مصطفى حسن، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان ١٨٤١-١٨٨١م. ط١؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م. ص ١٧٧.

٢ - محمد ود ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل حسن. ط١؛ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ١٩٧١م. هامش ص ٤٣.

الفونج في إسقاط مملكة علوة المسيحية، والقضاء على ما كانت تمثله من خطر على استقرارها في تلك المنطقة، وقد ساعد ذلك على خلق بيئة صالحة لاستقرار تلك العناصر وبالتالي اتجاهها نحو إشباع رغباتها المختلفة .

المراكز العلمية التي قامت في منطقة شندي في القرن السابع عشر الميلادي دائماً ما يُنظر إليها على أنها تمثل امتداداً للمراكز العلمية الأكثر شهرة في شمال السودان، وأنها مدينة في ظهورها وشهرتها لتلك المراكز والتيارات العلمية الوافدة منها. غير أن ذلك لا ينفي بالضرورة حقيقة أن المراكز العلمية التي ظهرت في منطقة شندي، مدينة أيضاً في ظهورها لمراكز علمية محلية ربما تكون قد ظهرت قبل تلك المراكز العلمية الشهيرة - في منطقة شندي - نتيجة لظروف موضوعية متمثلة في الحاجة الروحية لمجتمعات منطقة شندي قبيل ظهور مراكزها العلمية الشهيرة تلك .

على الرغم من أننا لم نلتمس في ما وقع بأيدينا من مصادر ما يشير إلى قيام تلك المراكز أو مسمياتها أو أماكن ظهورها. إلا أنه من المحتمل أن تكون هنالك بعض المراكز العلمية قد نشأت في منطقة شندي بغرض إشباع رغبات المجتمع - في منطقة شندي - الروحية المتمثلة في دراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما يعين المسلم على أداء شعائره الدينية، وهذا ما درجت عليه المجتمعات العربية المهاجرة التي ابتعدت عن أوطانها واختلطت بمجموعات سكانية أخرى، مثلما هو الحال عند قبيلة الجعليين التي استقرت في منطقة شندي .

٢ - ٢ - ١ نشأة التعليم الديني في منطقة شندي:

لا نعرف يقيناً متى بدأت مظاهر انتشار التعليم الديني في منطقة شندي في الظهور ولا حتى أماكن ظهورها، ولم نعثر في ما وقع بأيدينا من مراجع ما يشير صراحة لهذه المسألة، غير أنه واستناداً على حقيقة أن التعليم الديني في السودان قد ظلّ مُلازماً لتحركات المجموعات العربية المهاجرة فمن المفيد هنا أن نربط بين بداية التعليم الديني في منطقة شندي وبداية استقرار المجموعات العربية في المنطقة، ونشير هنا بصورة خاصة إلى المجموعة الجعلية باعتبارها أولى المجموعات العربية التي استوطنت في المنطقة.

لا يُعرف على وجه التحديد متى تكوّنت قبيلة الجعليين التي اتخذت من منطقة شندي مُستقراً لها، ولكن استناداً على ازدياد وتيرة الهجرات العربية للسودان والعوامل المُحفزة لها، وعلى حقيقة ظهور القبيلة في القرن السادس عشر الميلادي في منطقة شندي ، فإن ظهور قبيلة الجعليين يكون قد حدث قبل القرن السادس عشر الميلادي، وربما في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي أو مطلع القرن الخامس عشر الميلادي.

على الرغم من أن تحديد الحقبة التاريخية التي تكوّنت فيها قبيلة الجعليين يُعدُّ أمراً ضرورياً للنظر في بدايات التعليم الديني في منطقة شندي، إلا أنه قد يكون غير ذا جدوى إذا لم نتيقن بأن ميلاد القبيلة قد تمَّ فعلاً في منطقة شندي وهو أمرٌ مختلف عليه حتى الآن. وهذا الاختلاف يجعلنا نتحدّث بحذر شديد عن بداية نشأة التعليم الديني في منطقة شندي استناداً على الحقبة التاريخية التي تكونت فيها قبيلة الجعليين التي ربما تكون قد تكوّنت خارج منطقة شندي الحاليّة كما ذكر الفحل الفكي الطاهر .

٣

استناداً على ما ذكره الرحالة اليهودي ديفيد روبيني في مذكراته عن مملكة الجعليين شمال الشلال السادس ومقابلاته لملكها المُسمّى أبو عقرب . يمكننا أن نطمئن إلى أن قبيلة الجعليين إذا لم تُكن قد وُلدت في منطقة شندي الحالية، ربما تكون قد استقرت فيها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، أو مطلع القرن السادس عشر الميلادي تقريباً وأنها استطاعت أن تنشئ لنفسها ذلك النمط من التعليم الديني أو المراكز العلمية التي ظلَّ دورها قاصراً على تعليم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ آيات القرآن الكريم وشيء من السنة المطهرة في المساجد التي أقامها الجعليون في منطقة شندي. وفي هذا الصدد يجب أن نشير هنا إلى ما ذكره الفحل الفكي الطاهر في كتابه تاريخ وأصول العرب في السودان، من تعجُّب أهل

١ - جعفر محمد دياب، مصدر سابق، ص ١٦ .

٢ - الفحل الفكي الطاهر، مرجع سابق، ص ٦ .

٣ - نفس المرجع، ص ٦ .

٤ - Hillelson. Op.ct.16. -

البادية عند رؤيتهم منارة المسجد الذي شيّده الأمير ضواب بن غانم في شندي ، وفي ذلك إشارة إلى أن الجعليين في شندي قد شيّدوا المساجد لإقامة صلواتهم و لتعليم أبنائهم، وهذا لا ينفي بالطبع أن العديد من أبناء منطقة شندي ربما كان يُهاجر إلى المراكز العلمية في شمال السودان طلباً للعلم أو للاستزادة منه بعد أن يكون قد نال قدراً بسيطاً منه في منطقة شندي، ونسوق على ذلك مثلاً قصة وَلَدَيِّ الحاج فايد اللذين ذهبا إلى بربر لإغراء الشيخ المضوي للقدوم إلى شندي ليستكتملا تعليمهما ، في إشارة واضحة على وجود نمط تعليمي محدود في منطقة شندي .

شهد القرن السابع عشر الميلادي تطوّراً ملحوظاً في مجال التعليم بمنطقة شندي، نتيجة لوفود مجموعة من العلماء والفُقهاء من المراكز العلمية الشهيرة داخل السودان إليها واستقرارهم فيها، بعد أن أقاموا فيها مراكز ومدارس للعلم أصابت شهرة عظيمة في جميع أنحاء السودان، وأغرّت أعداداً كبيرة من طالبي العلم في ذلك الوقت للنتلمذ على يد هؤلاء العلماء والفُقهاء، الذين كان قدومهم لمنطقة شندي فاتحة عهد جديد بالنسبة لها مكّنها في نهاية المطاف من الارتقاء بمكانتها العلمية لتضاهي نظيراتها - في شمال السودان - في بربر ونوري ودنقلا، وتواكب ما عُرف تاريخياً في السودان بالمرحلة الثانية لنشر العقيدة الإسلامية في السودان وتعميق مفاهيمها على أسس سليمة وذلك بتوافد رجال الدين والفُقهاء والمتصوفة للسودان خاصة من مصر بتشجيع من سلاطين الفونج .

٣

وعلى هذا فقد وفد إلى منطقة شندي من ديار الشايقية في القرن السابع عشر الميلادي، الشيخ محمد بن سرحان العودي من أسرة غلام الله بن عائد الشهيرة، وأقام في منطقة القوز جنوب مدينة شندي. وكذلك وفد الشيخ المضوي محمد بن محمد اكداوي حفيد الشيخ محمد القناوي المصري من بربر، و أحفاد الشيخ عبد الرحمن ولد حمدتو وأقاموا بقرية الفجيجة جنوب شندي، وأولاد التنقار

١ - الفحل الفكي الطاهر، مرجع سابق، ص ٢٤.

٢ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١٠١.

٣ - نفس المصدر، ص ٤.

الثلاثة وأقاموا بقريّة موسى جنوب سندي، وباسبار السكري من المكنية إلى البسابير جنوب سندي، وعبد الرازق أبو قرون من سنار إلى ديم أم طريفي جنوب سندي . كل هؤلاء العلماء الذين تلقوا العلم في مصر ونوري وبربر وفدوا إلى منطقة سندي في القرن السابع عشر الميلادي وأقاموا فيها مراكز علمية شهيرة في مدينة سندي وفُرى القوز ومويس والفجيجة. وجلسوا للتدريس فيها وخُلف بعضهم أبنائهم وأحفادهم للقيام بهذه المهمة، وقد ظلّت بعض مدارسهم باقية إلى اليوم في القوز والفجيجة والباسبير في حركة علمية نشطة، جعلت من منطقة سندي المركز العلمي الرابع في شمال السودان في تلك الحقبة بعد مراكز دنقلا ونوري وبربر.

هجرة هؤلاء العلماء إلى منطقة سندي ربما تعود في المقام الأول لأسباب شخصيّة مُتعلّقة ببعضهم ذكر ود ضيف الله في كتابه (الطبقات) العديد منها خلال ترجمته لهؤلاء العلماء، مثل الاختلاف حول الخلافة أو الحسد أو رُبما بسبب الجاذبية الاقتصادية التي تمتعت بها منطقة سندي التي أصبحت منذ القرن السابع عشر الميلادي جزءاً من الشبكة التجارية التي أقامها سلاطين الفونج، أو بسبب الرغبة في نشر العلم، أو لأسباب عائلية. والشاهد هنا أن فرداً واحداً من عائلة الشيخ جابر هو الشيخ صغيرون ما إن جاء إلى سندي من نوري حتى تبعه آخرون من أفراد أسرته أو رُفقاء دراسته مثل أولاد التنقار - وهو خالهم - والحمدتوياب وهو رفيق دراسة جدّهم عبد الرحمن ولد حمدتو .

٢

٢ - ٢ - ٢ المراكز العلمية بمنطقة سندي:

لم تكن منطقة سندي خالية من المراكز العلمية قبل القرن السابع عشر الميلادي الذي شهد انتقال بعض المراكز العلمية إليها، وأغلب الظنّ أنّ هذه المراكز كان نشاطها قاصراً فقط على تدريس القرآن الكريم وعلومه، ولعلّ ذلك ما دفع مُعظم أبناء المنطقة للاتجاه شمالاً إلى بربر ونوري، لتحصيل المزيد من العلوم التي لم تكن مُتاحة في مناطقهم قبل حلول القرن السابع عشر الميلادي الذي شهد وفود تيارات علمية وصوفية إليها من دنقلا وسنار.

١ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٤٣ و١٠٣ و١٠٩ و٢٤٩ و٣٠٣.

٢ - نفس المصدر، التراجم رقم ٨٩-١٦٩، ١٧٠-٢٣٦، ٢٤٩-٢٥٠. ص ١٨٦ - ٩٦١.

مُعظم التيارات العلمية والفقهية التي وفدت إلى شندي جاءت من شمال السودان من بربر ودنقلا، بينما كانت سنار هي مصدر التيارات الصوفية التي وفدت عليها عن طريق الشيخ عبد الرازق أبو قرون ، الذي استقرَّ في منطقة شندي مُتنقلاً بين المشرع الأحمر (ديم أم طريقي) وقوز الصغيروناب ومويس ساعياً في نشر مذهب التصوُّف في هذه القرى الثلاث. وعبد الرازق أبو قرون هذا يبدو أنَّه كان من أوائل المتصوفة الذين استقروا في منطقة شندي لنشر مذهب التصوُّف الذي كان مُتعارفاً عليه في المنطقة عن طريق بعض الفقهاء والعلماء الذين انخرطوا في سلك التصوُّف على يد مشايخ الصوفيَّة خارج منطقة شندي، مثل الشيخ صغيرون الذي سلك طريق التصوُّف على يد الشيخ إدريس ود الأرباب بالغيلفون ، وأبناء التنقار الثلاثة وذلك على سبيل المثال لا الحصر. وهؤلاء الشيوخ الأربعة كانوا من الذين جمعوا بين العلم والعمل ولكنهم اشتهروا بكونهم علماء أكثر من كونهم مُتصوفة بسبب اشتغالهم بتدريس العلوم الفقهية واللُّغوية في مدارسهم التي أقاموها في منطقة شندي .

٢ - ٢ - ١ مركز جبل أم علي العلمي:

تقع قرية جبل أم علي أو الجبيل* كما يرد دائماً في طبقات ود ضيف الله على سفح جبل أم علي على خط الطول ٤٣° و ٣٣° شرق، ودائرة العرض ٠٧° و ١٧° شمال في أقصى شمال منطقة شندي على الحدود الشمالية للمنطقة التي تمتد من قرية أم علي شمالاً وحتى المسيكتاب جنوب جنوباً، على الضفة الشرقية لنهر النيل وهي المنطقة التي تُعرَّف حالياً بمحلية شندي. وقرية جبل أم علي هي المحطة الثالثة في حياة الشيخ حامد بن عمر بن بلال البادرابي ، بعد محطتي سقادي^٢

١ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٣٠٣.

٢ - نفس المصدر، ص ٢٣٥.

* في رحلته من الدامر إلى شندي في مطلع القرن التاسع عشر ذكر جون لويس بوكهارت أنه مر بقرية جبيل ويقصد بها هنا قرية جبل أم علي .

٣ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، الترجمة رقم ٦٧، ص ١٤٨.

حيث وُلد في القرن السادس عشر الميلادي - والمكنية على الضفة الغربية لنهر النيل والتي انتقل منها إلى جبل أم علي حيث توفي وقُبر فيها.

في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي تقريباً شهدت قرية جبل أم علي، والتي يبدو أنها كانت مأهولة بالسكان في ذلك الوقت، وذلك استناداً على اسم القرية أو الجبل الذي تربط الروايات المحلية بينه وبين (بكرة بت مكابر) التي اشتهرت باسم أم علي - وهو وحيدها - التي عاشت في حُقبة سبقت هجرة الشيخ حامد إلى قرية أم علي مما يُوحى بأن القرية كانت مأهولة بالسكان. شهدت القرية ظهور أول مركز علمي فيها تقريباً على يد الشيخ حامد بن عمر في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي ، وهو المركز العلمي الثاني للشيخ حامد بعد مركزه العلمي الأول الذي أسسه في قرية المكنية قبل انتقاله إلى أم علي بجميع أبنائه عدا سليمان الذي خَلَفه بالمكنية . وبهذا فإن مركز جبل أم علي يُعدُّ من المراكز العلميّة العريقة في منطقة شندي شأنه في ذلك شأن المراكز الأخرى التي نشأت في فُرى منطقة شندي في نفس الحقبة التاريخية تقريباً .

لا يُعرف على وجه التحقيق أين درس وعلى من تتلمذ الشيخ حامد - المولود في القرن السادس عشر الميلادي تقريباً - مؤسس مركز أم علي العلمي ولم يرد ذلك في ترجمته، غير أنه بحُكم مولده في قرية سقادي رُبما يكون قد تتلمذ على الشيخ حمد أبو دنانه وهو احتمال يبدو ضعيفاً نسبة لُبعد الشُقَّة بينه وبين الشيخ حمد أبو دنانه الذي استقرَّ في قرية سقادي في القرن الخامس عشر ، أو رُبما تتلمذ على أبيه الشيخ عمر أو على أحد تلامذة الشيخ حمد أبو دنانه بقرية سقادي، أو ربما يكون قد تتلمذ على الشيخ محمد المنصور الذي لا نعرف عنه هو

١ - أحمد الحسن سمساعة وآخرون، تاريخ المكنية وخواص الشيخ حامد أبو عصا. ط١؛ الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٩م. ص٢١٦.

٢ - المديرية الشمالية ، ٨٠/١٤/١

٣ - أحمد الحسن سمساعة وآخرون ، مرجع سابق، ص ٤٥ .

٤ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص٣.

٥ - نفس المصدر، ص٢١٦.

الأخر شيئاً سوى ما ذكره عنه ود ضيف الله أنه مُرشد الشيخ حامد لطريق
التصوف .^١

لم يتحدّث ود ضيف الله في كتاب الطبقات صراحة عن اهتمام الشيخ حامد
بتدريس العلم أو تسليك المريدين وإرشادهم لطريق التصوف، غير أن هنالك
إشارات وردت في ترجمته توحى بأنه ربما أمضى جزءاً من وقته في إرشاد
المريدين وتدريس القرآن وعلومه لأبنائه وأبناء القرية التي انتقل إليها، وربما
آخرين كثر غيرهم من القرى المجاورة لقرية جبل أم علي اجتذبتهم كرامات الشيخ
العالية وطريقته الجاذبة وما تمتع به من شهرة عظيمة، وهذا ما يدفعنا للاعتقاد بأن
قرية جبل أم علي قد شهدت في عهد الشيخ حامد وأبنائه الذين خلفوه من بعده
حركة علمية مُقدرة كان قوامها تدريس القرآن وعلومه والإرشاد والتصوف.

على خلاف ما قد حدث في معظم المراكز العلمية الأخرى في منطقة شندي
من هجرة لجماعات العلماء والفقهاء من ديار الشايقية وبربر واستقرارهم في شندي
ومويس والفجيجة وقوز العلم، كمؤسسين لمراكز علمية شبيهة في مناهجها العلمية
بمراكز ديار الشايقية وبربر، فإن مركز جبل أم علي العلمي وكذلك مركز حجر
العسل لم يتعرضا لتيارات علمية شبيهة بتلك التيارات الوافدة من ديار الشايقية،
ومنطقة بربر المتأثرة بالمدرسة المصرية. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الطبيعة
الجبلية الوعرة والقاسية التي اتصفت بها كلتا المنطقتين لم تكن لتغري هؤلاء العلماء
بالاستقرار في أي منهما، ولعل هذا الواقع قد انعكس أيضاً على طلاب العلم الأمر
الذي اضطرّ معه ود ضيف الله أن يتخلّى عن عاداته في الحديث عن الأعداد الكبيرة
من طلاب العلم وأسماء المشاهير منهم في كتاب الطبقات عندما كان يتحدث عن
منطقتي أم علي وحجر العسل.

٢ - ٢ - ٢ - ٢ مركز مدينة شندي العلمي:

تقع مدينة شندي على الضفة الشرقية لنهر النيل في منتصف منطقة شندي
تقريباً، على خط الطول ٢٧° و ٣٤° شرق خط صفر ودائرة العرض ٤٢° و ١٦°

١ - نفس المصدر، ص ١٤٨.

شمال خط الاستواء، وهي مدينة تجارية هامة ومُلتقى لطرق القوافل الوافدة من مصر إلى سواكن وسنار والحبشة ودارفور وكردفان ذهاباً وإياباً .

في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي تقريباً نشأ مركز شندي العلمي على يد الشيخ المضوي محمد بن محمد أكداوي حفيد الشيخ محمد القناوي المصري ، الذي انتقل إليها بجميع تلاميذه في بربر استجابة لدعوة وُجّهت له من قبل اثنين من أبناء شندي الذين عُرفوا بميلهم للعلم. وصادفت هذه الدعوة هوى في نفسه لزهده في العيش بمدينة بربر بسبب مُعاداة أبناء عمومته ومنازعتهم له في خلافة جده القناوي المصري ، فأثر الحضور إلى مدينة شندي التي يبدو أنها كانت تحتل مكانة سياسية واقتصادية ممتازة في الإقليم في ذلك الوقت .

مدينة شندي وبما تمتعت به من ثقل سياسي واقتصادي في المنطقة لا يبدو أنها كانت خالية تماماً من المراكز العلمية قبل مجيء الشيخ المضوي إليها في القرن السابع عشر الميلادي، وأغلب الظن أن المدينة كانت تضم بين جنباتها بعض المراكز العلمية التي اقتصرَت رسالتها وشهرتها على أهل المدينة فقط، وذلك على ما جرت عليه العادة عند المجتمعات العربية التي استقرت في السودان، وينهض دليلاً على ذلك ما أورده ود ضيف الله في ترجمته للشيخ المضوي عن الدعوة التي تلقّاها الشيخ من ابني الحاج فايد لمرافقتهم إلى شندي ليستكملا تعليمهما الذي انقطع بوفاة والدهما ، وفي هذا إشارة إلى أن ولدي الحاج فايد كانا يتلقيان تعليمهما في مدينة شندي أو إحدى القرى التي من حولها. غير أنه يجب أن نشير هنا إلى أن وجود مراكز علمية تهتم بتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم في مدينة شندي ذات الخلفية الثقافية العربية والخلفية التجارية قبل القرن السابع عشر الميلادي لم يكن أمراً مُستبعداً، وينهض دليلاً على ذلك أن الشيخ المضوي مؤسس مركز شندي، لم يكن يهتم بدراسة القرآن وعلومه وإنما كان جُلّ

١ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، الترجمة رقم ٣٤ .

٢ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١٠٣ .

٣ - نفس المصدر، ص ١٠١ .

٤ - نفس المصدر، ص ١٠١ .

اهتمامه العلمي منصباً حول تدريس علوم الفقه والتجويد والنحو والأصول والمنطق. ولا يبدو منطقياً هنا أن يسعى أبني الحاج فايد لدراسة الفقه دون أن يكونا قد حفظا القرآن الكريم وتعلما القراءة والكتابة قبل ذلك .

استناداً على الخلفية الثقافية للشيخ المضوي الذي تتلمذ على جده الشيخ محمد القناوي المصري الذي تتلمذ هو بدوره على أئمة المالكية في الأزهر الشريف بالقاهرة ، يمكننا القول بأن مركزاً مدينة شندي العلمي قد تأثر بالمدرسة المصرية وساهم بقدر ملحوظ في نشر وتثبيت دعائم المذهب المالكي في السودان من خلال كتب المالكية التي كانت تُدرّس فيه على يد الشيخ المضوي والذين جاءوا من بعده، وعلى هذا فإن مركز مدينة شندي قد تميز بالدراسات الفقهية والعلمية فقط ، دون أن يلامس التيارات الصوفية التي كانت قد بدأت تشق طريقها نحو المنطقة. وفي هذا الصدد لم يرد في ترجمة الشيخ المضوي أنه قد سلك طريق الصوفية أو أنه من الذين جمعوا بين العلم والعمل، وإنما كان يُكرّس جُل وقته في تدريس الفقه واللغة والأصول إلى جانب التأليف .

لا يُعرف على وجه التحقيق متى جاء الشيخ المضوي إلى مدينة شندي، ولم نجد لذلك صدى في ترجمته غير أنه وبالرجوع إلى واقعة زواج الشيخ المضوي الذي توفي عن خمسين عاماً في سنة ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م من والدته تلميذه عبد القادر البكاي ، فمن المحتمل أن يكون قد جاء إلى مدينة شندي في أواخر العام ١٦٧٠م تقريباً وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، وهي سن تبدو مناسبة لاقتترانه بأرملة الحاج فايد التي يبدو أنها كانت في ذلك الوقت في العقد الثالث من عمرها. وعلى هذا فالظن عندي أن الشيخ المضوي قد جلس للتدريس في مدرسته بمدينة شندي لفترة امتدت ما بين عشر إلى خمسة عشر عاماً تقريباً، وهي الفترة

١ - نفس المصدر، ص ١٠١.

٢ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١٠٠.

٣ - محمد محبوب مالك، رواد الثقافة الإسلامية في جزيرة الفونج. ط١؛ بيروت: دار الجيل، ١٩٩٤م. ص ٣٢.

٤ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، الترجمة رقم ١٥٧.

التي اشتهرت فيها مدرسته بمدينة شندي والتي ظلَّت تعمل بعد وفاته لفترة من الزمن جلس فيها للتدريس من بعده تلميذه عبد القادر البكاي .^١

قرية مويس التي تقع بالقرب من مدينة شندي من الناحية الجنوبية تُعدُّ هي الأخرى جزءاً من مركز مدينة شندي العلمي حيث لا يكاد يفصلها عن مدينة شندي سوى بضعة كيلومترات. وفي مويس هذه نشأت مدرسة محمد بن التنقار الذي لم يرد في ترجمته تاريخ قدومه واستقراره فيها قادماً من قرية القوز الواقعة إلى الجنوب من قرية مويس، حيث كان مقيماً مع خاله محمد بن سرحان. وفقاً لما جاء في ترجمته فإن انتقال محمد بن التنقار إلى قرية مويس قد حدث بعد أن حال الشيخ عبد الرازق أبو قرون بينه وبين خلافة خاله محمد بن سرحان بعد وفاته في قرية القوز وانحيازه للشيخ الزين بن محمد بن سرحان وتنصيبه خليفة لوالده. وإذا ما علمنا بأن شيخ الزين المتوفى في عام (٤٠٨٦هـ/١٦٧٥م) قد جلس للتدريس بعد أبيه لمدة خمسين عاماً، فإن أبيه يكون قد توفي في عام (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) تقريباً، ويكون هو قد جلس في مكان والده في نفس العام، وهو العام الذي ارتحل فيه محمد بن التنقار من القوز إلى مويس. وعلى هذا فيمكننا القول بأن مدرسة مويس قد تأسست في عام (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) تقريباً وهي بذلك تكون قد نشأت قبل مدرسة المضوي بشندي بحوالي أربعين عاماً تقريباً .^٥

اهتمت مدرسة مويس بالدراسات الفقهية أكثر من غيرها، وقد نافست في هذا المجال مدرسة القوز التي كان لها أيضاً اهتماماً بذلك النوع من الدراسات. وقد ذكر ود ضيف الله في كتابه الطبقات أن محمد بن التنقار مؤسس مدرسة مويس كان بارعاً في الفقه وتفوق فيه حتى على معلمه وخاله صغيرون ، ولذلك فقد استقطبت مدرسته عدداً مُقدراً من طالبي العلم خاصة من الذين كان لديهم شغف

١ - نفس المصدر، ص ٢٦١١.

٢ - نفس المصدر، الترجمة رقم ٢٤٩.

٣ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٢٦١.

٤ - نفس المصدر، الترجمة رقم ١٤.

٥ - نفس المصدر، ص ٧٥.

٦ - نفس المصدر، ص ٣٦٠.

بالعلوم الفقهية، وانتظمت فيها حركة علمية دؤوبة استمرت ردهاً من الزمن في كنف مؤسسها الذي انتقل بعدها إلى قرية البرسي شرق ود الحداد إلى الجنوب من مدينة سنار .^١

لم يذكر ود ضيف الله في كتاب الطبقات الأسباب التي دعت محمد بن التنقار للانتقال إلى منطقة ود الحداد التي توفي فيها، ولكن يبدو أن قدوم المصوي محمد بن محمد أكدائي لمدينة شندي القريبة من مويس في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي كان أحد هذه الأسباب التي دعت لمغادرة مويس، والتي يبدو أنها قد حدثت في أعقاب العام ١٦٧٠م تقريباً . أما اختياره لمنطقة سنار فيبدو أنه كان يتماشى مع خلفيته الصوفية حيث ورد في ترجمته أنه سلك طريق التصوف على يد الشيخ إدريس ود الأرباب .^٢

انتظمت بمركز مدينة شندي العلمي في القرن السابع عشر الميلادي حركة تأليف نشطة قام خلالها بعض شيوخ وفقهاء المركز بتصنيف مجموعة من الكتب والشروح العلمية التي عمّت فائدتها على جميع المهتمين بالعلم، وفي هذا المجال فقد كان الشيخ محمد بن التنقار، وأخيه الشيخ حموده بن التنقار من أوائل المشاركين في هذه الحركة حيث قام الأول بكتابة تقارير وتفنيدات على مختصر خليل في الفقه المالكي والثاني بكتابة حاشية على إحدى شروح مختصر خليل، تجلّى فيها مدى تأثره بأستاذه الشيخ صغيرون . وعلى الرغم من أن الشيخ المصوي محمد بن محمد أكدائي قد جاء ترتيبه بعد أولاد التنقار من حيث الأسبقية الزمنية لحركة التأليف بمركز مدينة شندي العلمي، إلا أنه كان صاحب مشاركة

١ - نفس المصدر، ص ٣٦١ .

٢ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٣٦٠ .

٣ - مختصر خليل لأبي الضياء خليل بن اسحق الجندي المصري الذي مكث في تأليفه عشرون سنة وتوفي قبل أن يستلمه في سنة ٧٧٦هـ فجمعه أصحابه وأطلقوا عليه مختصر خليل بعد أن أضافوا عليه جملاً يسيرة ورتبوا أوراقه المتناثرة بعد وفاة صاحبه .

٤ - الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، دور الصوفية في ميدان التربية والتعليم، ط١؛ الخرطوم: مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، ٢٠٠٥م، ص ٨٦ .

٥ - نفس المرجع، ص ١٨٦ .

أكبر في الحركة الفكرية التي شهدتها المركز في القرن السابع عشر الميلادي تميزت بغزارة إنتاجه الفكري وتعدُّد مصنفاته ومؤلفاته العلمية التي وصفها محمد ود ضيف الله في كتاب الطبقات بأنها كانت تستحق أن تُكتب بمداد من ذهب. وقد صنَّف الشيخ المضوي خلال عمره القصير الذي لم يتجاوز الخمسين عاماً العديد من المؤلفات منها أربعة عشر شرحاً على أم البراهين في باب العقيدة والتوحيد، والشرح الوسط شرح لعقيدة أهل التوحيد المُسماة أم البراهين، والشرح القصير شرح عقيدة أهل التوحيد المُسماة أم البراهين، والحاشية على شرح عقيدة أهل التوحيد المُسماة أم البراهين، وعمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد المُسماة أم البراهين، و الشرح الكبير على منظومة (بدء الأمالي) ويقع في حوالي ستين كراساً، و الشرح الصغير على منظومة (بدء الأمالي) ويقع في حوالي سبعة كرايس، و شرح عقيدة رسالة أبي زيد القيرواني في ألفقه. وقد صنَّف الشيخ المضوي كذلك في باب النحو والصرف وعلوم القرآن بعض الشروح منها شرح بعض الشروح منها شرح الأجرومية، و شرح الجزرية،^٦ وقد انتشرت مؤلفات الشيخ المضوي هذه في معظم أنحاء السودان وانتفع بها كثير من المهتمين بالفقه والعلم.

٨

-
- ١ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١٠٢.
 - ٢ - عقيدة أهل التوحيد المسماة (أم البراهين) للشيخ أبي عبد الله بن السيد يوسف بن الحسين السنوسي التلمساني المتوفي عام ٨٩٥هـ وهو مصنف يحتوي على جميع عقائد أهل التوحيد.
 - ٣ - منظومة شعرية في التوحيد نظمها الشيخ سراج الدين علي بن عثمان الأوشي المتوفى ٥٦٩هـ.
 - ٤ - كتاب ألفه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن المشهور بمالك الصغير المتوفى ٣٨٦هـ تناول فيه عدة موضوعات تتعلق بالعقيدة والفقه والتهديب.
 - ٥ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١٠٢.
 - ٦ - منظومة شعرية في النحو للإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن داؤود الصنهاجي المولود في ٦٧٢هـ والمتوفى في ٧٢٣هـ.
 - ٧ - منظومة شعرية من نظم الشيخ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري القرشي الدمشقي المتوفى في ٨٣٣هـ وتسمى المقدمة الجزرية في علم التجويد أو متن الجزرية تناول فيها ناظمها عدد من الموضوعات في علم التجويد.
 - ٨ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١٠٢.

نتيجة لاحتضانه هذه الحركة العلمية والفكرية النشطة يمكننا القول أن مركز مدينة شندي العلمي ومُنذ القرن السابع عشر الميلادي كان مُساهمًا نشطاً في نشر العلم والمعرفة في مُعظم أنحاء السودان من خلال قيامه بتدريس طالبي العلم الذين وفدوا عليه على مرّ السنين، وهي مجموعة ضخمة لم يتحدّث عنها ود ضيف الله في طبقاته إلا بالقدر الذي تنامي إلى مسامعه من الأعلام والمشاهير منهم، والذين ارتقوا سلم العلم حتى بلغوا المرتبة التي مكّنتهم من أن يلعبوا نفس الدور الذي اضطلع به عُلماء وفقهاء مركز مدينة شندي العلمي في مجال نشر العلم، وتشبيد المراكز العلمية في مناطقهم التي وفدوا منها، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر كما جاء في كتاب الطبقات (المكي النحوي الرباطي، الحاج سعيد بن أحمد العباسي، الشيخ عبد القادر ولد الحاج فايد، الشيخ حمودة ولد الحاج فايد، الشيخ عمران محمد بن عمران). كذلك تتلمذ الفقيه محمد بن موسى النفيعابي وآخرون على الشيخ عبد القادر البكاي بشندي، كما تتلمذ كل من الفقيه محمد بن قوته والشيخ محمد بن الترابي والفقيه محمد بن يوسف فرفر والشيخ التتائي بن محمد التنقار وآخرون في موبس على يد الشيخ محمد بن التنقار، وهؤلاء جميعاً كانوا من النوابغ الذين ساروا على درب شيوخهم ونالوا شهرة عظيمة جعلت محمد ود ضيف الله يترجم لهم في كتابه الطبقات.

٢ - ٢ - ٢ - ٣ مركز الفجيجة العلمي:

تقع قرية الفجيجة على مسافة عشرة كيلومترات جنوب مدينة شندي وإلى الشمال من قرية القوز على سهل رملي مُسطح أطلق عليه الشيخ صغبيرون اسم الفجيجة .

ظهرت قرية الفجيجة كمركز علمي بمنطقة شندي بعد هجرة أبناء وأحفاد الشيخ عبد الرحمن ولد حمدتو إليها في القرن الثاني عشر الهجري، وذلك استناداً على ما ذكره ود ضيف الله في كتاب الطبقات، غير أنه يبدو أن ود ضيف الله كان يتحدث عن حقبتين تاريخيتين مختلفتين لهجرة الحمدتوياب من ديار الشايقية إلى

١ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٢٣٥.

منطقة شندي. واستناداً على هذا فإن هجرة الحمدتوياب إلى الفجيجة تكون قد تمت على مرحلتين:

المرحلة الأولى: وهي التي جاء فيها الشيخ عبد الرحمن ولد حمدتو إلى دار الأبواب التي ربما يكون المقصود بها هنا الفجيجة بعد العام ١٠١٩هـ، وذلك استناداً على ما ذكره ود ضيف الله في كتابه، (جاء صغIRON وعبد الرحمن ولد حمدتو إلى دار الأبواب من ديار الشايقية في دولة بادي بن رباط) .

المرحلة الثانية: وهي التي أشار إليها ود ضيف الله في ترجمته لعبد الرحمن بن أسيد ، حفيد عبد الرحمن ولد حمدتو، عندما ذكر أنه قد جاء من ديار الشايقية إلى بلاد الأبواب - ويقصد ببلاد الأبواب هنا قرية الفجيجة - مع أخواله من أبناء الشيخ عبد الرحمن ولد حمدتو سنة ١١٠٧هـ / ١٦٩٦م ، أي بعد حوالي ثمانين عاماً من مجيء عبد الرحمن ولد حمدتو وفق ما ذكره ود ضيف الله، وهذا يشير ربما إلى أن الشيخ عبد الرحمن ولد حمدتو قد جاء فعلاً إلى منطقة شندي عام ١٠١٩هـ ، ولكنه لم يستقر فيها وعاد إلى نوري مرة أخرى، وأن سبب مجيئه ربما كان لزيارة الشيخ محمد بن سرحان رفيق دراسته عند الشيخ البنوفري*، وأن دار الأبواب التي ذكرها ود ضيف الله المقصود بها هنا قرية القوز وليس الفجيجة، وعلى هذا فإننا نعتقد أنه لم تكن هنالك سوى هجرة واحدة لأسرة الحمدتوياب لمنطقة الفجيجة، وهي التي حدثت في عام ١١٠٧هـ - ١٦٩٦م، وهو على الأرجح التاريخ الذي نشأت فيه الفجيجة كقرية ومركز علمي جنوب شندي .

١ - نفس المصدر، ص ٤٣ .

٢ - نفس المصدر، الترجمة رقم ١٦٩ .

٣ - نفس المصدر، ص ٢٨١ .

٤ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٢٥٦ .

* هو أبو عبد الله محمد بن سلامه المصري المعروف بالبنوفري كان من أعيان فقهاء مصر تلقى تعليمه على الشيخ اللقاني والشيخ التاجوري تفرد برئاسة المذهب المالكي في مصر وتوفي في سنة ٩٩٨هـ .

اشتهر مركز الفجيجة العلمي بتدريس علوم القرآن والعلوم الفقهية الأخرى على يد الحمدتوياب الذين اشتهروا هم وتلامذتهم بأنهم من فقهاء القرآن، فكان مركز الفجيجة العلمي أكثر ميلاً لتدريس القرآن وعلومه مُتفرداً بذلك عن مركز مدينة شندي العملي الذي انحصر اهتمامه بالعلوم الفقهية، وهذا الاختلاف في الوظيفة التعليمية بينهما جعل كل من هذين المركزين القريبيين من بعضهما البعض مُكماً للآخر، هذا إذا ما وضعنا في الاعتبار أن مركز مدينة شندي العلمي قد ظلّ مُستمرّاً حتى هذا التاريخ.

لم تكن لمركز الفجيجة العلمي مساهمة علمية في مجال التأليف والتصنيف على غرار ما كان سائداً في مركز مدينة شندي العلمي، ولم نعثر في ثنايا تراجم الحمدتوياب بالفجيجة ما يفيد بأن لهم نشاط في هذا المجال غير أن المركز وكغيره من المراكز كانت له مساهمة معلومة في تدريس العلوم ونشرها عبر التلاميذ الذين نالوا العلم في هذا المركز، وعملوا بعد ذلك في مجال التدريس.

٢ - ٢ - ٢ - ٤ مركز القوز العلمي:

تقع قرية القوز بين مدينة شندي ومحطة ود بانقا، ويسكنها الصغغروناب من ذرية محمد بن سرحان الشهير بصغغرون. في الماضي كانت القرية عبارة عن منطقة خلوية وعرة خالية من السُكّان و تكثر فيها الغابات. وظلّت المنطقة على هذه الحال إلى أن اختارها محمد بن سرحان مُستقراً له عند هجرته من نوري إلى دار الأبواب في القرن السابع عشر الميلادي في سنة ١٦١٥م تقريباً، فتغيّر حالها و تحوّلت إلى قرية عامرة بسكانها من أبناء وأحفاد الشيخ صغغرون وتلامذته ومريديه.

تأسس مركز القوز العلمي في مطلع القرن السابع عشر الميلادي في العام ١٦١٥م تقريباً على يد الشيخ محمد بن سرحان الذي أسّس مع أسرته وتلامذته قرية القوز، وأقام فيها مركزه العلمي في المسجد الذي بناه في القرية . على خلاف ما ذكره ود ضيف الله في كتاب الطبقات فإن الأستاذ الطيب محمد الطيب في كتابه (المسيد) يرى أن القوز كانت قرية مأهولة يسكنها رهط من

١ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٢٨١.

٢ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٤٢.

الحاكمين وأن الحاكمة كانت تسمى بالمُطرق* التي تعني صولجان الملك، وهو هنا يشير صراحةً إلى أن قرية القوز كانت قائمة كقرية قبل هجرة الصغيروناب إليها، رغم إقراره بأن الشيخ محمد بن سرحان كان أول من أوقد نار العلم فيها وهذا ما يؤكد صحة ما ذكره محمد ود ضيف الله، بأن الشيخ صغيرون هو مؤسس قرية القوز و مركزها العلمي، الذي كان قد ظهر قبل ظهور مركز مدينة شندي العلمي على يد الشيخ المضوي بحوالي نصف قرن من الزمان تقريباً.

شهد مركز القوز العلمي ومنذ الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي حركة علمية نشطة، استمرت لفترة طويلة من الزمن واجتذبت إليها أعداداً كبيرة من طالبي العلم والمعرفة، خاصة في مجالات الدراسات الفقهية التي حظيت بقدر كبير من اهتمام شيوخ العلم من الصغيروناب، إلى جانب التصوف الذي كان فيه الشيخ صغيرون حلقة للوصل بين فقهاء العلم ومشايخ الطرق الصوفية في منطقة شندي ، وذلك من خلال انتمائه للمدرسة الفقهية، واتخاذه لمذهب التصوف على يد الشيخ إدريس ود الأرباب .

٣

على الرغم من أن مركز القوز العلمي قد اشتهر بالدراسات الفقهية واللغوية، التي برع فيها محمد بن سرحان وخلفاؤه من بعده، إلا أن المجال فيه كان مفتوحاً أيضاً أمام التيارات الصوفية التي ازدهرت في المركز على يد كل محمد بن سرحان الذي سلك طريق التصوف على يد الشيخ إدريس ود الأرباب ، فجمع بذلك بين الفقه والتصوف والشيخ عبد الرزاق أبو قرون الذي ظلّ يتنقل بين مويس والقوز وديم أم طريقي، وذلك بغرض الإرشاد والتسليك ونشر الطريقة القادرية التي جاء يحمل بذورها من سنار إلى منطقة شندي.

٦

* حُظيت قرية القوز بعدة أسماء منها قوز المطرق وقوز العلم وقوز الصغيروناب.

١ - الطيب محمد الطيب، المسيد. ط١؛ الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م. ص ٢١٥.

٢ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٢٣٤.

٣ - نفس المصدر، ص ٢٣٥.

٤ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٢٣٤.

٥ - نفس المصدر، ص ٣٠٣.

٦ - نفس المصدر، ص ٣٠٣.

هذا التنوع الفكري الذي تميّز به مركز القوز من المؤكد أنه قد أضفى عليه طابعاً علمياً اتّسم بالتنوع والمساهمة الفاعلة في نشر العلم والمعرفة بكل ألوانها في معظم أنحاء السودان، عبر الذين توافدوا عليه من طالبي العلم من بقاع السودان المختلفة، والذين امتد عبرهم الأثر العلمي لمركز القوز العلمي إلى مناطق أبعد بعد أن صاروا شيوخاً للعلم في مناطقهم. ومن هؤلاء من ذاعت شهرته في زمانه فترجم له ود ضيف الله في طبقاته فذكر منهم الشيخ دفع الله بن الشيخ أبو إدريس والفقير عبد الحليم بن بحر والفقير علي ود بري والفقير إبراهيم ود بري والشيخ حموده بن التنقار و تور المتن الكاهلي و الشيخ محمد بن التنقار و مازري بن التنقار و مدني المشهور بالحجر بن عمر بن سرحان و محمد بن الحاج أبو القاسم بن سرحان والشيخ صغيرون الشقلاوي و الشيخ بدوي بن أبي دليق والشيخ خوجلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم و الفقير ضيف الله الفضلي والفقير أبو بكر بن توير و الشيخ حمد المشهور بالأزرق .

٢ - ٢ - ٢ - ٥ مركز البسابير العلمي:

تقع قرية البسابير في النصف الجنوبي من منطقة شندي إلى الجنوب من قرية ود بانقا على الضفة الشرقية للنيل، وهي من القرى العريقة التي لا يُعرف على وجه التحديد تاريخ ظهورها كنقطة تجمع سكاني في المنطقة. ولكن يبدو أنها كانت قائمة كنقطة تجمع سُكاني على شاطئ النيل عندما انتقل إليها الشيخ باسبار السكري من قرية الجريف على الضفة الغربية للنيل في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي تقريباً، ومنذ ذلك الوقت أصبح يُطلق عليها اسم البسابير نسبة لأبناء وأحفاد الشيخ باسبار السكري.

في تلك البقعة من الأرض تأسس مركز البسابير العلمي على يد الشيخ باسبار السكري، الذي وُلد بقرية المكنية وحفظ القرآن الكريم على الشيخ مدني الطيار بن الشيخ عبد الرحمن ولد حمدتو في نوري بديار الشايقية ، وبعد أن أتمّ تعليمه استقرّ في قرية القوز (البسابير)، واشتغل بتدريس القرآن الكريم وعلومه في مدرسته التي أقامها تحت مجموعة من أشجار السدر الموجودة إلى اليوم بقرية

١ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١٠٩.

البسابير، وقد ذكر الدكتور يوسف فضل حسن محقق كتاب الطبقات في الصفحة رقم ١٠٩ الهامش رقم ٢٠ أن القوز الذي درّس فيه الشيخ باسبار القرآن (هو قوز العلم ويُعرف أيضاً بقوز المطرق وهو يقع جنوب شندي وبه آثار الصالحين من قباب وبيانات ويسكنه الصغيروناب ذرية صغيرون محمد بن سرحان). على هذا فإن الدكتور يوسف فضل يعتقد أن الشيخ باسبار السكري قد أقام مدرسته في قرية قوز العلم جنباً إلى جنب مع الصغيروناب، وقد تبعه في ذلك الكثيرون . ويبدو أن الدكتور يوسف فضل استند في رأيه هذا على ما أورده ود ضيف الله نفسه في كتاب الطبقات بأن المقصود بقرية القوز التي استقر فيها الشيخ باسبار السكري وأقام فيها مدرسته تلك هو قوز العلم ونظراً لأن محمد ود ضيف الله لم يكن متأكداً تماماً من استنتاجه هذا، فقد أرففه في كتابه بعبارة والله أعلم*. ويبدو هنا أن الدكتور يوسف فضل لم يكن موقفاً في استناده على استنتاج محمد ود ضيف الله، لأن القوز المعني هنا هو قوز البسابير كما يعتقد سكان البسابير أنفسهم وهو الصواب على الرغم من أنني لم أجد صدى لزعم سكان البسابير هذا في أي مصدر آخر، ولعل ما دفعني للاعتقاد بأن زعم سكان البسابير هذا هو الصواب أن الشيخ حسن ود حسونه عندما قرر أن يزور الشيخ باسبار السكري في مسيده طلب من ابنه عبد القادر أن يغلق الخلوة ويخبر مرتاديهما بأنه ذهب إلى نسري ، وهي جزيرة تقع جنوب غرب شندي بمحاذاة البسابير وبعيدة نسبياً عن قوز العلم، ثم أن الشيخ حسن ود حسونه عندما لم يتمكن من مقابلة الشيخ باسبار السكري اتجه إلى قرية كليوة التي حدّد موقعها الدكتور يوسف فضل حسن نفسه في الصفحة رقم ١١٠ هامش ٢٠ بأنها قرية تقع شرق البسابير.

كذلك لم يذكر ود ضيف الله أن الشيخ باسبار السكري وبحكم وجوده في قرية قوز المطرق - إن صح استنتاجه هذا - قد تدخّل في الصراع الذي كان دائراً

١ - محمد محبوب مالك، مرجع سابق، ص ٤٠.

* استنتاج ود ضيف الله هذا عثرت عليه في إحدى النسخ الغير محققة من كتاب الطبقات ولكني لم أهتد لصاحبها بسبب حالتها المهترئة.

٢ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١١٠.

٣ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١١٠.

في القوز حول خلافة الشيخ صغيرون مثلما فعل الشيخ عبد الرازق أبو قرون الذي كان مقيماً في قوز العلم، وهو ما قد يضعف الاستنتاج القائل بأن القوز المذكور هو قوز المطرق .

لا يُعرف على وجه التحديد متى تأسس مركز البسابير العلمي، ولم نجد لذلك صدًى في ترجمة الشيخ باسبار السكري، غير أننا وبالرجوع لتراجم بعض الذين تتلمذوا عليه مثل الشيخ علي ود بري الذي ولد في العام ١٠١٠هـ (١٦٠١م) أو الشيخ عبد القادر البكاي الذي أكمل دراسة القرآن وعلومه عند الشيخ باسبار قبل العام ١٦٦٠م تقريباً وذلك استناداً على تاريخ قدوم الشيخ المضوي من بربر إلى مدينة شندي، نستطيع أن نستنتج أن الشيخ باسبار السكري قد بدأ يشتغل بتدريس القرآن الكريم وعلومه للصبية في قرية قوز البسابير في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي تقريباً وهو تاريخ تأسيس مركز البسابير العلمي على يد الشيخ باسبار السكري. وعلى هذا فإن مركز البسابير يُعدُّ أيضاً من المراكز العلمية العريقة في منطقة شندي والتي اهتمت بشكل خاص بتدريس القرآن الكريم وعلومه لأعداد كبيرة من الطلاب الذين توافدوا عليه بكثافة ملحوظة ، نظراً لأن دراسة القرآن وحفظ آياته تُعدُّ من العلوم الأساسيَّة التي يجب أن يتحصَّل عليها المسلم، ولعلَّ ذلك هو السبب في ضخامة أعداد طالبي العلم في مركز البسابير الذين ذكر ود ضيف الله أن عددهم قد بلغ الألف طالب ، اشتهر منهم الشيخ علي ود بري والشيخ إبراهيم ولد بري والشيخ عبد القادر البكاي والشيخ حميد الصاردي والشيخ عبد الله ولد أبارو .

٢

على الرغم من أن الشيخ باسبار السكري كان قد سلك طريق التصوف على الشيخ شرف الدين راجل أنقاوي ، إلا أنه لم يرد في ترجمته ما يشير إلى أنه قد مارس الإرشاد والتسليك في طريق القوم كما كان يفعل الشيخ عبد الرازق أبو قرون في مويس والقوز والمشرع الأحمر، كذلك لم يكن الشيخ باسبار ميلاً لتأليف وتصنيف الكتب والشروح مثل الشيخ المضوي المصري الذي برع في هذا

١ - نفس المصدر، ص ١٠٩ .

٢ - نفس المصدر، ص ١١٠ .

٣ - نفس المصدر، ص ١١٠ .

الجانب. والشاهد أن الشيخ باسبار السكري قد كان أكثر شغفاً بالقرآن الكريم، وقد أفرد لتدريسه حيزاً كبيراً من وقته وعمره وأعمل فيه كل جهده ، ولعل ذلك هو السبب الذي أقعد به عن التسليك والإرشاد ولوج ميادين التأليف والتصنيف، بالإضافة إلى اهتمامه الكبير بتدريس ومُتابعة الأعداد الكبيرة من طلبته الذين كان يمهد لهم الطريق لولوج ساحات أرحب في مجال العلم والمعرفة انطلاقاً من مركزه العلمي الذي كان يُعدُّ رافداً مُهماً للمراكز العلمية الأخرى التي اهتمت بالدراسات الفقهية واللغوية .

٢ - ٢ - ٦ مركز حجر العسل العلمي:

منطقة حجر العسل هي عبارة عن مجموعة من القرى الصغيرة التي لا تبعد كثيراً عن بعضها البعض، و تقع جنوب منطقة شندي بالقرب من الشلال السادس، على خط الطول ٣٩° و ٣٤° شرق خط صفر ودائرة العرض ٢٩° و ١٦° شمال خط الاستواء، وهي تمثل الحد الجنوبي لمنطقة شندي على الضفة الشرقية للنيل، وتسكنها مجموعات من الجعليين والشايقية والحسانية .

يُعدُّ مركز حجر العسل العلمي مقارنةً بالمراكز العلمية الأخرى التي قامت في منطقة شندي في القرن السابع عشر الميلادي، أقل المراكز العلمية ذكراً في كتاب الطبقات، الذي احتشد بأسماء وتراجم الكثير من المراكز العلمية، وحتى في تلك الحالات القليلة التي كان يرد فيها اسم حجر العسل في كتاب الطبقات، فإنه يكون مقرون عادةً بأسماء بعض الشخصيات الدينية التي ترجم لها محمد ود ضيف الله مثل الشيخ أبوبكر الذي أطلق عليه لقب (راجل حجر العسل)، والشيخ إبراهيم ولد أم رابعة الذي ذُكر أنه وُلد بحجر العسل. وفي حالات قليلة أيضاً يتردد اسم جزيرة مرينات وهي إحدى جُزر منطقة حجر العسل ومركز ديني شهير امتد أثره العلمي إلى القرن العشرين متبوعة بأسماء أشخاص منسويين إليها .

لم نجد في كتاب الطبقات ما يشير صراحة إلى وجود مدارس أو فقهاء يدرسون العلم أو القرآن الكريم في منطقة حجر العسل، وإنما وردت فيه إشارات

١ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ١١١ .

٢ - نفس المصدر، الترجمة رقم ٣٧ ، ص ١٠٤ .

٣ - نفس المصدر، الترجمة رقم ٣٦ ، ص ١٠٤ .

قليلة توحى بوجود البعض فيها، ومن ذلك ما أورده ود ضيف الله في ترجمته للشيخ أبوبكر راجل حجر العسل، من أنه ربما يكون قد نال قسطاً من علومه الأولية في منطقة حجر العسل، حيث لم يذكر ود ضيف الله أين درس وعلى من تتلمذ، كما لم يرد اسمه ضمن من تتلمذوا على يد الذين ترجم لهم ود ضيف الله. ويدعم هذا الرأي أن الشيخ حسن ود حسونه ، عندما جاء إلى حجر العسل مُلتمساً الطريق على يد الشيخ أبوبكر فإن الشيخ أبوبكر أرشده على من يدلّه على الطريق في جزيرة باعوضة الواقعة بين جزيرتي أم سقد ومرنات في حجر العسل والتي ربما شهدت بعض النشاطات العلمية أو تعبدات الصوفية .

كذلك من الإشارات التي توحى بوجود بعض المدارس العلمية في منطقة حجر العسل خاصة في مجال دراسات القرآن الكريم، أن إبراهيم ولد أم رابعة الذي التحق بالشيخ عبد الرحمن ولد جابر بديار الشايقية لدراسة الفقه ، لم يكن ليتطلع إلى دراسة الفقه إذا لم يكن قد حفظ القرآن الكريم أولاً، وأن ذلك ربما يكون قد حدث في منطقة حجر العسل حيث وُلد، أوفي إحدى القرى المجاورة لها، كما أن الشيخ إبراهيم بعد أن نال إجازته العلمية في التدريس في نوري، ربما يكون قد عاد لينشر العلم في منطقته على ما جرت عليه العادة في مثل هذه الحالات في ذلك الزمان .

٢ - ٣ التعليم الديني في منطقة شندي في القرن العشرين:

منذ القرن السابع عشر الميلادي الذي شهد توالي قيام المراكز العلمية في منطقة شندي وحتى مطلع القرن العشرين الذي اقترن في السودان بمولد النظام التعليمي الحديث، خضع السودان عامة ومنطقة شندي بصفة خاصة لبعض المؤثرات الداخلية والخارجية التي ألقت بظلالها على مجمل الأوضاع فيها خاصة الجوانب السياسية والاقتصادية والأمنية، التي تسرّبت عبرها آثار تلك المؤثرات لتلامس بعض النشاطات السكانية والاجتماعية الأخرى كالتعليم ومراكزه المنتشرة

١ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، الترجمة رقم ٦٦ ، ص ١٣٣ .

٢ - نفس المصدر، ص ١٣٥ .

٣ - نفس المصدر، ص ١٠٤ .

في معظم أرجاء السودان، التي ظلَّت تواجه تلك المؤثرات وتتعامل معها بالكيفية التي تضعف من تأثيرها عليها، وتحول دون خضوعها بالكامل لتلك المؤثرات .

في خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الميلاد عانت المراكز العلمية في السودان من آثار التثنت والتشزم، الذي أصاب البلاد نتيجة لضعف السلطنة الزرقاء، كما عانت تلك المراكز من انعدام الأمن على طُرق المواصلات وتزايد نشاط قُطّاع الطُّرق ، ومن الصراعات والثورات الداخلية والحروب الخارجية، ومن انفصام عُرى العلاقات الثقافية بين مصر والسودان فضلاً عن التضيق على العلماء ومنع تداول الكتب. وقد أدَّى ذلك إلى أن يتدهور التعليم في البلاد، وأن يُصاب بالجمود والوهن في تلك الفترة، وبحلول مطلع القرن العشرين تبيَّن لنا المستوى الذي انحدر إليه التعليم في السودان، للدرجة التي اقتصر فيها عمل المراكز العلمية على تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، واختفت دروس الفقه والمنطق وعلم الكلام التي كانت مزدهرة في المراكز العلمية في القرن السابع عشر الميلادي .

لم تتعرَّض المراكز العلمية في منطقة شندي لتلك المؤثرات التي اشرفنا لها دفعة واحدة، و لكن توالى عليها واحدة تلو الأخرى، وعبر فترات زمنية مُتقاربة أحياناً ومُتباعدة في بعض الأحيان، ولعلَّ هذا هو السبب في أن تحتفظ المراكز العلمية في منطقة شندي ببعض النشاط والحيوية الذين أتاح لها أن تصمد أمام تلك المؤثرات وأن تضاعف من أعدادها، وأن تنتشر في مُعظم القرى الواقعة على الضفة الشرقية للنيل في منطقة شندي. وعلى هذا فإن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الميلاد، شهدا زيادة مُقدَّرة في عدد المراكز العلمية في منطقة شندي، غطَّت مُعظم الرقعة الجغرافية للمنطقة .

هذا التوسُّع التعليمي الذي شهدته منطقة شندي في هذين القرنين ارتبط بعاملين أساسيين هما:

- ١ - جون لويس بوكهارت، مصدر سابق، ص ٢٠٩.
- ٢ - إبراهيم الحارذلو، الرباط الثقافي بين مصر والسودان. ط؛ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ١٩٧٧م. ص ١٩.
- ٣ - المديرية الشمالية، ٨٠/١٤/١.
- ٤ - نفس المصدر.

الأول:نشأة وظهور مجموعة من القرى كنقاط تجمع سكاني على طول الضفة الشرقية للنيل من قرية أم علي شمالاً وحتى حجر العسل جنوباً.

الثاني:الدور الذي لعبته المراكز العلمية العريقة - في مدينة شندي وأم علي وقوز العلم والفجيجة والبسابير على الضفة الشرقية للنيل، والمراكز العلمية المجاورة لمنطقة شندي في المكنية والجوير على الضفة الغربية للنيل - في نشر التعليم عبر قيامها بتدريب وتأهيل مجموعات من طالبي العلم الذين ينتمون لهذه القرى الناشئة، وتهيئتهم لإقامة مراكزهم الخاصة فيها، فظهرت تبعاً لذلك مراكز علمية في ديم القراري والجرأوية والتراجمة وحوش بانقا وغيرها من القرى في منطقة شندي .

على الرغم من تعرُّض المراكز العلمية العريقة في منطقة شندي للمؤثرات السالبة التي خضع لها السودان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الميلاد، وامتداد آثارها إليها، إلا أنها - منطقة شندي - تمكَّنت من الاستمرار في أداء رسالتها وامتصاص تلك الآثار، ومن ثمَّ المساهمة في نشر التعليم في المنطقة.وقد أتاح انقطاع فقهاء تلك المراكز عن الدنيا وزهدهم فيها، وسمو مكانتهم عند العامة والخاصة، بالإضافة لفاعلية التنظيم الداخلي الذي احتفظت به هذه المراكز، والقائم على ضمان انتقال منصب الفقيه من شخص إلى آخر داخل أسرته فيما عُرف بنظام الخلافة ، أتاح لهذه المراكز إمكانية الاستمرار في أداء وظيفتها، رغم ما لحق بها من ضعف طيلة تلك الفترة، بل أن بعضها ظلَّ مُستمرّاً على هذا الحال، حتى النصف الثاني من القرن العشرين .

بالنظر إلى تجربة مركز مدينة شندي العلمي الذي لم يستمر طويلاً بعد وفاة مؤسسه المصوي المصري ، بسبب عدم وجود من يخلفه من الأبناء أو الأشقاء؛

١ - تقرير مسح الخلاوي والمدارس الأولية بالمديرية الشمالية، ديسمبر ١٩٣٨م في المديرية الشمالية ٨٠/١٤/١.

٢ - جون لويس بوكهارت، مصدر سابق، ص ٢٥.

٣ - في زيارته لمدينة شندي في الربع الأول من القرن التاسع عشر تحدث بوكهارت بإسهاب عن كل شيء في المدينة لكنه لم يتحدث عن مدرسة أو حلقة علم بل ذكر أن شندي تخلو من المساجد رغم أنه قد ذكر أنه تعرف على بعض الفقهاء في سوق المدينة، انظر ص ٢٣٠ و ٢٧٧.

٤ - محمد النور بن ضيف الله، مصدر سابق، ص ٢٦٨.

مُقارنة بتجارب المراكز العلمية الأخرى في منطقة شندي، التي عرفت تداول منصب الفقيه بين أفراد أسرته، وما يقتضيه هذا الأمر من حتمية وجود أبناء، أو أشقاء يخلفون آبائهم وإخوانهم، مثلما كان يحدث في مركز جبل أم علي حيث كان للشيخ حامد عدد من الأبناء يخلفونه، وفي موسى حيث كان هنالك التتائي بن محمد بن التنقار ومحمد بن بهرام بن مازري بن التنقار، وفي الفجيجة التي كان قوام مركزها العلمي أسرة ممتدة وليس فرداً واحداً كما كان الحال في شندي. بالنظر لتلك التجربة فإننا نستطيع القول أن وجود نظام لتداول منصب الفقيه بين أفراد الأسرة التي ينتمي إليها الفقيه المؤسس للمركز كان عاملاً حاسماً - إضافة إلى عوامل أخرى - في استمرارية المراكز العلمية بمنطقة شندي حتى منتصف القرن العشرين، بغض النظر عن المكانة التي كان يتمتع بها الفقيه بين العامة والخاصة قبل مماته .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، أنشئت في الخرطوم أول مدرسة نظامية في السودان ، وكان ذلك تطوراً مهماً في نظام التعليم في البلاد، والذي شهد في تلك الفترة ظهور نمطين تعليميين لكل منهما أهدافه ووسائله الخاصة. وقد أدى ظهور وانتشار المدارس النظامية في السودان بنظمها المعروفة ومناهجها المرسومة وتقويمها الدراسي المعلوم، إلى أن يقتصر استخدام مُصطلح المدرسة على المؤسسات التعليمية التي تحمل هذه السمات، فأصبح مُصطلح مدرسة يُطلق فقط على المدرسة النظامية، ولم يعد يستعمل للإشارة إلى المراكز العلمية التي كانت قائمة في السودان قبل ظهور هذا النمط، والتي اعتاد ود ضيف الله أن يُطلق عليها اسم المدرسة أحياناً . وهكذا فقد أصبح ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي مُصطلح الخلوة هو الاسم الذي يشير إلى نمط التعليم الديني في السودان.

خلال القرن العشرين استمرت الخلاوى في منطقة شندي تمارس نشاطها المعتاد في كل المراكز العلمية القديمة والحديثة معاً، دون أن تتأثر كثيراً بالنمط

١ - نفس المصدر، ص ١٤٩ .

٢ - إبراهيم الحارذلو، مرجع سابق ، ص ١٢ .

٣ - عبد العزيز أمين عبد المجيد، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٤ .

التعليمي الحديث الذي أدخله البريطانيون في السودان، ولم تظفر منه منطقة شندي حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين، سوى مدرسة أولية واحدة تستوعب أربعين تلميذاً في العام، تم تأسيسها في مدينة شندي في عام ١٩١٢م، ويتنافس عليها الصبيان ممن هم في سن التعليم من جميع أنحاء منطقة شندي. وظلت الخلاوى هي السبيل الوحيد للتعليم في القرى الصغيرة والبعيدة عن مدينة شندي، وللذين لم يحالفهم الحظ بالالتحاق بالمدرسة النظامية الوحيدة في المنطقة، التي كانت بالكاد تستوعب الصبيان الراغبين في الالتحاق بها، من مدينة شندي والقرى المحيطة بها .

٢ - ٣ - ١ الخلاوى القرآنية في منطقة شندي:

المقصود بالخلاوى القرآنية هنا جميع المراكز العلمية الدينية التي قامت منذ القرن السابع عشر الميلادي في منطقة شندي، بما في ذلك الخلاوى المنتشرة في معظم القرى ومراكز التجمعات السكانية على الضفة الشرقية للنيل، والتي ظلت تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم فنون القراءة والكتابة للصبية وفق مناهجها الخاصة تحت إشراف فقهاءها، أو أعيان القرى التي احتضنتها في المساجد أو تحت الأشجار أو في مباني خاصة بها، منذ القرن السابع عشر الميلادي وحتى الثلث الأول من القرن العشرين، بصورة مُستقلة و دون أن تتدخل مصلحة المعارف - التي أنشئت في مطلع القرن العشرين وتولت أمر الإشراف على التعليم في السودان - في نشاطاتها أو أساليب عملها ومناهجها، أو محاولة تطويرها لتتمكّن من مواكبة النظام التعليمي الجديد .

في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين قامت في منطقة شندي بعض الخلاوى لم يتطرق إليها ود ضيف الله في كتابه الطبقات، على الرغم من أن تاريخ قيامها - استناداً على روايات القائمين على أمرها - يعود إلى ما قبل الفترة التي صنّف فيها ود ضيف الله كتاب الطبقات. ولعل سبب تجاهل ود ضيف الله لهذه الخلاوى التي كانت تُعدُّ جزءاً من منظومة الخلاوى القرآنية في منطقة

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٦٩.

شندي، يعود إلى أن ود ضيف الله لم يسمع بها أصلاً، أو أن الفقهاء الذين كانوا يقومون بالتدريس فيها كانوا من المغمورين الذين لم يصيبوا قدرًا من الشهرة. ومن الخلاوى التي لم يرد لها ذكر في كتاب الطبقات، خلوة الفكي عثمان بالمسيكتاب شمال، التي يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن السابع عشر الميلادي، وخلوة الشيخ بابكر الحجازي بشندي، التي تأسست في عام ٩٧٠ هـ. كما قامت لاحقاً بمنطقة شندي بعد وفاة ود ضيف الله مجموعة من الخلاوى في منطقة شندي، مثل الشقالوة وحلة الشيخ الحفيان وحجر العسل (الشواراب) وغيرها. والشاهد أنه لم يكد الربع الأول من القرن العشرين يصل إلى نهايته حتى كان لكل قرية في منطقة شندي خلوة خاصة بها تقريباً.

٢ - ٣ - ٢ الخلاوى النظامية في منطقة شندي:

الخلاوى النظامية هي في الأصل عبارة عن خلاوى قرآنية أو مراكز علمية دينية، كانت تهتم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة، وتدريس بعض العلوم الدينية الأخرى، ثم قامت مصلحة المعارف بإدخال بعض التعديلات على مناهجها، لتواكب مناهج الدراسة بالمدارس النظامية، ومن ثم تحويلها إلى خلاوى نظامية تكون على مسافة معقولة من النظام التعليمي القائم في البلاد آنذاك. وقد تركزت أهداف هذه الخلاوى بعد ذلك على تعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وحفظ شيء من القرآن الكريم، مع اهتمام خاص بالمبادئ الأولية للصحة والنظافة. وعلى هذا فقد كانت الخلوة النظامية تُعدُّ مدرسة مُصغَّرة، يتعلَّم فيها التلاميذ الحساب والإملاء والقراءة والكتابة وحفظ آيات القرآن الكريم.

لتحقيق تلك الأهداف المناط بالخلوة النظامية تحقيقها أنشأت مصلحة المعارف قسماً خاصاً فيها لتفتيش الخلاوى، يكون مسئولاً لدى مصلحة المعارف

١ - مقابلة شخصية مع الشيخ محمد عبد الله بقرية المسيكتاب شمال في خلوة الفكي عثمان في ١٨/١١/٢٠١١م.

٢ - الفكي الأمين الفكي يوسف، السادة الحجازة العمراناب بمدينة شندي. ط١؛ شندي، ١٩٩٨م. ص٥.

٣ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٢٦.

٤ - جعفر حامد البشير، مملكة الجعليين الكبرى. ط٢؛ الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م. ص

والسلطة المحلية التي تتبع لها الخلوّة المعنيّة، وذلك لمساعدة سلطات التعليم بالمديريات في تتبّع مستويات تلك الخلاوى، والمساهمة في رفع مستوى التدريس فيها . كذلك قامت مصلحة المعارف بتقديم إعانة شهرية للخلاوى، وبمنح مُرتّبات للفقهاء الذين يقومون بالتدريس فيها ومن هنا جاءت تسمية هذه الخلاوى باسم الخلاوى النظامية أو الخلاوى المُعانة، وهذا النوع من الخلاوى أصبح يتبع لمصلحة المعارف، ويخضع لتفتيشها المنتظم.

الخلاوى - بنوعها القرآني والنظامي - ومنذ ظهورها كنمط تعليمي في بلاد السودان وحتى مطلع النصف الثاني من القرن الماضي ، ظلّت تحمل العبء^٢ الأكبر وتشكل العمود الفقري للتعليم في منطقة شندي، على الرغم من ظهور مؤسسات التعليم النظامي الحديث في المنطقة منذ العام ١٩١٢م في مدينة شندي، نتيجة لقلّة المؤسسات التعليمية الحديثة، وتمركزها فقط في مدينة شندي وقرية كبوشية، حتى مطلع أربعينات القرن الماضي، بسبب البطء الذي لازم انتشار تلك المؤسسات في منطقة شندي، نتيجة لتراكم المشاكل التي أعاقّت تطوّر هذا النظام وانتشاره في الريف والقرى الصغيرة، التي أضحت بيئة مثالية وصالحة لتمرکز ونمو الخلاوى القرآنية والنظامية فيها ، وضمن لها الاستمرارية حتى مطلع النصف الثاني من القرن الماضي، مما يدل على أن النظام التعليمي الحديث، لم يقض تماماً على نظام الخلاوى، الذي ظلّ قائماً ومحتفظاً بحيويته ولم يتداع أمام تطوّر وانتشار النظام التعليمي الحديث، بل صار صنواً له من خلال قيامه بالمعونة في نشر وتعليم مبادئ القراءة والكتابة وإعداد اليافين للقبول بالمدارس الأولية . حيث كان جميع الفتيان الذين يلتحقون بالمدارس الأولية ممن يمتلكون مهارة القراءة والكتابة، نتيجة لقضائهم لفترة انتظار في هذه الخلاوى، وهذا يعني بالضرورة أن المدارس الأولية التابعة لمصلحة المعارف، كانت تقبل في سنتها الأولى طلاباً تم إعدادهم في الخلاوى النظامية أو القرآنية بصورة جيدة.

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٢٦.

٢ - تربية وتعليم ٩٧/٢٤/٥/٢، ص ٦٠٢.

٣ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٠٦.

٤ - تربية وتعليم ٩٧/٢٤/٥/٢، ص ٦٠٢.

على الرغم من أن مصلحة المعارف - منذ نشأتها - كانت تتحاشى التعرُّض للنظام التعليمي الذي كان سائداً في البلاد، المتمثل في نظام الخلاوى القرآنية لأسباب عديدة، منها ما هو سياسي يتعلَّق بخشية الحكومة أن تجرَّ على نفسها عداوة الأهالي بتدخلها في حياتهم الدينية، وسعيّاً منها وراء كسب ثقتهم ، ومنها ما هو متعلِّقٌ بالنظام التعليمي الجديد نفسه وبرغبة مصلحة المعارف في إبعاد المؤثرات التي قد تعيق تطوره، وذلك برفضها تقديم أي دعم مادي للخلاوى القائمة بغرض تحسين مستواها، مما قد يضيف أعباء مالية إضافية لمصلحة المعارف قد تحد تطور النظام التعليمي الجديد، ومنها ما يتعلَّق بعدم قدرة مصلحة المعارف على توفير العدد الكافي من المفتشين للإشراف على الخلاوى القرآنية بغرض رفع مستويات أدائها . على الرغم من كل ذلك فقد اختزلت مصلحة المعارف مرحلة المدرسة الأولية، من أربع سنوات في البداية إلى ثلاث سنوات، وذلك على اعتبار أن الطلاب المقبولين في المدارس الأولية يُقبلون من الخلاوى القرآنية، وذلك لفترة من الزمن وفي بعض المناطق ، مما يدل على أن مصلحة المعارف قد اعتمدت نوعاً ما في بدايتها، على الخلاوى القرآنية التي ساهمت في تخفيف الضغط على المدارس الأولية بسبب قلتها والإقبال الشديد عليها، وفي ملء الفراغات التي خلفها النظام التعليمي الحديث . عموماً فقد نظرت المعارف للخلاوى، كأدوات مُفيدة للتعليم النظامي الحديث عند تحويلها إلى خلاوى نظامية ، فضلاً عن كونها تمثِّل قيمة روحية أصيلة، كمؤسسات قروية توفر التعليم الديني والأخلاقي لليافعين في قُراهم، وهذا ما

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٨١.

٢ - نفس المرجع ، ص ٧٢.

٣ - تربية وتعليم ١/٣/١٨٨/٨٤٢، ص ٢.

٤ - محمد عمر بشير ن مرجع سابق ، ص ١٢٦.

شجّع مصلحة المعارف على الإنفاق عليها وإعانتها، بعد أن قلّصت أعدادها في مختلف أنحاء السودان .

عرفت منطقة شندي الخلاوي النظامية لأول مرة في شهر فبراير من العام ١٩٢٤م قبيل اندلاع ثورة ١٩٢٤م، التي زعزعت ثقة الحكومة في شريحة المثقفين، وزادت من مخاوفها بشأن النظام التعليمي نفسه، وخطورته على بقائها في البلاد كسلطة استعمارية ، ومهدت السبيل لظهور سياسة حكومية جديدة في مجال التعليم، قوامها التضييق على المُتعلّمين والحدّ من توسّع المؤسسات التعليمية الحديثة في مُدن البلاد المختلفة . وقد كان من شأن هذه السياسة، أن ساعدت على انتشار الخلاوي النظامية في القرى الصغيرة، واستقطبت دعم المعارف لها، وفي هذا الجانب فقد حظيت منطقة شندي بقدر لا بأس به من الخلاوي النظامية، التي أخذت تنتشر في المنطقة منذ ذلك التاريخ، والجدول أدناه يُبيّن تسلسل انتشار الخلاوي النظامية في منطقة شندي منذ العام ١٩٢٤م وحتى العام ١٩٣٥م، مُرتباً حسب التدرُّج الجغرافي من الشمال إلى الجنوب .

جدول رقم (١) الخلاوي النظامية بمنطقة شندي

م	اسم الخلوة	تاريخ التأسيس أو الانضمام لمصلحة المعارف
١	جبل أم علي	١٩٣١م
٢	قدو	١٩٣٤م
٣	البحراوية	يناير ١٩٢٧م
٤	كبوشية	يوليو ١٩٢٥م
٥	ديم القراي	١٩٣٥م
٦	الترجمة	يناير ١٩٢٧م
٧	المسيكتاب شمال	يوليو ١٩٢٥م

- ١ - المديرية الشمالية ١/١٤/٨٠.
- ٢ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٥٨.
- ٣ - نفس المرجع ، ص ١٥٩.

٨	شندي (١) الشيخ خلف الله	فبراير ١٩٢٥م
٩	شندي (٢)	يناير ١٩٢٧م
١٠	مويس	فبراير ١٩٢٤م
١١	حوش بانقا	١٩٢٩م
١٢	قوز المطرق	١٩٣٠م
١٣	اليسابير	فبراير ١٩٢٥م
١٤	جزيرة مرنا	١٩٢٧م
١٥	حجر العسل	فبراير ١٩٢٥م

المصدر: كمال الدين عباس، مفتش تعليم بربر، وأحمد محمد إبراهيم، مفتش التعليم الأهلي، عطبرة، المديرية الشمالية ٨٥/١٥/١، ونيوبولد مفتش التعليم بالمديرية الشمالية، المديرية الشمالية ٨٠/١٤/١.

هذه الخلاوي الموضحة في الجدول أعلاه وإذا استثنينا منها خلاوي قدو كبوشية، البجراوية، ديم القراري والتراجمة، سنجد أنها في الواقع تمثل امتداداً للمراكز العلمية التي قامت منذ القرن السابع عشر الميلادي في المنطقة الجنوبية من المديرية الشمالية، التي اشتهرت بالمراكز العلمية والخلاوي الشهيرة التي تمَّ تحويل مُعظمها إلى خلاوي نظامية نتيجة لسمعتها الطيبة، حتى وصل تعدادها في ديسمبر من عام ١٩٣٨م، إلى حوالي مائة وستين خلوّة نظامية بالمديرية الشمالية، تتلقَّى إعاونة من مصلحة المعارف تمثل ضعف ما تتلقَّاه أيّ مديرية أخرى من دعم، مما يدلُّ على اهتمام المعارف بهذه المنطقة وخلاويها وجدارة تلك الخلاوي بالدعم.

الخلاوي النظامية بمنطقة شندي وبحكم تبعيتها مصلحة المعارف فقد كانت تخضع لتفتيش المصلحة السنوي، الذي كان يتم على مستوى مفتش التعليم بالمديرية الشمالية وكان يقوم بالتفتيش مرة في نهاية كل عام، وعلى مستوى مُفتشي المعارف المحليين بالمديرية الشمالية حيث خصّصت مصلحة المعارف لخلاوي المديرية الشمالية اثنين من المفتشين المحليين الذين كانا يكرّسان أغلب وقتها في الإشراف على هذه الخلاوي وتفتيشها مرّة كل ستة أشهر، وكان تفتيش هذه الخلاوي يتمُّ في شهري أبريل ونوفمبر من كل عام، واستمر نظام التفتيش^٢

١ - المديرية الشمالية ٨٠/١٤/١.

٢ - المديرية الشمالية ٨٠/١٤/١.

المحلي هذا على هذا النمط إلى أن تم تغييره في عام ١٩٣٥م، حيث تمّ تقليص عدد مرات التفتيش لتصبح مرة في السنة غالباً ما تكون في شهر مايو من كل عام. هذا التفتيش السنوي للخلاوي كان يُعدُّ أمراً ضرورياً بالنسبة لمصلحة المعارف، وذلك لقياس مستوى الخلاوي ومُعاينة بيئتها لتحديد مستوى الدعم الذي تستحقه، وضمان تحقيقها للأهداف التي من أجلها خُصِّص هذا الدعم من خلال المتابعة والإشراف والإغراء بالزيادة والترهيب بالحرمان، وتشجيع المجتمعات المحلية على دعم الخلاوي وحثّها على تشييد مبانيها بطريقة ملائمة وصحيّة، وكذلك النظر في أمر تدريب فقهاءها. حيث قامت المصلحة في هذا الشأن بإعداد مراكز لتدريبهم في عواصم المديريات، ودرجت على عقد الدورات التنشيطية لهم.

الخلاوي النظامية بمنطقة شندي كانت تتلقّى دعم مالي شهري يُقدّم كراتب للفقهاء الذي يقوم بالتدريس فيها حسب المنهج المحدد. وكان هذا الدعم بمثابة الباب الذي ولجت من خلاله مصلحة المعارف للتدخل في شئون تلك الخلاوي عبر الإشراف والمتابعة والتفتيش الدوري عليها، وفي هذا الجانب فإن سلطة مصلحة المعارف ومفتشيها قد تصل إلى التوصية بإيقاف الإعانة أو تحديد قيمتها أو إلغائها، وذلك حسب المستوى العلمي الذي يتمتع به الفقيه، لذلك كثيراً ما كانت تقارير التفتيش الدوري للخلاوي تنادي بإخضاع بعض الفقهاء لدورات تنشيطية في شندي أو الدامر. كذلك كان استمرار الإعانة المقدمة للخلوّة أو زيادتها أو حتى استمرار الخلوّة كمؤسسة، بجانب المستوى المعرفي الذي يتمتع به الفقيه ومقدرته على القيام بأعبائه، كان رهيناً بأن يتلمّس مفتش التعليم الذي يقوم بتفتيش الخلوّة ردود إيجابية على الأسئلة التالية:

1- هل الخلوّة توفّر قدراً من التعليم للفتيان؟

١ - نفس المصدر.

٢ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٢٦.

٣ - المديرية الشمالية ١٤/١٤٠٨٠.

٤ - المديرية الشمالية ١٤/١٤٠٨٠.

2- هل معدّل الحضور كافياً فيما يتعلّق بالخلوة كمنشأة عامة؟

3- هل المباني صحيّة بدرجة لا تُلحق ضرراً بصحة الفتيان نتيجة لحضورهم

للخلوة ؟

تُعدُّ خلوة موسى جنوب شندي أول خلوة تقليدية بالمنطقة يتم تحويلها إلى خلوة نظامية، وفقاً لمتطلبات ومعايير مصلحة المعارف التي كانت تشدّد على ملائمة المباني لصحة الفتيان وإقبالهم على الدراسة بالخلوة ووجود فقيه مؤهل يقوم بالتدريس فيها، وقد كان ذلك الحدث في شهر فبراير من العام ١٩٢٤ م . تحويل هذه الخلوة إلى خلوة نظامية على الرغم من أنّه كان يُعدُّ مؤشراً إيجابياً على أن مصلحة المعارف قد بدأت ترنو ببصرها إلى الخلاوى الأخرى بمنطقة شندي، بغرض تطويرها وتحويلها إلى خلاوى نظامية إلا أنه - وعلى الرغم من الأهميّة التي انطوت عليها هذه الخطوة - لم يكن يعني سوى إضافة طفيفة للتعليم النظامي وللجهد التعليمي بمنطقة شندي، استأثرت به مدينة شندي بسبب قربها الشديد من قرية موسى، بينما ظلّت القرى الواقعة إلى الشمال والجنوب من مدينة شندي طيلة ربع قرن من الزمان منذ تأسيس مصلحة المعارف في العام ١٩٠٠م، تعتمد على المراكز العلمية التي نشأت في المنطقة منذ القرن السابع عشر الميلادي وظلّت تواصل عملها حتى القرن العشرين .

في عام ١٩٢٥م بدأت ولأول مرة خطوات مصلحة المعارف الحثيثة تلامس ساحات قرى المنطقة الجنوبية لمنطقة شندي، وذلك عندما قامت مصلحة المعارف بتحويل خلوتي البسابير وحجر العسل إلى خلاوى نظامية مُعانة في فبراير ١٩٢٥م ، في خطوة هي الأولى لمن نوعها بالنسبة لمصلحة المعارف في هذه المنطقة. وقد أدّت هذه الخطوة إلى اتساع الرقعة الجغرافية التي تغطيها المؤسسات التعليمية التابعة لمصلحة المعارف بمنطقة شندي، لتصل إلى أقصى الحدود الجنوبية للمنطقة في حجر العسل وتمتد شمالاً لتصل حتى قرية كبوشية

١ - نفس المصدر.

٢ - نفس المصدر.

٣ - المديرية الشمالية ٨٥/١٥/١.

التي تمَّ تحويل خلوتها إلى خلوة نظامية في يوليو ١٩٢٥ م ، بالإضافة إلى خلاوى^١ الشيخ خلف الله بشندي وخلوة الشيخ المزمّل عبد الباقي بقرية المسيكتاب شمال شندي وذلك في يوليو من نفس العام .

في يناير ١٩٢٧م تمَّ تحويل أربع خلاوى قرآنية دفعة واحدة في منطقة شندي إلى خلاوى نظامية، في مدينة شندي وجزيرة مرّات بحجر العسل و قرية التراجمة وقرية البجراوية ، ليرتفع بذلك عدد الخلاوى القرآنية التي تمَّ تحويلها إلى خلاوى نظامية بمنطقة شندي إلى عشرة خلاوى، اثنتان منها بمدينة شندي والبقية في ثمان قُرى رئيسية بالمنطقة.والجدير بالذكر أن هذه الخلاوى الثمانية، توجد أربع منها شمال مدينة شندي في قرى المسيكتاب والتراجمة والبجراوية وكبوشية، والأربع الأخريات تقع جنوب مدينة شندي في قُرى مويس والبسابير وجزيرة مرّات وحجر العسل، والملاحظ هنا أن توزيع هذه الخلاوى وانتشارها الجغرافي جنوب وشمال مدينة شندي، يبدو و كأنما رُوعي فيه التزام جانب العدالة في التوزيع.

منذ ظهور الخلاوى النظامية في عام ١٩٢٤م وتزايد أعدادها بالمنطقة، شكَّلت طريقاً ثانياً للتعليم يسلكه من لم يسعفهم الحظ بالالتحاق بسلك التعليم في المنطقة، وقد ظلَّت الخلاوى النظامية بمنطقة شندي تستوعب أعداد مُقدَّرة من الفتيان الذين لم يجدوا فرصة للالتحاق بمدرسة شندي الأولية أو بالمدارس الصغرى.وقد بلغ عدد الذين انتسبوا إلى الخلاوى النظامية بمنطقة شندي حتى العام ١٩٢٦م، حوالي ثلاثمائة وثمانية وستون فرداً في تسع خلاوى، مقارنة بعدد مائة وستين تلميذاً تقريباً بالمدرسة الأولية الوحيدة بمدينة شندي وهي نسبة تزيد عن الضعف تقريباً.وفي مُعظم الأحوال فقد كانت الخلاوى النظامية بمنطقة شندي دائماً تساوي نسبة ٢٥% من مجموع خلاوى مديرية بربر النظامية وأكثر من نسبة ٥٠% من مجموع الخلاوى النظامية بمركز شندي القديم، وتكاد نسبة أعداد الفتيان المقيدين بخلاوى منطقة شندي تساوي ٢٥% من مجموع الطلاب المقيدين

١ - نفس المصدر.

٢ - نفس المصدر.

٣ - نفس المصدر.

بـخـلاوى مـديـريـة بـرـبر وأكـثـر مـن ٥٠% مـن مـجمـوع الطـلاب المـقيـدين بـخـلاوى مـركـز شـنـدي القـديـم ، وهـذه دـلالـة عـلى المـكـائـة المـتمـيـزة للـخـلاوي النـظـامـيـة بـمـنـطـقـة شـنـدي، خـاصـة خـلـوتـي الشـيـخ خـلف الـله بـشـنـدي و كـبـوشـيـة اللـتـين دـائـمـاً ما كـانـتا تـسـجـلان أكـبـر عـدد مـن الطـلاب مُقـارنـة بـبقـيـة خـلاوي المـنـطـقـة .

الفصل الثالث

التعليم النظامي في منطقة شندي

١٩٥٥-١٩٠٠

٣ — ١ ملامح تطور التعليم في السودان في الفترة من ١٩٠٠ —
١٩٥٥م:

شهد السودان في مطلع القرن العشرين مولد النظام التعليمي الحديث الذي شرعت في تطبيقه حكومة السودان، التي تشكَّلت بعد إعادة احتلاله في نهاية القرن التاسع عشر، وقد رسمت الملامح العامة لهذا النظام استناداً على رؤى وأفكار اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر، واللورد كيتشنر والسير ونجت اللذين تعاقبا على تولي منصب الحاكم العام في السودان، وأُقيمت على عاتق السير جيمس كرى - الذي عُيِّن مديراً لمصلحة المعارف في عام ١٩٠٠م - مهمة تنفيذ هذا النظام وتحديد أهدافه التي حصرها في الآتي:

- 1- خلق طبقة من الحرفيين الأكفاء.
 - 2- نشر التعليم بين جماهير الشعب لتمكينهم من فهم الجهاز الحكومي، لا سيما فيما يختص بإدارة عادلة قائمة على المساواة والإنصاف .
 - 3- خلق فئة قليلة العدد من الإداريين قادرة على شغل مناصب حكومية عديدة بعضها إداري وبعضها تقني في طابعه .^٢
- ويبدو أنه كان هنالك هدف رابع غير مُعلن وهو تدريب السودانين ليخلفوا المصريين في الجيش والإدارة .^٣

هذه الأهداف التي أنشئ النظام التعليمي الحديث في السودان لتحقيقها، تشير بوضوح إلى أن الغرض الأساسي من تطبيق هذا النظام كان مُوجهاً بالدرجة الأولى نحو تدعيم الجهاز الإداري للدولة بعناصر سودانية مُدربة يمكنها أن تشغل بعض الوظائف الصُّغرى فيه وتلبية حاجاتها الاقتصادية، مع الأخذ في الاعتبار إمكانيات السودان الاقتصادية والمالية الضعيفة، التي أجبرت الحكومة على إنشاء نظام تعليمي محدود يناسب قدرة وإمكانيات الدولة، ويتفادى الصرف على أيِّ نظام تعليمي لا يمت لحاجات البلاد الاقتصادية بصلة . لذلك لم تكن هنالك أيِّ

١ - محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠-١٩٥٥م. ط٢؛ الخرطوم: مركز عب الكريم ميرغني، ١٩٩٢م. ص٣٨٣.

٢ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص٦٩.

٣ - زكي البحيري، السودان تحت الحكم الإنجليزي المصري. ط١؛ القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٩م. ص٣٧٥.

٤ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص٦٣.

مساحة أخرى يمكن النفاذ من خلالها لرؤية واضحة تعنى بالتعليم لذاته من خلال تلك الأهداف، على الأقل في تلك المرحلة المبكرة من نشأة النظام التعليمي الحديث في البلاد .

شرعت حكومة السودان في تنفيذ تلك الأهداف التعليمية دون إبطاء لخدمة الجهاز الإداري للدولة، غير أن شح الموارد المالية لحكومة السودان - التي كانت تعتمد في تغطية عجز ميزانيتها على الخزينة المصرية - ولعدم توفر العدد الكافي من المدارس والمدرسين، جعل الحكومة تغض الطرف عن الهدف الثاني من أهداف التعليم، والذي كان ينادي بنشر التعليم الكافي بين جماهير الشعب لتمكينهم من فهم الجهاز الحكومي، لا سيما فيما يختص بإدارة عادلة قائمة على المساواة والإنصاف، وأن تسخر - الحكومة - الإمكانيات المتوافرة لديها لتحقيق الهدفين الأول والثالث. وحتى في سعيها لتحقيق هذين الهدفين فقد رأت الحكومة أن تقصر التعليم على الذين تحتاج إليهم، وبالقدر الذي يجعلهم قادرين على مواجهة الدجل والابتعاد عن الحماس الديني والتعصب، دون أي زيادة لا مبرر لها .

نتيجة لهذه السياسة التي التزمت شعار التعليم بقدر الحاجة، والتي اتبعتها حكومة السودان في ميدان التعليم، وأفرزت عدداً قليلاً من المدارس الأولية الحكومية عند بداية العمل بهذا النظام، فقد ساد نظام الخلاوي في معظم المناطق التي لم يسجل النظام التعليمي الحديث حضوراً فاعلاً فيها، الأمر الذي أتاح لهذه الخلاوي أن تملأ وبكل جدارة الفراغ التعليمي في المناطق التي خلت منها مؤسسات النظام التعليمي الحديث. أما مصلحة المعارف فقد أقيمت على هذه الخلاوي جنباً إلى جنب مع مؤسسات النظام التعليمي الحديث، على الرغم مما في ذلك من دلالة واضحة على وجود نظامين تعليميين مختلفين في قطر واحد، وما يمثله ذلك من ازدواجية في التعليم وذلك لسببين، الأول لأنها تخفف الضغط على المدارس الأولية - على قلتها - دون أن تكلف خزينة الدولة شيئاً، والثاني التزام مصلحة المعارف بالسياسة الحكومية تجاه الخلاوي والقاضية بعدم التدخل في

١ - ناصر السيد ، تاريخ السياسة والتعليم في السودان ، الخرطوم ، ١٩٧٤م ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط ٢ ، ص ١١٥

٢ - محمد عمر بشير ، مرجع سابق ، ص ٦٥-٦٦

شئونها، حتى لا تثير الأهالي وتجرب عداوتهم عليها . كذلك رفضت مصلحة المعارف في بداية نشأتها أن تخصص إعانة مالية لتلك الخلاوى لرفع مستوى الأداء فيها، مُتعللة بأن تلك الخطوة سابقة لأوانها، وأنها ربما تزيد من الأعباء المالية لمصلحة المعارف وتعيق تطوُّر النظام التعليمي الحديث الذي وُضعت الخُطط لتنفيذه وتطويره. كما رفضت مصلحة المعارف كذلك إنشاء نظام لتفتيش ومراقبة الخلاوى بحُجة أن ذلك أمر يصعب تنفيذه .^٢

في الفترة من العام ١٩٠٠م وحتى العام ١٩٢٤م نشطت مصلحة المعارف في بناء المدارس على النمط التعليمي الحديث في بعض المناطق والمدن في شمال السودان في دنقلا و بربر والخرطوم وأم درمان والجزيرة، وعلى الرغم من أن الأهالي قد قابلوا تلك المدارس الجديدة في البداية بشيء من النفور والتجاهل المُتعمَّد، إلا أنَّه وبمرور الزمن بدأت تلك المدارس تجد القبول من الأهالي والإقبال من أبنائهم ممن هم في سن التعليم، فتزايدت تبعاً لذلك أعداد السودانيين الذين التحقوا بها وتخرجوا فيها، بعد أن كانت أغلبية التلاميذ في هذه المدارس في البداية من المصريين والشوام. ونجم عن هذا الإقبال تزايد أعداد تلك المدارس التي بلغت في عام ١٩٠٧م عشرون مدرسة والمدارس الوسطى ست مدارس في نفس العام ، واستمرت هذه الزيادة باضطراد دون أن تتأثر كثيراً باندلاع الحرب العالمية الأولى التي انشغلت فيها حكومة السودان بدعم المجهود الحربي بصورة أكبر من انشغالها بقضايا التعليم ومؤسساته، التي بلغت في عام ١٩٢٧م مدرسة ثانوية واحدة هي كلية غردون، وأحد عشر مدرسة وُسّطى بها حوالي ألف ومائتان وتسع وستون طالباً، واثنان وثمانون مدرسة أولية بها ثمانية ألف وسبع وخمسون طالباً .^٤

١ - محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص ٣٨٤.

٢ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٧٢.

٣ - هارولد مكمايكل، السودان، ترجمة محمود صالح عثمان صالح. ط ١؛ الخرطوم: مركز عبد الكريم ميرغني، ٢٠٠٦م. ص ١٦٢.

٤ - زكي البحيري، مرجع سابق، ص ٤٤٢.

حصر أهداف التعليم في خدمة الجهاز الإداري للدولة وتلبية احتياجاتها الاقتصادية أدى لأن تظل ولسنوات طويلة، مخرجات النظام التعليمي الجديد أقل بكثير من حاجة سوق العمل والجهاز الإداري للحكومة، وقد تطأبت النشاطات الاقتصادية للحكومة ومشاريع التنمية مثل مد خطوط السكك الحديدية وتوسيع أعمال الأشغال العامة، المزيد من الفنيين من خريجي المدارس الحكومية، كما أن الحاجة للكتابة والمحاسبين أصبحت تزداد عاماً بعد عام، مع اتساع مظلة النظام الإداري الحكومي في البلاد.

وتمشياً مع سياسة استيعاب أعداد من السودانيين من خريجي المدارس الحكومية في وظائف إدارية صغرى كمساعدين للمأمير المصريين، فقد فُتحت في العام ١٩١٩م مدرسة نواب المأمير، و عند بداية العام ١٩٢٤م بلغ عدد السودانيين الذين تم استيعابهم في خدمة الحكومة من خريجي النظام التعليمي الحديث، ثمانية وتسعون شخصاً، اثنان وعشرون منهم في الخدمة العسكرية، وستة وسبعون مدنياً يعملون في خدمة حكومة السودان .ويجب أن نشير هنا إلى أن المزايا الاقتصادية والاجتماعية والمكاسب التي تحصل عليها خريجي النظام التعليمي الحديث من الشباب السوداني والتي ظهرت في شكل رواتب شهرية مجزية ووظائف حكومية مرموقة، ساهمت أيضاً وبقدر كبير منذ البداية في تبديد ما كان يدور في أذهان المواطنين من شكوك حيال النظام التعليمي الحديث وأصبحوا يطالبون بمزيد من التعليم لأبنائهم .

٢

هذا التوسع والتطور الذي شهده النظام التعليمي الحديث في السودان، تلقى ضربة قوية في عام ١٩٢٤م حيث أدى لاندلاع ثورة ١٩٢٤م التي قادها المتفقون والخريجون، إلى أن تلتفت حكومة السودان إلى خطورة التعليم ومخرجاته على وجودها الاستعماري في السودان باعتباره سلاحاً ذو حدين، فهو من جانب أداة لتحقيق الأهداف التي رسمت له، ومن جانب آخر فهو وسيلة للاستنارة والتطلع والطموح ونشر الوعي، لذلك شرعت الحكومة في الحد من توسع التعليم بعد ثورة

١ - مكمايكل، مرجع سابق، ص ١٦٢.

٢ - محمد عمر بشير، مرجع، ص ١٠٩.

١٩٢٤م، التي كانت بمثابة صدمة قوية للحكومة. فالتعليم الحديث الذي كان أحد أهدافه محاربة التعصب الديني والجهل والخرافات واجتثاث التطرف الديني - في إشارة للمهدية - ولتخريج شريحة من المثقفين السودانيين المشبعين بالثقافة الأوربية، أُريد لها أن تكون حلقة وصل بين الحكام والمحكومين، خلق شريحة من المتعلمين الذين ثاروا في وجه الحكومة. ونتيجة لذلك نُظر للتعليم بعد أحداث ثورة ١٩٢٤م باعتباره خطراً على الدولة، وأنه قد خرج عن المسار الذي رُسم له فأدارت الحكومة ظهرها للتعليم، وتبَخَّرت فيها روح الحماسة لنشره، بل تعمَّدت عدم إحقاق المتعلمين بالوظائف الحكومية بعد ثورة ١٩٢٤م، مما أدى إلى أن يُصاب النظام التعليمي في الفترة من ١٩٢٤م وحتى عام ١٩٣٣م بالجمود، حيث ظلَّت المدارس الوسطى طيلة هذه الفترة على حالها - أحد عشر مدرسة - وازدادت أعداد مدارس البنين الأولية، من إثنان وثمانين مدرسة في عام ١٩٢٧م، إلى واحد وتسعين مدرسة في عام ١٩٣٣م، بزيادة تسع مدارس فقط وهي زيادة طفيفة نسبياً، وقد كان من اللافت للنظر أن يرتفع عدد مدارس البنات الأولية للبنات، من عشر مدارس في عام ١٩٢٧م إلى اثنان وعشرين مدرسة في عام ١٩٣٣م .

هذا الجمود الذي أصاب النظام التعليمي الحديث في الفترة من ١٩٢٤م وحتى عام ١٩٣٣م، أدَّى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام الخلاوى التي ازدادت أعدادها في تلك الفترة، وجاءت الأزمة المالية العالمية التي ضربت العالم في عام ١٩٣١م، لتفاقم من أوضاع التعليم النظامي وتحد من توسعه، الشيء الذي أعطى الخلاوى دفعة ثانية من التمدد والتوسع الذي لم يصمد طويلاً أمام إقبال الناس على التعليم النظامي الحديث، خاصة في المدن والقرى الكبيرة مما أدَّى لأن تبادر مصلحة المعارف بتحويل عدد من الخلاوى الممتازة إلى خلاوى نظامية، ومدارس صغرى - وهي مدارس أولية غير مكتملة تتكون من ثلاثة فصول - فارتفع بذلك عدد المدارس الصغرى من ستة وثلاثين مدرسة صغرى

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٥٥.

٢ - زكي البحيري، مرجع سابق، ص ٤٤٢-٤٤٣.

٣ - مكمايكل، مرجع سابق، ص ١٦٣.

عام ١٩٣٨م، إلى مائتان وتسعة وثمانين مدرسة في عام ١٩٤٦م، يدرس بها حوالي ثمانية عشر ألف طالب من أنحاء السودان المختلفة .^١

بعد انتهاء الأزمة العالمية وتحسن الوضع المالي لحكومة السودان، بدأت تلوح في الأفق محاولات لإصلاح نظم التعليم في السودان، من قبل بعض المشرفين على شئونهم، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال توجيه النقد العلني للنظام التعليمي السائد في البلاد، وبروز آراء تنادي بأن النظم التعليمية التي تهدف فقط لتخريج موظفين حكوميين، لا تخدم التطور المنشود للبلاد . كذلك امتدت سهام النقد لتتطال نظام الخلاوي التي تم تحويلها إلى خلاوي نظامية أو مدارس صغرى، باعتباره نظاماً لم يعد صالحاً ليكون جزءاً من منظومة النظام التعليمي الحديث، في ظل الظروف الجديدة التي بدأت تتغير فيها نظرة الحكومة نحو التعليم، وأن الحل الناجع يكمن في ضرورة إنشاء مدارس أولية مكتملة تحل مكانها. وقد أدت هذه النظرة السالبة لنظام الخلاوي النظامية، إلى حدوث اختلاف في وجهات النظر بين القائمين على أمر التعليم في السودان بين مؤيد لاستمرارها ومعارض له، في الوقت الذي تطابقت فيه وجهات النظر في أن المدارس الأولية القائمة في حاجة إلى إصلاح، خاصة في أساليب التعليم وطرق التدريس .^٢

في عام ١٩٣٢م قدم مفتش التعليم الأولي بمصلحة المعارف السيد سكوت مذكرة عن التعليم في شمال السودان إلى مدير مصلحة المعارف، ضمن فيها دعوة صريحة لإصلاح التعليم وإدخال تعديلات جذرية عليه، ونادي باستهداف شريحة أكبر من السودانيين ممن هم في سن التعليم لينالوا قدرأ منه، ونادت المذكرة بأن نشر التعليم وإصلاح نظمه هو السبيل الأمثل والأوحد لمعالجة مشاكل البلاد، وهذا هدف لا يمكن إدراكه إلا بإنشاء معهد لتدريب معلمي المدارس الأولية، ومدرسة زراعية لتشجيع المزارعين على تحسين ظروف الإنتاج .^٣

١ - محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص ٣٨٤.

٢ - زكي البحيري، مرجع سابق، ص ٣٨٤.

٣ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٨٩-١٩١.

بعد تسعة أشهر من مذكرة سكوت بادر الحاكم العام بتشكيل لجنة برئاسة ونتر مدير مصلحة المعارف، وعضوية المفتش الأول للتعليم المستر سكوت وعين ف.ل. قريفت مقررًا لها، وقد كلفت اللجنة بتقصي الحقائق حول نظم التعليم وإعادة النظر فيه، وتقرير الإجراءات الواجب إتباعها لتوفير وإعداد أعداد مناسبة من السودانيين للعمل بالمصالح الحكومية. وقد خرجت اللجنة بعدة توصيات كان من أهمها إنشاء معهد لتدريب المعلمين بمنطقة ريفية وتطوير مناهج لإعداد المعلمين، وقد أوكلت مهمة إنشاء هذا المعهد لمستر قريفت وهو نفس المقترح الذي تقدم به المستر سكوت ليقوم بتخريج المدرسين المدربين على طرق التدريس الحديثة .

في عام ١٩٣٤م بدأت أولى خطوات إصلاح نظام التعليم في البلاد وذلك بإنفاذ أهم بنود توصيات لجنة ونتر حيث قامت مصلحة المعارف بنقل مدرسة العُرفاء من كلية غردون إلى بخت الرضا بالدويم التي افتتحت رسمياً في ١٨/١٠/١٩٣٤م، كأول معهد لتدريب المعلمين في السودان يدرس فيه الطلاب لمدة أربع سنوات بعد إكمال المرحلة الأولية، يتخرجون بعدها معلمين بالمدارس الأولية، وقد رُفعت سنوات التي يقضيها الطلاب في الدراسة بالمعهد من سنتان إلى خمس سنوات في عام ١٩٤٠م، ثم إلى ست سنوات في عام ١٩٤٤م. وقد تمّ تعيين المستر قريفت الأستاذ بكلية غردون ومقرر لجنة ونتر عميداً لهذا المعهد الذي كان يهدف إلى إعداد مدرسي مرحلة أولية قانعين ببيئتهم الريفية، مؤهلين أكاديمياً ومهنياً تأهيلاً عالياً. بجانب وضع مقررات وكتب دراسية للطلاب وكتب تربوية للمدرسين ملائمة لأغراض التربية الريفية .

كان قيام معهد بخت الرضا بالدويم خطوة مهمة في طريق إصلاح التعليم ونُظم التربية والتوسُّع التعليمي المنشود في البلاد، حيث أن قيامه كان يهدف إلى إحداث التوسع المحسوب في التعليم الأولي الذي يقود بالضرورة إلى إحداث تطور آخر في التعليم الأوسط والتعليم الثانوي باعتباره قاعدة الهرم التعليمي، وتأتي أهمية

١ - زكي البحيري، مرجع سابق، ص ٣٨٥.

٢ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٩٨.

٣ - نفس المرجع، ص ٢٠٠.

التوسع في التعليم الأوسط والثانوي - التي تستند على إحداث التوسع في التعليم الأولي - نتيجة لتزايد الحاجة لخريجي المدارس الثانوية من السودانيين لشغل وظائف إدارية أكبر، لا سيما بعد التطورات السياسية التي شهدتها البلاد بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦م بين مصر وإنجلترا، والتي أدت إلى عودة العناصر المصرية للخدمة في حكومة السودان، بعد أن أبعدت في أعقاب ثورة ١٩٢٤م، ولما كانت حكومة السودان غير مُتحمّسة لاستيعاب مصريين في خدمتها مرةً أخرى، فقد كانت العناصر السودانية هي البديل الأنسب ومن ثمّ أصبحت الحاجة لتوفير التعليم العالي للسودانيين أكثر إلحاحاً .

في عام ١٩٣٧م دعت حكومة السودان لجنة دي لوار لمراجعة مناهج ونظم المدارس الأولية والوسطى وكلية غردون، وللنظر في علاقة المدارس الأولية بمعهد إعداد معلمي المدارس الأولية بالدويم، وذلك بغرض إحداث المزيد من التجويد والتطوير للنظام التعليمي، وقد عزّزت زيارة اللجنة للسودان فكرة إعادة هيكلة التعليم في البلاد، حيث أوصت اللجنة بأن تتحول كلية غردون في الوقت المناسب إلى جامعة، ولإنفاذ هذه التوصية نُقلت المدرسة الثانوية بكلية غردون بعد سنوات إلى منطقة وادي سيدنا لتصبح مدرسة ثانوية داخلية، ثم انضمت إليها في عام ١٩٤٦م مدرسة حنتوب بمدني، وخورطقت بكردفان في عام ١٩٤٩م .

٢

بعد عام من زيادة لجنة دي لوار للسودان تكوّن مؤتمر الخريجين العام في العام ١٩٣٨م، وقد ساهم المؤتمر في تشجيع التعليم ونشره في طول البلاد وعرضها عن طريق دعمه المتواصل لإنشاء المدارس الأهلية بمختلف مراحلها في عدد من المدن السودانية، وتبنيه ليوم التعليم . وقد حظيت قضايا التعليم الأوسط بعناية خاصة من قبل مؤتمر الخريجين الذي اهتمّ بتشبيد المدارس الوسطى في الفترة من ١٩٤١م - ١٩٤٧م، وتقديم الإعانات المالية للمدارس القائمة منها، بجانب اهتمامه بحلّ قضايا الطلاب المبعوثين إلى مصر عن طريق لجنة المؤتمر بالقاهرة. وفي نفس العام أيضاً بدأت الحكومة في إنشاء كليات عليا بجانب كلية

١ - نفس المرجع، ص ٢١٤ .

٢ - مكمايكل، مرجع سابق، ص ١٦٥-١٦٦ .

٣ - معتصم أحمد الحاج، محاضر مؤتمر الخريجين، ج ١، ص ٤٣ .

الطب التي افتتحت في عام ١٩٢٩م، حيث أنشئت كلية العلوم في عام ١٩٣٩م وكلية الزراعة والآداب في عام ١٩٤٥م ، وقد كان هذا التطور مؤشراً قوياً على دخول كلية غردون مرحلة التعليم العالي في البلاد والذي اكتملت حلقاته لاحقاً بتحويلها إلى كلية الخرطوم الجامعية.

في عام ١٩٣٨م وضعت الحكومة السودانية ولأول مرة خطة لتطوير التعليم في البلاد أجلها ثمانية أعوام تقريباً، تُغطي الفترة من العام ١٩٣٨م وحتى العام ١٩٤٦م، وقد قامت الخطة على مبدأ النظرة المتكاملة لكل مراحل التعليم في البلاد وتجنّب التركيز على مرحلة بعينها مما يمنحها صفة الشمول، وأقرت الخطة أن التوسع في التعليم العالي والتعليم الثانوي الذي كان مطلباً ملحاً في تلك الفترة يجب أن لا يكون على حساب التوسع في التعليم الأولي الذي كان يُعدّ ضرورياً للمواطنين وللتوسع في التعليم الثانوي والتعليم العالي معاً. واستناداً على هذه الموجّهات شرع في تنفيذ هذه الخطة التي كان من المؤمل أن يتم خلالها تشييد عدد من المدارس في المراحل المختلفة تتناسب في أعدادها والمراحل التي تنتمي إليها مع الأهداف التي كان يعوّل على تحقيقها عند التنفيذ، غير أن اندلاع الحرب العالمية الثانية تسبّب في تعطيل برامج تشييد تلك المدارس، بسبب انشغال الحكومة بدعم المجهود الحربي لبريطانيا، لذلك كانت النتائج التي تحققت عند نهاية أجل الخطة في عام ١٩٤٦م أقلّ بكثير مما خُطط لإنجازه خلال تلك الفترة ، التي يجب أن نذكر هنا أنها قد شهدت تطوراً لافتاً في يناير ١٩٤٢م حيث تمّ تكوين مجلس كلية غردون التذكارية، وبدأت تظهر ملامح أول كلية جامعية في السودان في تلك الفترة .

بعد عامين من انتهاء أجل الخطة التعليمية الأولى تمّ تأسيس وزارة المعارف في عام ١٩٤٨م ، وعيّن عبد الرحمن عليّ طه وزيراً لها كأول سوداني

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

٢ - نفس المرجع، ص ٢٥٠.

٣ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

٤ - مكمايكل، مصدر سابق، ص ١٧٤.

٥ - نفس المرجع، ص ١٦٩.

يتولى هذا المنصب، وقد قامت وزارة المعارف في عهده بوضع برنامج عمل للوزارة يهدف إلى مزيد من التجويد في النظام التعليمي وإلى وضع الخطط المستقبلية له، على اعتبار أن مسؤولية التوسع المستقبلي للتعليم في البلاد تقع على عاتق الحكومة التي سوف تتولى تنفيذه وفقاً لرؤيتها وإمكاناتها المادية. وقد شمل هذا البرنامج بندا تم إقراره سابقاً وهو تدريس اللغة العربية في جميع المدارس الثانوية، وقد راعت وزارة المعارف في برنامجها هذا المقترحات التي قدمتها اللجنة التي كوَّنها المجلس الاستشاري لشمال السودان برئاسة السيد ميرغني حمزة ومُتطلبات لجنة السودان ولجنة التعليم بالجمعية التشريعية .^٢

في عام ١٩٤٩م وافقت الجمعية التشريعية السودانية على خطة ثانية لتطوير التعليم في شمال السودان، تُعطي الفترة من العام ١٩٤٩م وحتى العام ١٩٥٦م وقد وازنت هذه الخطة بين مُتطلبات التطوير المنشود والمتغيرات الاقتصادية والسياسية التي تمرُّ بها البلاد وبين المقترحات التي تقدّمت بها كلٌّ من اللجنة الخاصة بالتعليم التي كوَّنها المجلس الاستشاري لشمال السودان، ولجنة التعليم ولجنة السودان التي دعت جميعها إلى التوسع في التعليم الأولي والتعليم الثانوي، بهدف تأهيل أعداد مُقدَّرة من السودانيين لسودنة الوظائف الكبرى في الجهاز الإداري للدولة، وقد أفردت الخطة جانباً كبيراً للتعليم الفني عبر زيادة الصرف عليه من ميزانية التعليم كي يتماشى ذلك النمط من التعليم مع مُتطلبات واحتياجات التنمية الاقتصادية للبلاد، وكنتيجة لذلك تمَّ إنشاء المعهد الفني بالخرطوم في عام ١٩٥٠م، وقد أعطت خطة وزارة المعارف هذه دفعة كبيرة للتعليم العالي بالبلاد حيث صدر في العام ١٩٥١م قانون جامعة الخرطوم كأول جامعة في السودان، وتلتها في العام ١٩٥٥م الخطوة التي كُلت بتشييد أول جامعة مصرية بالسودان كفرع لجامعة القاهرة الأم .^٤

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

٢ - نفس المرجع، ص ٣٢٤.

٣ - مكمايكل، مرجع سابق، ص ١٦٦.

٤ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٣٤١.

قبل نهاية الخطة التعليمية الثانية التي أقرتها الجمعية التشريعية في عام ١٩٤٩م، وفي سنة ١٩٥٤م كلفت حكومة السودان لجنة دولية - من تربويين بريطانيين ومصريين وهنود بالإضافة إلى سوداني كأمين عام للجنة - للنظر في تحسين التعليم الثانوي وتطويره، وقد توصلت اللجنة بعد نهاية أعمالها إلى أن سبب تدني النجاح في امتحانات المدارس الثانوية يعود إلى لجوء المدارس الأهلية إلى قبول طلاب بمجاميع ضعيفة لا تؤهلهم للتعليم الثانوي، وللاضطرابات السياسية وانعدام الاستقرار الكافي للمعلمين، واستخدام اللغة الإنجليزية كأداة للتعليم في المدارس الثانوية. وقد أوصت اللجنة باعتماد اللغة العربية لغة تدريس في جميع المدارس الثانوية بالسودان، ومن أجل تحقيق تلك الغاية أوصت اللجنة بتأسيس كلية للتربية في جامعة الخرطوم بغرض توفير المدرسين الذين يقودون هذا التحول .

٣ - ٢ التعليم النظامي في منطقة شندي ١٩٠٠ - ١٩٣٧م:

في فترة الحكم الثنائي للسودان ونتيجة لإعادة احتلالها المبكر - بحكم موقعة الجغرافي المجاور للقطر المصري - كانت المديرية الشمالية من أوائل مديريات السودان التي شهدت استقراراً إدارياً وانتشاراً مبكراً لنظم التعليم الحديث الذي أدخل للبلاد في عام ١٩٠٠م، وإذا استثنينا مدرسة حلفا الأولية التي فُتحت بمدينة حلفا القديمة قبل إعادة احتلال السودان في عام ١٨٩٣م، تحت إدارة حملة الفتح ووفق المنهج المصري ، فإن مدرسة دنقلا الأولية* التي فُتحت في العام ١٩٠٢م تُعدُّ أول مدرسة نظامية يتم فتحها بالمديرية الشمالية، وفقاً لأهداف وغايات التعليم الجديدة التي وُضعت في عام ١٩٠٠م بعد إنشاء مصلحة المعارف بالسودان. وقد توالى فتح المدارس الأولية للبنين بالمديرية الشمالية بعد ذلك العام بوتيرة

١ - ناصر السيد ، مرجع سابق ، ص ٢١٠.

٢ - وزار التربية والتعليم، التعليم في المديرية الشمالية. ط١؛ الخرطوم: المطبعة الحكومية، ١٩٦٤م. ص ٢٤.

* حتى عام ١٩٣٤م كانت المدارس الأولية تعرف باسم الكتاب ثم تغير الاسم بعد ذلك إلى المدرسة الأولية

٣ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٢٦-٢٧.

مُتسارعة، ليرتفع عددها في عام ١٩١٠م - أي خلال ثمانية أعوام - إلى عشر مدارس أولية للبنين في دنقلا، حلفا، بربر، الدامر، كورتي، أرقو، عبري، عطبرة، ومروي على التوالي بمعدل مدرسة سنوياً، وهو معدل مرتفع لا يتناسب مع سياسة الحكومة التعليمية في هذه المرحلة التي اقتضت السير ببطء في طريق التعليم بسبب قلة الموارد ، مما يشير إلى إصراراً مصلحة المعارف على نشر التعليم النظامي في هذه المديرية رغم المصاعب التي واجهت انتشاره فيها منذ البداية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى حاجتها الملحة لصغار الموظفين في الجهاز الإداري بالمديرية الشمالية ومديريات السودان الأخرى، وكذلك لرفد كلية غردون بحاجتها من خريجي المدارس الأولية .

٣

من هذا المدخل الذي عبرت من خلاله مصلحة المعارف بمؤسساتها التعليمية الحديثة للعديد من المدن والقرى الكبرى في المديرية الشمالية، خلال العقد الأول من القرن العشرين عبر التعليم النظامي الحديث إلى منطقة شندي الواقعة في الجزء الجنوبي من المديرية الشمالية في مطلع العقد الثاني من القرن العشرين، عقب انتشاره الملحوظ في الجزء الشمالي من المديرية الشمالية، وذلك بفتح مدرسة شندي الأولية التي تُعدُّ أول إطلالة للنظام التعليمي الحديث على منطقة شندي بأكملها والمنطقة الجنوبية للمديرية الشمالية بصفة عامة، لتتضم بعدها مدينة شندي إلى سلسلة من المدن والقرى بالمديرية الشمالية التي حُظيت كلُّ منها بمدرسة أولية للبنين كدنقلا وحلفا وبربر والدامر وكورتي وأرقو وعبري وعطبرة ومروي ثم شندي التي فُتحت مدرستها الأولية في عام ١٩١٢م بالقرب من محطة السكة حديد في الجزء الشمالي من مدينة شندي ، أي بعد عشر سنوات من افتتاح مدرسة دنقلا الأولية .

١ - نفس المصدر، ص ٢٦-٢٧.

٢ - مكمايكل، مرجع سابق، ص ١٦١.

٣ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٢٦-٢٧.

٤ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٢٧.

في منطقة شندي ومثلما كان الحال في معظم أنحاء السودان لم تتدخل مصلحة المعارف عند تأسيسها في نمط التعليم الذي كان سائداً قبل نشأتها، وذلك تمثيلاً مع سياسة حكومة السودان الرامية إلى عدم إثارة المواطنين وجرّ عداوتهم عليها بتدخلها في النظام التعليمي المرتبط بعقيدتهم الدينية ، كما أنها لم تكن في نفس الوقت في وضع مالي أو فني يمكنها من سدّ الفراغ الذي سيخلفه النظام التعليمي القديم إذا ما تمّ هدمه دفعة واحدة. لذلك تركت مصلحة المعارف النظام التعليمي القائم وبدأت في نشر النظام التعليمي الجديد في مناطق يتم اختيارها بعناية، مما أدى إلى ظهور نظامين تعليميين حديث في بعض المناطق، وتقليدي قديم وهو الشائع في معظم المناطق. وفي هذا الجانب فقد ظلّت منطقة شندي وباستثناء مدينة شندي التي تسلّل إليها النظام التعليمي الحديث في عام ١٩١٢م محافظة على ولائها القديم للنظم التعليمية التقليدية، وبعيدة تماماً عن النمط التعليمي الحديث، ليس فقط فيما يتعلق بجانب احتضان مؤسساته، ولكن حتى لمجرد التفكير في إرسال أبنائهم للانتحاق بها، وقد يعود السبب في ذلك إلى أن مخاوف الناس من إلحاق أبنائهم بمؤسسات التعليم الحديثة التي قد تبددت سريعاً في المدن مثل شندي التي انضمت إلى ركب التعليم النظامي الحديث قد ظلّت كامنة في نفوس أبناء القرى التي تُشكّل معظم منطقة شندي فترة طويلة من الزمن ، ولذلك لم تلامس خطط مصلحة المعارف لنشر التعليم النظامي الحديث، واقع القرى الصغيرة في منطقة شندي، إلا بعد انتهاء الربع الأول من القرن العشرين عندما شرعت في تحويل بعض الخلاوى القرآنية فيها إلى خلاوى نظامية.

مدرسة شندي الأولى التي تأسست في عام ١٩١٢م بشندي فُتحت أولاً بالمتمة في عام ١٩٠٧م في الفترة التي شهدت نشاطاً ملحوظاً لمصلحة المعارف بالمديرية الشمالية، وقد فُتحت المدرسة بغرض تعليم أبناء زعماء الجعليين، وأبناء

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٨١.

٢ - مكمايكل، مرجع سابق، ص ١٦١.

٣ - نفس المرجع، ص ٨٢.

٤ - مقابلة مع محمد البشير محمد عثمان من كبار رجالات التعليم بشندي والمهتمين بالتاريخ بمدينة شندي في ٢٠٠٨/١/١٥م.

زعماء القبائل والعمد ومشائخ الخطوط تحت رعاية ناظر الجعليين، ولكن نتيجة لعزوف الناس عنها وتحاييلهم بشتّى السُّبل للحيلولة دون إرسال أبنائهم إليها، لعدم ثقتهم في النظام التعليمي الحديث لم تجد المدرسة التغذية الكافية من التلاميذ، وظلّت على هذا الحال فترة ثلاثة سنوات أو تزيد لم يتغير خلالها واقع المدرسة فنُقلت إلى شندي في عام ١٩١٢م . ولا يبدو عزوف سُكان المتمة والقُرى المجاورة لها عن إرسال أبنائهم لهذه المدرسة سلوكاً غريباً، فالشك والرغبة الفاترة ومحاولات التهرب من إرسال أبنائهم إليها كانت هي السمة التي ميّزت استقبال الناس لهذه المدارس ولفترة طويلة من الزمن . وعلى هذا فإن المتمة تتكون أسبق من شندي في ولوج ميدان التعليم النظامي الحديث، وأن التعليم النظامي الحديث قد بدأ في المنطقة الواقعة غرب النيل، حيث الأراضي الزراعية الشاسعة والكثافة السكانية العالية، مُقارنة بالمنطقة الواقعة شرق النيل، وأن انتقال هذه المدرسة إلى شندي يقودنا للاستنتاج بأن التعليم النظامي في المتمة قد واجه نفس المصاعب التي تعرّض لها في بداية انتشاره في الجزء الشمالي من المديرية الشمالية، ولم يتحرر منها إلا بعد أن أخذت طلائع الخريجين مواقعها في خدمة الحكومة بمرتباتها العالية ووضعها الاجتماعي المُميز^٢. لذلك عندما نُقلت المدرسة إلى مدينة شندي في عام ١٩١٢م أي بعد خمس سنوات من افتتاحها بالمتمة التحق بها أبناء الموظفين والإداريين وعساكر الجيش والسواري وأعيان شندي، ولعلّ استمرار المدرسة في أداء عملها منذ ذلك التاريخ يقف شاهداً على انحسار الشكوك والمصاعب التي واجهت التعليم النظامي في المنطقة .

أما أسباب اختيار مدينة شندي مقراً بديلاً لهذه المدرسة، فيبدو أن مصلحة المعارف لم تكن تريد إبعاد المدرسة كثيراً عن المتمة بسبب ما يمثله لها تعليم أبناء العمد وزعماء الإدارة الأهلية من أهمية، لذلك اختارت شندي لتكون مقراً لها، بالإضافة إلى أن مدينة شندي كانت تتميز بكثافة سكانية مُقدّرة يمكنها أن تغذي مثل هذه المدرسة بالتلاميذ سنوياً، لتفادي المشكلة التي وقعت فيها في المتمة، كما

١ - نفس المصدر.

٢ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق ، ص ٢٦-٢٧.

٣ - نفس المصدر، ص ٧.

أن الوضع الإداري لمدينة شندي العاصمة الإدارية لمركز شندي التي يقطنها عدد مُقدر من الموظفين والإداريين الذين يعملون في خدمة الحكومة، ويرغبون في توفير قدر من التعليم لأبنائهم، وحاجة الجهاز الإداري في المدينة نفسها لعناصر مُتعلمة تشغل بعض الوظائف الصغيرة، رُبما حتمَّ على مصلحة المعارف أن تختار مدينة شندي لتكون مقراً لهذه المدرسة بدلاً عن المتمة.

منذ عام ١٩١٢م ولسنوات طويلة تلت ذلك ظلَّت مدرسة شندي الأولية هي المدرسة الوحيدة في المنطقة بأكملها، في موقعها الحالي بمدينة شندي غرب محطة السكة حديد، وقد ظلَّت المدرسة طيلة هذه السنوات توفر بمفردها التعليم الأولي لكل المنطقة، ويتنافس جميع فتيان المنطقة ممن هم في سن التعليم للدخول إليها، وينجح فقط منهم أربعين طالباً في الالتحاق بها سنوياً، بعد خضوع جميع المتقدمين لامتحان شفهي في القُدرات بواسطة لجنة القبول بالمدرسة التي غالباً ما كانت تتكون من مفتش المركز وناظر المدرسة وبعض أعيان المنطقة. وقد تستخدم القرعة أحياناً للفصل بين المتقدمين ، ثم تنفرق السبل بالذين لم يوفقوا في الدخول للمدرسة، الأمر الذي يوضح بجلاء مدى إقبال الناس في مدينة شندي والقرى التي من حولها على التعليم النظامي الحديث الذي ظلت توفره هذه المدرسة وبعض المدارس الأولية الصغرى في المدينة فيما بعد.

في عام ١٩٣٧م فُتحت بقرية كبوشية مدرسة أولية للبنين تستوعب الفتيان ممن هم في سن التعليم بقرية كبوشية والقرى التي من حولها، وقد حُطت للمدرسة أن تكون داخلية تستوعب أيضاً فصول الاستيعاب رابعة رأس وثالثة رأس من مناطق ديم القراي والتميد، والمدارس الأولية الصغرى الأخرى في منطقة شندي مستقبلاً . وقد تم قبول أول دفعة للمدرسة في عام ١٩٣٧م في مبانٍ مؤقتة بالقرية ثم انتقلت المدرسة بعد ذلك إلى مبانيها التي اكتملت في ١٥/٧/١٩٣٩م . ومثلما

١ - جعفر حامد البشير، مرجع سابق، ص ١١٠ - ١١١ .

٢ - مقابلة مع الأستاذ أحمد علي المبارك من أوائل الذين درسوا بمدرسة كبوشية الأولية بمكتبه جامعة شندي في ١٥/١٠/٢٠١٥م.

٣ - المديرية الشمالية ١٤/٨٠.

كانت مدرسة شندي الأولية هي المدرسة الأولية الوحيدة في المنطقة الجنوبية للمديرية الشمالية، فقد كانت مدرسة كبوشية الأولية هي المدرسة الوحيدة في المنطقة الشمالية لمنطقة شندي، يلتمس السبيل للدخول إليها كل أبناء المنطقة الشمالية من منطقة شندي على ضفتي النيل شرقاً وغرباً من التراجمة إلى المحمية ومن قرية قوز برة إلى سقادي غرب .

بعد فتح مدرسة كبوشية الأولية تضاعفت أعداد التلاميذ المقبولين سنوياً، بمنطقة شندي للدراسة بالمدارس الأولية، ليرتفع العدد من أربعين طالباً في السنة إلى أكثر من ثمانين طالباً. وعلى الرغم من أن هذه الزيادة كانت تُعدُّ خطوة للأمام في طريق انتشار التعليم النظامي في منطقة شندي، إلا أنها مُقارنة برغبة أهالي المنطقة في إلحاق أبنائهم بمؤسسات التعليم الحديث، والتي بلغت ذروتها في مطلع الأربعينات من القرن الماضي خاصة في مدينة شندي، كانت تعتبر غير كافية في نظر سكان المنطقة مما جعلهم يجأرون بالشكوى ويرفعون أصواتهم عالياً مطالبين بالمزيد من المدارس في المدينة، لا سيما وأن المدرسة الأولية الوحيدة بالمدينة لم تكن تستوعب سنوياً سوى نسبة ١٠% من مجموع التلاميذ المتقدمين للالتحاق بها، ويقذف بالبقية وهي نسبة ٩٠% إلى المجهول وهو أمر يدل على أن التعليم الأولي في منطقة شندي لم يكن متاحاً للسواد الأعظم ممن هم في سن التعليم في مدينة شندي ، ومن المفارقات الغريبة هنا أن منطقة شندي التي انتظرت ربع قرن من الزمان بعد فتح مدرسة شندي الأولية لتفوز بمدرسة أولية أخرى في كبوشية، لم تنتظر أكثر من سبع سنوات بعد ذلك لتفوز بمدرسة وسطى هي مدرسة شندي الريفية الوسطى والتي شكّل قيامها طفرة هائلة للتعليم في المنطقة عامة ومدينة شندي خاصة .

أما فيما يتعلق بتعليم البنات الأولي في منطقة شندي فقد جاء متأخراً بعض الشيء مقارنة بتعليم الأولاد الأولي، ولعل السبب في ذلك يعود فيما يبدو إلى طبيعة المجتمع المحافظ بالمنطقة، ولعدم تحمس الحكومة لنشر هذا النوع من التعليم في

١ - أحمد الحسن سمساعة، مرجع سابق، ص ٢٧.

٢ - جريدة النيل، العدد رقم ٨٤ بتاريخ الأحد ١٤/٩/١٩٤١م . ص ٢.

ذلك الوقت، ولهذا فقد تأخر ظهور أول مدرسة أولية للبنات بمنطقة شندي حوالي عقدين من الزمان، حيث تم فتح مدرسة شندي الأولية للبنات بمدينة شندي في عام ١٩٣٠م كرابع مدرسة أولية للبنات يتم فتحها بالمديرية الشمالية، بعد مدارس مروي، دنقلا، حلفا. وعلى الرغم من أن فتح تلك المدرسة بمدينة شندي كان يعتبر محاولة جريئة من القائمين على أمر التعليم لنشر تعليم البنات في مدينة لا زالت حتى اليوم تتدنّر برداء القبيلة وتقاليدها المحافظة، إلا أن تلك المحاولة لم يُكتب لها النجاح ولم تستمر طويلاً، نتيجة لاصطدامها بطبيعة المجتمع المحافظ في المدينة وللنظرة السلبية لتعليم البنات، وقد فُتحت المدرسة في فصل واحد وكان أغلب اللائي التحقن بها من بنات المصريين المقيمين بالمدينة، وبنات الموظفين والإداريين والعاملين في حقل التعليم، وحتى هؤلاء فقد كانت أعدادهن تتناقص عاماً بعد عام، فأُغلقت المدرسة بعد خمسة أعوام من فتحها بسبب عدم وجود التغذية الكافية لها، ثم أعيد فتحها مرة أخرى في عام ١٩٤٩م تحت اسم مدرسة شندي الجنوبية للبنات، بعد انتشار تعليم البنات في المديرية الشمالية وتفهُّم مجتمعات المنطقة لمبررات وجوده .

٢

منذ منتصف العشرينات وحتى قبيل العام ١٩٣٦م والذي بدأ فيه التعليم الأولي الأصغر بالمديرية الشمالية ، بدأ يتردّد اسم مدرسة السواري بشندي والتي يبدو أن قيامها قد ارتبط بتشكيل قوة السواري بالمدينة بعد خروج القوات المصرية من السودان سنة ١٩٢٤م، ومدرسة السواري هذه لم تكن مدرسة أولية كاملة أو حتى مدرسة أولية صغرى على الأقل، حيث لم تكن تقبل تلاميذ يدرسون فيها لمدة ثلاث سنوات ينتقلون بعدها إلى مدارس الرأس، كما كان يحدث مع تلاميذ المدارس الصغرى، والراجح أن المدرسة كانت أشبه بالمدرسة الصغرى وربما تعود فكرة إنشائها لبعض القائمين بأمر قوة السواري حيث أنها كانت مخصصة

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٣٢.

٢ - مقابلة مع بشير جميل عضو لجنة مؤتمر الخريجين بشندي من مواليد ١٩١٨م بمنزله بشندي مربع ٩ في ٢٠٠٩/٧/١٩م.

٣ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق ، ص ٣٥.

لأبناء العساكر بقوة السواري الذين يستهلون تعليمهم بها، ثم يلتحقون بعدها بالمدرسة الأولية بالمدينة ، مما يدلُّ على أنها لم تكن مدرسة صُغرى، وإنما كانت مجرد مجهود تربوي إضافي اضطلعت به قوة السواري في مدينة شندي وذلك حرصاً منها على أن ينال أبناء منسوبيها وأقاربهم قسطاً من التعليم، يؤهلهم للالتحاق بالمدرسة الأولية بشندي وهي بذلك تُعدُّ أيضاً إضافة للمجهود التربوي والتعليمي بالمدينة .

إضافة أخرى للمجهود التعليمي بمدينة شندي تمت على يد هيئة السكك الحديدية بالمدينة وذلك عبر تبنيتها لمدرسة أبو الذهب التي أنشئت في مطلع العقد الرابع من القرن العشرين بمدينة شندي، وقد اشتهرت المدرسة باسم الأستاذ عثمان أبو الذهب في بدايتها، ثم تغيّر اسمها بعد ذلك إلى مدرسة النهر الصغرى، التي استُغلت مبانيها في عام ١٩٥٤م كمقر لمعهد شندي العلمي، وقد أسست المدرسة بغرض توفير قدر من التعليم الأولي لأبناء العاملين بالسكة حديد، وللراغبين في الانضمام إليها من الذين لم يوفقوا في الدخول للمدرسة الأولية بشندي. ومدرسة النهر الصغرى هذه كانت مدرسة أولية صغرى تتكوّن من ثلاثة فصول ويدرس بها التلاميذ لمدة ثلاث سنوات، يلتحق بعدها أوائل السنة الثالثة بمدرسة كبوشية الأولية، أو مدرسة العالياب الأولية لإكمال السنة الرابعة، أو إعادة السنة الثالثة والتدرج للسنة الرابعة، وقد استمرّت المدرسة تعمل بهذا النسق حتى تم تجفيفها عام ١٩٥٤ م .

٢

على الرغم من أن منطقة شندي وحتى عام ١٩٣٧م، لم تُحظ سوى بمدرسة أولية واحدة للبنين هي مدرسة شندي الأولية، إلا أن المنطقة وبالنظر لعدد المدن التي توجد بها وتعداد السكان فيها مُقارنة ببقية أجزاء المديرية الشمالية الأخرى، تكون قد نالت قدراً لا بأس به من مؤسسات التعليم النظامي الحديث على مستوى البنين والبنات، خاصة بعد أن أُضيفت لها مدرسة أولية أخرى في عام ١٩٣٧م هي مدرسة كبوشية الأولية للبنين. وإذا ما قُمنّا بمقارنة بسيطة بين واقع التعليم

١ - جعفر حامد البشير، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

٢ - مقابلة مع محمد البشير محمد عثمان، بمنزله بشندي حلة البحر في ١٥/١٠/٢٠٠٨م.

النظامي بمنطقة شندي مع بقية أجزاء المديرية الشمالية، فإننا سنجد أنه ومن بين جملة عشرين مدرسة أولية للبنين في ثمانية عشر مدينة بالمديرية الشمالية في عام ١٩٣٧م، كانت توجد مدرسة أولية في منطقة شندي، أي أن ما يعادل نسبه ٥% من جملة مؤسسات التعليم النظامي الحديث للبنين في المديرية كانت توجد في منطقة شندي، وهذه النسبة سوف ترتفع إلى أكثر من ٩% من جملة المؤسسات التعليمية بالمديرية الشمالية إذا ما أضيفت لها مدرسة كبوشية الأولية للبنين.

كذلك بلغ تعداد المدارس الأولية القريبة نسبياً من منطقة شندي ويمكن للراغبين من أبناء المنطقة التطلع لالتحاق بها حتى العام ١٩٣٨، أربع مدارس أولية في المتمة والداير وعطبرة. وهذه المدارس الأربع إذا أضفنا إليها مدرسة شندي الأولية للبنين فإنها تمثل نسبة ٢٥% من جملة مؤسسات التعليم النظامي للبنين بالمديرية الشمالية حتى العام ١٩٣٧م بما في ذلك المدارس غير المكتملة*.

إذا ما تتبعنا حركة انتشار مؤسسات التعليم النظامي الحديث في المديرية الشمالية في الفترة من ١٩٠٠م وحتى العام ١٩٣٧م، وقارنا ذلك بما حظيت به منطقة شندي من تلك المؤسسات، فإننا سنجد أن نسبة ٩١% من جملة مدارس البنين الأولية بالمديرية الشمالية، والبالغ عددها واحد وعشرون مدرسة أولية، تقع شمال قرية كبوشية ما عدا مدرسة المتمة الأولية التي تقع غرب مدينة شندي، بينما لم تحظ منطقة شندي في ذلك الوقت سوى بنسبة ٩% من جملة المدارس الأولية للبنين بالمديرية الشمالية، وهي عبارة عن مدرستين الأولى في شندي، والثانية في كبوشية.

هذه النسبة البسيطة تعني أن المنطقة الممتدة من الداير شمال شندي وحتى حدود المديرية الشمالية مع جمهورية مصر العربية، وهي المنطقة التي تُعرف بالمنطقة الشمالية من المديرية، قد نالت أكبر قدر من المؤسسات التعليمية الحديثة، وبالتالي تميّزت بقدر أكبر من إقبال الأهالي على تلك المؤسسات التعليمية مقارنة بالمنطقة الجنوبية من المديرية الشمالية الممتدة من الداير حتى حدود مديرية الخرطوم، والتي لم تحظ سوى بمدرستين أوليتين للبنين في شندي وكبوشية،

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٢٧-٢٩.

* المدارس غير المكتملة هي المدارس التي أسست في العام ١٩٣٧م وبدأت بالسنة الأولى ولم تكمل فصولها إلى السنة الرابعة.

ويجدر بنا أن نذكر هنا أنه ومنذ تأسيس مدرسة شندي الأولية في عام ١٩١٢م وحتى عام ١٩٣٧م قامت مصلحة المعارف بإنشاء تسع مدارس أولية للبنين شمال مدينة الدامر، وذلك في مقابل إنشاء مدرسة أولية واحدة للبنين في منطقة شندي هي مدرسة كبوشية الأولية للبنين .

إذا أمعنا النظر في البيانات الواردة أعلاه فإننا سنجدها تخلو تماماً من أي ذكر لوجود مؤسسات تعليمية حديثة في المنطقة الواقعة جنوب مدينة شندي وحتى حدود مديرية الخرطوم، حيث لم تُقَمْ مصلحة المعارف بإنشاء أي مدرسة أولية أو صُغرى حتى ذلك الوقت في أي من القرى الواقعة جنوب مدينة شندي.

هذا التجاهل الذي يبدو أنه كان مُتعمداً من مصلحة المعارف لهذه المنطقة ربما تعود أسبابه إلى أنها كانت ترى أن مدرسة شندي الأولية والمدارس الصغرى بمدينة شندي، كان بمقدورها أن تستوعب التلاميذ ممن هم في سن التعليم بمدينة شندي والقرى الواقعة على شمالها وجنوبها حتى منطقة حجر العسل، وهو أمر ذو علاقة بالمدى الذي وصل إليه حماس الأهالي في تلك القرى لإلحاق أبنائهم بمؤسسات التعليم النظامي الحديث في مدينة شندي، والذي قد تتجلى مؤشرات في تدافع وإقبال التلاميذ للالتحاق بمدرسة شندي الأولية، والذي لا تغيب دلالاته عن فطنة القائمين بأمر مصلحة المعارف. والواقع أن المنطقة جنوب شندي كانت عبارة عن مجموعة من القرى الصغيرة في أحجامها وتعداد سكانها والمتقاربة عن بعضها تارة والمتباعدة تارة أخرى، وقد يبدو صعباً أن يتوفر لديها العدد الكافي من اليافعين الذين يمكن أن تتم تغذية مدرسة أولية بهم سنوياً، هذا من جانب أما من الجانب الآخر فإن انعدام مؤسسات التعليم النظامي الحديث في هذه المنطقة لا يمكن أن يُعد سبباً كافياً يقعد بآمال الذين كانت تستهويهم فكرة إلحاق أبنائهم بمؤسسات التعليم النظامي الحديث، فقد كان بإمكانهم أن يرسلوا أبنائهم إلى مدينة شندي. أما البقيّة التي لم تتفاعل مع مؤسسات النظام التعليمي الحديث، فقد كان المجال مفتوحاً أمامها لإلحاق أبنائهم بالخلاوى القرآنية أو الخلاوى النظامية المنتشرة في مناطقهم.

١ - التعليم في المديرية الشمالية ، مصدر سابق، ص ٢٧-٢٩.

ونخلص مما تقدّم إلى أن التعليم النظامي الحديث بمنطقة شندي قد بدأ أولاً في وسط المنطقة وتحديداً في مدينة شندي، ثم اتجه شمالاً نحو كبوشية، دون أن يعبر المنطقة الواقعة جنوب مدينة شندي أدنى اهتمام في ذلك الوقت .

فيما يتعلق بمدارس البنات الأولية وانتشارها في المديرية الشمالية حتى العام ١٩٣٧م، فقد حظيت منطقة شندي بنسبة قدرها ٢٥% من جملة تلك المدارس المكتملة بالمديرية، التي بلغ عددها في عام ١٩٣٠م أربع مدارس في مدن دنقلا وحلفا ومروي وشندي، وقد أُضيفت لهذه المدارس الأربع لاحقاً مدرستي الدامر والتمتة في عام ١٩٣٧م، ومدرسة بربر في ١٩٣٩م، ومدرسة عطبرة في عام ١٩٤٢م . والملاحظ هنا ارتفاع نسبة ما حُظيت به منطقة شندي من مؤسسات تعليمية للبنات مقارنة بالبنين والتي بلغت ٩% مقارنة بنسبة ٢٥%، والسبب في ذلك يعود إلى قلة عدد مدارس البنات الأولية بالمديرية الشمالية مقارنة بمدارس البنين، كذلك يُلاحظ أن مدينة شندي قد تقدّمت في مجال تعليم البنات على مدن كانت قد سبقتها في تعليم البنين بالمديرية الشمالية، مثل عطبرة وبربر والدامر والتمتة، وذلك عندما جاء ترتيبها رابع مدينة بالمديرية الشمالية تحتضن مدرسة أولية للبنات بعد مدن دنقلا وحلفا ومروي، وهذا يعني أن المجتمع المحلي في مدينة شندي قد أخضع مُبكراً لاختبار مدى تفاعله مع تعليم البنات في المديرية الشمالية قبل المجتمعات المحلية الأخرى في عطبرة وبربر والدامر، رغم اختلاف هذه المجتمعات عن مجتمع مدينة شندي .

إذا أمعنا النظر مرة أخرى في حركة انتشار مؤسسات التعليم النظامي في منطقة شندي بالنسبة لمدارس البنات هذه المرة، فإننا سنجد أن الصورة تكاد تكون مطابقة لما كان عليه الحال في نفس المنطقة بالنسبة لمؤسسات التعليم النظامي على مستوى مدارس البنين، والاستثناء الوحيد هذه المرة هو أن ما كان مُنطبقاً من حرمان بالنسبة لمؤسسات التعليم النظامي على مستوى مدارس البنين في المنطقة الجنوبية، قد انطبق هذه المرة على المنطقة الواقعة إلى الشمال من مدينة شندي حتى حدود المنطقة الشمالية على مستوى مدارس البنات، حيث لم تحظ منطقة

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٣٢.

شندي بأكملها سوى بمدرسة أولية واحدة للبنات احتضنتها مدينة شندي، وهذا أمر لا يبدو غريباً بالنظر إلى واقع التعليم النظامي الحديث وتفاعل المجتمعات المحلية معه في منطقة شندي خاصة فيما يتعلق بتعليم البنات، الذي يبدو أن تلك المجتمعات لم تكن مُهتمةً به على الأقل في ذلك الوقت، بل وحتى مدينة شندي نفسها حيث لم تستمر فيها تلك المدرسة سوى خمسة أعوام أُغلقت بعدها. أما المجتمعات القاطنة في القرى الواقعة إلى الجنوب من مدينة شندي، فقد كانت بعيدة عن مُلامسة ذلك النمط من التعليم النظامي الذي لم يصبح واقعاً مُعاشاً في بعضها إلا في أربعينيات القرن الماضي بالتزامن مع قيام مؤتمر الخريجين العام، الذي ساهم بجهد مُقدَّر في إقناع تلك المجتمعات القروية بقبول مؤسسات التعليم النظامي.

بالرجوع إلى مؤسسات التعليم النظامي في منطقة شندي في الفترة من ١٩١٢م وحتى عام ١٩٣٧م من حيث انتشارها الجغرافي وتوّعها ومدى تفاعل المجتمعات المحلية في المنطقة معها وتزايد رغبتها فيها، فإننا سنجد أن مدينة شندي قد حازت على قصب السبق في مجال التعليم النظامي في المنطقة باعتبارها المدينة التي احتضنت أول مؤسسة تعليمية على النمط الحديث في المنطقة بأكملها، كما حازت أيضاً على نصيب الأسد من جملة المؤسسات التعليمية التي قامت في المنطقة، وبهذا تكون مدينة شندي قد هيمنت هيمنة تامة على التعليم في المنطقة من خلال تتركُّز وتنوُّع المؤسسات التعليمية فيها خلال تلك الحقبة التي نُظر فيها إلى مدينة شندي باعتبارها الحد الجنوبي لانتشار التعليم النظامي بالمديرية الشمالية حتى مطلع أربعينيات القرن الماضي، وهذا الموقع المُميز الذي احتلته مدينة شندي في مجال التعليم بالنسبة لإقليمها على وجه الخصوص والمديرية الشمالية عامة، رُبما يعود في الواقع إلى طبيعة مدينة شندي كمدينة وحيدة في إقليمها تتميز بكثافة سكانية معقولة تناسب ذلك النوع من المؤسسات إلى جانب طابعها الإداري والسياسي ومكانتها التاريخية في الإقليم .

٣ - ٣ التعليم النظامي في منطقة شندي ١٩٣٨ - ١٩٤٧م:

تميّزت الفترة المُمتدة من العام ١٩٣٨م وحتى العام ١٩٤٧م في مجال

التعليم في السودان، بسمتين مهمتين هما:

(١) توالي محاولات إصلاح نُظْم التعليم التي بدأت منذ العام ١٩٣٢م وبلغت ذروتها في العام ١٩٣٨م، حيث وضعت حكومة السودان في ذلك العام ولأول مرة في تاريخ التعليم خطة طويلة الأمد لتطوير التعليم ونشره في أنحاء البلاد مُدَّتْها ثمانية أعوام تمتد من العام ١٩٣٨م وحتى عام ١٩٤٦م. وقد قامت هذه الخطة على مبدأ النظرة المتكاملة لكل مراحل التعليم وعدم التركيز على مرحلة بعينها، وأقرت الخطة أن التوسع المنشود في التعليم العالي والثانوي الذي كان مطلباً ملْحاً في ذلك الوقت يجب أن لا يكون على حساب التوسع في التعليم الأولي - الذي كان يعتبر ضرورياً للمواطنين - والتعليم الثانوي والتعليم العالي معاً. وقد كان من المؤمل أن يتم خلال هذه الخطة تشييد عدد من المدارس في المراحل المختلفة تتناسب في أعدادها والمراحل التي تنتمي إليها مع أهداف هذه الخطة .

(٢) قيام مؤتمر الخريجين العام في عام ١٩٣٨م وهيمنته على الساحة السودانية وتصديه لكافة القضايا الوطنية منذ العام ١٩٣٨م وحتى عام ١٩٤٧م، وقد ساهم المؤتمر خلال تلك الفترة في تشجيع انتشار التعليم في البلاد عن طريق دعمه المتواصل وتبنيه لقضايا التعليم من خلال برنامجه المطروح لهذا الغرض، والذي كان يهدف إلى محاربة الأمية وإنشاء المدارس الأهلية بمختلف مراحلها في مدن السودان المختلفة، وتقديم الإعانات المالية للمدارس الأهلية القائمة والمساعدة في تشييد المدارس الجديدة عبر إنشاء صندوق للتعليم، والنظر في مسألة تعليم العرب الرُّحْل بالإضافة إلى تبنيه ليوم التعليم. وقد كانت تلك القضايا المُرتبطة بالتعليم وانتشاره من أهم الجوانب التي بذل فيها مؤتمر الخريجين العام جهداً مُقدراً عبر مساهماته وبرامجه المطروحة على الساحة السودانية بغرض تهيئة الشعب السوداني وتسليحه بالعلم لمواجهة الصلف الاستعماري.

إذا ما قُمنّا بمقارنة المكاسب التي تحصلت عليها منطقة شندي في مجال التعليم النظامي في الفترة الممتدة من العام ١٩٠٠م وحتى العام ١٩٣٧م بالمكاسب

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

٢ - المعتصم أحمد الحاج، حاضر مؤتمر الخريجين ١٩٣٩م-١٩٤٧م. ط١؛ أدمرمان: شركة مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٩م. ج ١، ص ٣٠.

التي تحصلت عليها في الفترة الزمنية الممتدة بين عامي ١٩٣٨م و١٩٤٧م، فإننا سنجد أن الأخيرة شهدت تطورات أكثر إيجابية من الحقبة التي سبقتها في مجال التعليم في منطقة شندي نتيجة لتأثير هذين العاملين المهمين على التعليم في جميع أنحاء البلاد، وعلى منطقة شندي التي شهدت قيام مجموعة من المؤسسات التعليمية المتنوعة في مراحلها المختلفة، شكّلت إضافة حقيقية للتعليم في المنطقة عبر زيادة أعداد المؤسسات التعليمية وأعداد الطلاب الذين تستوعبهم تلك المؤسسات من الجنسين .

في عام ١٩٤٤م ظفرت منطقة شندي بمدرسة أولية للبنات في كبوشية، بالإضافة إلى مدرسة وسطى للبنين في مدينة شندي وهي مدرسة شندي الريفية الوسطى، والفضل في ذلك يعود للسياسة التعليمية الجديدة التي اتبعتها الحكومة والتي أضافت بُعداً جديداً للتعليم في منطقة شندي في عام ١٩٤٧م بقيام مدرسة قندتو الأولية للبنين كأول مدرسة أولية للبنين جنوب مدينة شندي ليرتفع بذلك عدد مدارس البنين الأولية بالمنطقة إلى ثلاث مدارس أولية في شندي وكبوشية وقندتو، بالإضافة لمدرسة واحدة للبنات هي مدرسة كبوشية الأولية. ونتيجة لهذا التطور المهم للتعليم في منطقة شندي فقد ارتفعت أعداد الطلاب المقبولين سنوياً للمدارس الأولية بالمنطقة من أربعين طالباً إلى مائة وعشرين طالباً تقريباً، بالإضافة إلى حوالي خمسة وخمسين طالبة في المدرسة الأولية للبنات بكبوشية، هذا إلى جانب أربعين طالباً بالمدرسة الريفية الوسطى بمدينة شندي وأعداد أخرى مُقدّرة من طلبة المدارس الأولية الصغرى والخلوى النظامية.

قيام مدرسة شندي الريفية الوسطى في عام ١٩٤٤ كثالث مدرسة وسطى للبنين بالمديرية الشمالية يتنافس للدخول إليها أبناء منطقة شندي من خريجي المدارس الأولية، الذين كانوا قبل ذلك يلتحقون إما بمدرسة بربر الوسطى، أو بمدارس الخرطوم وأم درمان، كان يُعدُّ قفزةً هائلةً في مجال التعليم بمنطقة شندي التي لم تشهد قيام مدرسة وسطى للبنين حتى ذلك الوقت. وبقيام هذه المدرسة التي

١ - حكومة السودان، وزارة المعارف، مقترحات لتوسيع وتحسين نظم التعليم في مديريات السودان الشمالية في الفترة ما بين ١٩٤٨م-١٩٥٦م. ص ١٦.

كانت تستوعب سنوياً أربعين طالباً بمنطقة شندي أُضيفت درجة أخرى للسلم التعليمي بالمنطقة وبدأت أولى خطوات التوسع الرأسي للتعليم في منطقة شندي. الخطة الحكومية لتطوير التعليم بالبلاد أضافت مكسباً آخر لتعليم البنات بمنطقة شندي وذلك بإنشاء مدرسة كبوشية الأولية للبنات في عام ١٩٤٤م ، كثنائي مدرسة أولية للبنات في منطقة شندي بعد مدرسة شندي الأولية للبنات التي أُغلقت بعد خمس سنوات من تاريخها، وقد شكّل إنشاء هذه المدرسة بقرية كبوشية إضافة نوعية للتعليم بالمنطقة بجانب ما يمثله من خرق لحاجز احتكار مدينة شندي للمؤسسات التعليمية بالمنطقة. كذلك يمكن النظر لقيام هذه المدرسة بقرية كبوشية باعتباره مؤشراً على اكتمال حلقات التحول الاجتماعي الذي مرّت به مجتمعات المنطقة والمفضية إلى ظهور مؤشرات إيجابية بالنسبة لتعليم البنات في المنطقة، تمثّلت في قبول تلك المجتمعات التعايش مع تعليم البنات، وفي هذا الإطار يندرج أيضاً إنشاء أول مدرسة أولية على النّسق التعليمي الحديث في قرية قندتو سنة ١٩٤٧م والذي يمكن اعتباره نتيجة طبيعية لتفاعل مجتمعات تلك المنطقة مع قضايا التعليم.

في أربعينيات القرن الماضي ازداد عدد التلاميذ الراغبين في الالتحاق بمؤسسات التعليم النظامي الحديث في منطقة شندي التي لم يكن بها سوى مدرستي شندي وكبوشية، مما أدّى لأن يتنادى أهالي شندي ولجنة التعليم بالمدينة بالتعاون مع لجنة مؤتمر الخريجين الفرعية بمدينة شندي التي كان يرأسها الأستاذ حسن نجيلة للكتابة في الصحف ومناشدة الحكومة ومؤتمر الخريجين مطالبين بفتح مدرسة أولية أخرى بالمدينة حكومية أو أهلية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الراغبين في التعليم. وقد تبنّى مؤتمر الخريجين هذا المشروع الذي لم يرَ النور إلا في عام ١٩٤٩م بقيام مدرسة شندي الجنوبية الأولية للبنين، كما قرر مؤتمر

١ - مكتب التعليم ، إدارة تعليم مرحلة الأساس ، شندي.

٢ - محمد الحسن أحمد الحفيان، الأسباب الاقتصادية والاجتماعية لضعف التسجيل والتسرب بمدارس مرحلة الأساس محلية ريفي جنوب شندي والآثار المترتبة على ذلك، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة شندي ، ٢٠٠٣م، ص ١٥١ .

٣ - المعتصم أحمد الحاج، مرجع سابق، ص ٤٦.

الخريجين تبني مشروع مدرسة قندتو النصفية في عام ١٩٤٢م وكتب للجنته الفرعية بمدينة شندي لمساعدة أهالي قندتو في الحصول على تصديق من سلطات التعليم بالمديرية الشمالية لإنشاء هذه المدرسة واعتمد في اجتماع لجنته التنفيذية رقم (٥١) بتاريخ ٢٠/٨/١٩٤٥م مبلغ أربعين جنيهاً للمدرسة إضافة لمبلغ خمس وثلاثين جنيهاً كان قد تم اعتمادها لنفس الغرض منذ العام ١٩٤٢م، ليكون جملة المبلغ المعتمد للإنشاء خمس وسبعين جنيهاً. وفي عام ١٩٤٣م فُتحت المدرسة بمباني مؤقتة إلى أن تمّ نقلها إلى مبانيها الجديدة في عام ١٩٤٥م ، وفي عام ١٩٤٧م أصبحت مدرسة أولية مكتملة .^٤

في العام ١٩٤٦م تشكّلت لجنة كبرى من أعيان مركز شندي وخط ود حامد بغرض إنشاء مدرسة أولية أهلية للبنين ومدرسة وسطى أهلية للبنين تمكنت من جمع مبلغ ألف وخمسمائة جنية لهذا الغرض، التزم بدفعها سبعون شخصاً من أعيان مركز شندي ممن حضروا اجتماع تشكيل اللجنة الذي عُقد أصلاً لمناقشة قضية التعليم وتعليم أبناء المنطقة، وقلة أعداد المستوعبين منهم في مؤسساتها التعليمية بسبب قلتها ، وقد استمرت هذه اللجنة في عملها الذي انحصر بعد ذلك في الحصول على تصديق إنشاء المدرستين وتوفير العناصر المؤهلة للعمل بهما حتى تكالفت مساعيها بالنجاح في إنشاء وفتح مدرسة شندي الأهلية الوسطى في عام ١٩٤٧م كثاني مدرسة وسطى للبنين في منطقة شندي. وقد ساهم مؤتمر الخريجين في دعم مشروع هذه المدرسة بالمال نتيجة لاهتمامه الكبير بالتعليم الأوسط . أما مشروع المدرسة الأولية الأهلية التي كان من المؤمل أن يتم فتحها مع المدرسة الوسطى فقد تعرّثت مساعي اللجنة في إنشاء هذه المدرسة حتى العام ١٩٤٩م عندما نجحت مساعيها بحصول مدينة شندي على مدرسة أولية للبنين في ذلك العام كثاني مدرسة بمدينة شندي تحت مسمى مدرسة شندي الجنوبية.

١ - نفس المرجع، ص ٢٦١.

٢ - نفس المرجع ، ص ٥٧٩.

٣ - نفس المرجع، ص ٥٧٩.

٤ - محمد الحسن أحمد الحفيان، مرجع سابق ، ص ١٥١.

٥ - المديرية الشمالية ٢/٦٠/٦٢٤، ص ١.

٦ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ١٠١.

٣ - ٤ التعليم النظامي في منطقة شندي ١٩٤٧ - ١٩٥٥ م:

تسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية في نهاية عقد الثلاثينات في أوروبا واتساع رقعتها الجغرافية إلى قارة أفريقية والحدود الشمالية الغربية والشرقية للسودان، تسبب في تعطيل برنامج تشييد العدد المرسوم من المدارس في مراحلها المختلفة وفقاً لخطة وضعتها الحكومة لتغطي الفترة الممتدة بين العامين ١٩٣٨م و١٩٤٦م نتيجة لانشغال الحكومة بتطورات الحرب وتسخير الإمكانيات المتوافرة لديها لدعم المجهود الحربي للحلفاء، لذلك كانت النتائج التي تحققت عند انتهاء أجل الخطة في عام ١٩٤٦م مخيبة لآمال وتطلعات القائمين بأمر مصلحة المعارف، وأقل بكثير مما حُطِّط لإنجازه خلال تلك الفترة .

١

نتيجة لهذا الإخفاق قررت حكومة السودان المُضي قُدماً في إنفاذ سياستها الرامية لمنح السودانيين حق تقرير المصير وإنشاء مؤسسات الحكم الذاتي، وقامت بإنشاء وزارة للمعارف أنيط بها وضع وتنفيذ الخُطط الرامية لنشر التعليم وتطويره مُستقبلاً في السودان، وقد قامت الوزارة بوضع خُطط وبرامج عمل طموحة غايتها التجويد والتوسُّع في التعليم في مراحلها المختلفة .

٢

هذه الخطوة المُهمّة تلتها خُطوة أخرى لا تقل أهمية عنها وذلك عندما وافقت الجمعية التشريعية السودانية في عام ١٩٤٩م على خُطة ثانية لتطوير التعليم في شمال السودان تمتد من العام ١٩٤٩م وحتى العام ١٩٥٩م، وقد انعكست هذه السياسة الجديدة المتمثلة في سعي الحكومة ومؤسساتها الدستورية لنشر التعليم بصورة إيجابية على التعليم في منطقة شندي فشهدت توسُّعاً غير مسبوق في مجال التعليم في تلك الحقبة الممتدة من العام ١٩٤٩م وحتى العام ١٩٥٥م، حيث شهدت المنطقة إنشاء عدد خمس مدارس أولية صغرى للبنين في خمس قرى لم يكن لها عهد قبل ذلك بأي من مؤسسات مصلحة المعارف، وهي البسابير وحجر العسل وتميد النافعاب في عام ١٩٤٩م ، وتميد حاج الطاهر في

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

٢ - نفس المرجع، ص ٢٦٧.

عام ١٩٥١م، وديم القراري في عام ١٩٥٤م ، وهذه المدارس تستوعب عدداً مُقَدَّراً من أبناء هذه القرى يدرسون فيها لمدة ثلاثة أعوام يلتحق المتفوقين منهم بفصول الرأس بمدرستي كبوشية والعاليا ب. وهذه المدارس الصُغرى كان يُشرف عليها ويرعاها مجلس شندي الريفي، ويُعدُّ إنشاء هذه المدارس نُقْلةً كُبرى للتعليم في المنطقة وصلت به إلى مناطق العرب شبه الرُّحل في تميد النافعاب وتميد حاج الطاهر وإلى المناطق الريفية جنوب قرية قندتو التي لم تشهد قيام أي مدرسة أولية أو صُغرى إلا في نهاية عقد الأربعينيات من القرن الماضي وذلك عندما تم إنشاء مدرستي البسابير الصغرى، وحجر العسل الصغرى في عام ١٩٤٩م.

كذلك شهدت الفترة الممتدة بين عامي ١٩٤٩م و ١٩٥٥م توسعاً ملحوظاً في التعليم الأولي بمنطقة شندي حيث تمَّ إنشاء ثلاث مدارس أولية جديدة للبنين، في كلِّ من مدينة شندي في عام ١٩٤٩م تحت اسم مدرسة شندي الجنوبية الأولية للبنين، وقرية حوش بانقا تحت اسم مدرسة حوش بانقا الأولية للبنين في عام ١٩٥٢م، وقرية الدويمات تحت اسم مدرسة الدويمات الأولية للبنين في عام ١٩٥٢م. وقد كان إنشاء اثنين من هذه المدارس الثلاث خارج مدينة شندي في القرى المجاورة للمدينة يمثل بداية لإنعتاق القرى المحيطة بمدينة شندي من هيمنتها، إذ أنها استأثرت بمعظم المؤسسات التعليمية في المنطقة قبل ذلك التاريخ وقد تسببت تلك الهيمنة في الماضي في جلب بعض المتاعب لكلا الطرفين، تمثلت في ازدحام مدارس شندي بأبناء القرى المحيطة بها خصماً على أبنائها، وفي المقابل تأخَّر إنشاء المؤسسات التعليمية في القرى المجاورة لمدينة شندي.

أما فيما يتعلق بتعليم البنات فقد شهدت تلك الفترة إعادة فتح مدرسة شندي الأولية للبنات في العام الدراسي (١٩٤٨ - ١٩٤٩م)، ومن ثمَّ الانتقال إلى مبانيها الحالية في العام ١٩٥٢م ، كذلك شهد تعليم البنات في المنطقة إضافة جديدة وذلك

١ - مكتب تعليم مرحلة الأساس، محلية شندي.

٢ - نفس المصدر.

٣ - محمد الحسن أحمد الحفيان، مرجع سابق ، ص ١٥١.

٤ - مكتب التعليم ، شندي.

بإنشاء مدرسة قندتو الأولية للبنات في عام ١٩٥٥م ، ليرتفع بذلك عدد مدارس البنات الأولية في منطقة شندي إلى ثلاث مدارس في شندي وكبوشية وقندتو، ويلاحظ هنا أن كل من مدينة شندي وقريتي كبوشية وقندتو قد حازت كلٌّ منهما على مدرسة أولية للبنين وأخرى للبنات.

في عام ١٩٥٢م تم إنشاء معهد التربية لإعداد المعلمين بمدينة شندي، كثالث معهد من نوعه على مستوى البلاد بعد معهدي بخت الرضا ١٩٣٤م والدلنج ١٩٤٨م، بغرض سد حاجة البلاد من مدرسي المدارس الأولية، ومواكبة التوسع الذي طرأ على التعليم الأولي في البلاد ، ويعتبر قيام هذا المعهد نُقْلة كُبرى في تاريخ التعليم بمنطقة شندي التي وصلها التعليم مُتأخراً بعض الشيء، فكانت هذه المؤسسة المتفردة تقبل الطلاب الناجحين في امتحانات المدارس الوسطى، من كل المديرية الشمالية ومديرية كسلا بمعدل ٣٠ طالباً سنوياً .

كذلك احتضنت مدينة شندي مؤسسة تعليمية أخرى هي معهد شندي العلمي الذي تأسس في عام ١٩٥١م في مقره الأول بمسجد شندي الكبير، ليرتفع بذلك عدد المعاهد الدينية بالمديرية الشمالية إلى ثمانية وهو المعهد النظامي الوّحيد في منطقة شندي ويقبل ثلاثين طالباً سنوياً وفي عام ١٩٥٤م انتقل المعهد إلى مقره الجديد بمدرسة النهر الصغرى التي جُففت في نفس العام.

هذه التطورات في مجال التعليم بمنطقة شندي في الفترة من ١٩٣٨م وحتى عام ١٩٥٥م ساهمت وبقدر كبير في تلبية رغبات أهالي المنطقة بتوفير قدر من التعليم لأبنائهم، كما أنها زادت من أعداد مؤسسات التعليم النظامي في مختلف المراحل خاصة في مجال التعليم الأولي للبنين، حيث ارتفع عدد مؤسساته من مدرستين في عام ١٩٣٨م إلى ست في عام ١٩٥٥م اثنان منها بمدينة شندي ومدرسة في كل من كبوشية وقندتو وحوش بانقا والدويمات بنسبة زيادة في أعداد المدارس عن العام ١٩٣٨م قدرها ثلاثمائة بالمائة (٣٠٠%) الأمر الذي أدى

١ - محمد الحسن أحمد الحفيان ن مرجع سابق، ص ١٥١.

٢ - المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٢.

٣ - نفس المصدر، ص ٦٢.

٤ - نفس المصدر، ص ٦٦ - ٧٥.

بدوره إلى ارتفاع أعداد المنتسبين لتلك المدارس من ثلاثمائة وعشرون تلميذاً في عام ١٩٣٨م إلى تسعمائة وستين تلميذاً تقريباً في عام ١٩٥٥م. هذا بالإضافة إلى الزيادة الهائلة التي تحققت عبر إنشاء خمس مدارس صُغرى تستوعب مائة وخمس وعشرين تلميذ تقريباً .

أما تعليم البنات الأولي فقد ازدادت مؤسساته التعليمية من مدرسة واحدة في عام ١٩٣٠م إلى ثلاث مدارس في عام ١٩٥٥م بزيادة قدرها ٢٠٠% وزيادة مُشابهة في عدد المنتسبات لتلك المدارس. وقد تميزت أيضاً الفترة من ١٩٣٨م وحتى عام ١٩٥٥م بظهور مؤسسات التعليم النظامي الأوسط لأول مرة في المنطقة، وكذلك المعاهد المتخصصة والتعليم الأهلي الأوسط، والجدول التالي يُبين التطورات التي لحقت بالتعليم النظامي بمراحله المختلفة في منطقة شندي في الفترة من العام ١٩٠٠ وحتى العام ١٩٥٥م.

جدول رقم (٢)

المؤسسات التعليمية بمنطقة شندي وتطورها في الفترة من ١٩٠٠ -

١٩٥٥م.

المجموع	١٩٤٨م - ١٩٥٥م	١٩٣٨م - ١٩٤٧م	١٩٠٠م - ١٩٣٧م	المؤسسة التعليمية
٦	٢	٢	٢	مدارس أولية صغرى
٦	٢	٢	٢	مدارس أولية للبنين
٣	١	١	١	مدارس أولية للبنات
٢	-	٢	-	مدارس وسطى للبنين
-	-	-	-	مدارس وسطى للبنات
١	١	-	-	معاهد دينية
١	١	-	-	معاهد إعداد معلمين

المصدر: التعليم في المديرية الشمالية ، مكتب التعليم بشندي

أما فيما يتعلق بأعداد المدارس التي قامت في منطقة شندي مقارنةً ببقية أجزاء المديرية الشمالية، فمن المؤكد أن بقية أجزاء المديرية قد حازت على نصيب أكبر من المدارس لا يمكن مقارنته بما حازته المنطقة الجنوبية، ونسوق على ذلك مثلاً المدارس الأولية للبنين التي بلغ عددها في كل المديرية الشمالية في

عام ١٩٥٣م خمس وسبعين مدرسة، ست مدارس فقط منها كانت توجد بمنطقة شندي وهذه دلالة على أن بقية أجزاء المديرية الشمالية قد خُطت خطوات واسعة في مجال ترسيخ أقدام التعليم النظامي خاصة في الجزء الشمالي من المديرية الشمالية، بينما ظلت المنطقة الجنوبية من المديرية الشمالية بما فيها منطقة شندي تسير نحو بلوغ هذه الغاية ببطء شديد في هذه المرحلة .

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٣٢.

الفصل الرابع

التعليم النظامي في منطقة شندي ١٩٥٦-١٩٦٩م

٤ - ١ ملامح تاريخ التعليم في السودان في الفترة بين العامين ١٩٥٦ - ١٩٦٩م:

فُبيل نهاية الخطة التعليمية الثانية التي وضعتها وزارة المعارف لتطوير التعليم في السودان والمنتهي أجلها في عام ١٩٥٦م، دعا الحاكم العام للسودان في

نوفمبر ١٩٥٤م لجنة دولية من تربويين ينتمون للجنسية البريطانية والهندية والمصرية بالإضافة إلى سوداني كأمين عام للجنة لتقصّي الحقائق وتقديم النصح للحكومة السودانية، حول سُبُل إصلاح وتحسين التعليم الثانوي في البلاد ، وقد حصرت الحكومة السودانية اختصاص اللجنة التي بدأت أعمالها في فبراير ١٩٥٥م، فيما يلي:

(١) النظر في أسباب هبوط المستوى التعليمي في المدارس الثانوية والذي أدى بدوره إلى قلة أعداد الطلاب الملتحقين بالكلية الجامعية في الخرطوم.

(٢) النظر في مسائل التعليم الثانوي عامة.

(٣) النظر في العلاقات بين المدارس الثانوية المختلفة.

(٤) النظر في مناهج المدارس الأولية والوسطى وأساليب التدرج من المرحلة الأولية إلى الوسطى، ومن المرحلة الوسطى إلى المرحلة الثانوية .

بعد انتهاء أعمال اللجنة التي قامت بإجراء تقييم شامل للمدارس الثانوية في البلاد توصلت اللجنة إلى أن أسباب تدني نسبة النجاح في امتحانات المدارس الثانوية المؤهلة للالتحاق بالكلية الجامعية في الخرطوم يعود في المقام الأول إلى:

(١) لجوء المدارس الأهلية إلى قبول طلاب بمجاميع ضعيفة لا تؤهلهم للتعليم الثانوي.

(٢) الاضطرابات السياسية .

(٣) انعدام الاستقرار في صفوف أعضاء هيئة التدريس بالمدارس الثانوية الذين

أبعدت سياسة السودنة عدداً كبيراً منهم عن مهنة التدريس .

كذلك جاء في تقرير اللجنة الذي نشر بعد استقلال السودان أن استخدام اللغة

الإنجليزية كأداة رئيسية للتعليم في المدارس الثانوية، كان سبباً رئيسياً في تدني نسبة

النجاح بين طلاب المدارس الثانوية؛ وذلك لأن اللغة الإنجليزية كأداة للتعليم وكمادة

إجبارية كان الرسوب فيها في ذلك الوقت يؤدي إلى عدم حصول الطالب على شهادة

١ - تقارير مصلحية ٣٦/٤/٦ ، ص ١٦٤ .

٢ - نفس المصدر، ص ١٦٤ .

٣ - نفس المصدر، ص ١٦٤ .

٤ - نفس المصدر، ص ١٦٤ .

مدرسية.وقد رأت اللجنة أيضاً أن هنالك خللاً في التعليم الثانوي بوجه عام يتمثل في الأكاديمية المفرطة وحصر التعليم الثانوي في مناهج بذاتها بعيدة عن التنوع.وقد رأت اللجنة أن ذلك يُعد خللاً يجب معالجته على وجه السرعة عن طريق تنويع المناهج لتشمل عدداً مُتنوعاً من المواد التقنية وبالتالي ظهور شكل من أشكال المدرسة الشاملة .

عند تقويمها للمدارس الثانوية وجدت اللجنة أيضاً أن هنالك علاقات وثيقة بين التعليم الثانوي والتعليم العالي في السودان من جهة والمؤسسات الثانوية والعليا البريطانية كرابطة كمبردج عبر البحار وجامعة لندن من جهة أخرى، الأمر الذي جعل نظام التعليم السوداني مُرتبطاً بالنظام البريطاني، وقد نجم عن هذا الارتباط أن صارت برامج التعليم والمستويات في المدارس الثانوية السودانية هي أيضاً مُرتبطة بالشروط التي تضعها شهادة كمبردج عبر البحار، وإلى تزايد اعتماد المدارس الثانوية السودانية على المدرسين البريطانيين، وإلى تأجيل مهمة إعداد المدرسين السودانيين للمدارس الثانوية السودانية، وإلى عدم الاعتراف بالحاجة إلى تطوير نظام تعليمي قومي إلا في وقت متأخر .

في عام ١٩٥٧م نُشر تقرير اللجنة الذي اشتمل على جملة من التوصيات رأت اللجنة أن العمل بها سيُشكّل دفعة لا بأس بها للتعليم في السودان خاصة التعليم الثانوي، وقد أُجملت تلك التوصيات في الآتي:

(١) التوسُّع في القاعدة الهرمية للتعليم للإتيان بعدد كافي من التلاميذ النوابع للمراحل العليا.

(٢) تغيير لغة التعليم من الإنجليزية إلى العربية وجعل طُرق التدريس أكثر جاذبية .

(٣) إنشاء كلية للتربية لتدريب المعلمين .

١ - تقارير مصلحة، ٣٦/٤/٦ ، ص ١٦٥ .

٢ - ناصر السيد، مرجع سابق، ص ٢٠٧ .

٣ - تقارير مصلحة ٣٦/٤/٦ ، ص ١٢٢-١٦٦ .

استجابة لتلك التوصيات عيّن وزير المعارف زيادة عثمان أرباب في عام ١٩٥٧م لجنتين لدراسة المقترحات التي تقدّمت بها اللجنة، خاصة فيما يلي مُقترح تغيير لغة التعليم إلى اللغة العربية في المدارس الثانوية، ومُقترح إنشاء كلية للتربية في جامعة الخرطوم لتدريب المعلمين، وتقديم توصيات بشأنهما، وقد أنجزت كل من اللجنتين عملها و تقدّمت بتقريرها في أوائل عام ١٩٥٨م لوزير المعارف .

في عام ١٩٥٧م قررت حكومة السودان بأن تتولى وزارة المعارف مسؤولية التعليم في البلاد بصورة كاملة، وذلك تمثيلاً مع الخطة التي وضعتها الوزارة في عام ١٩٤٨م باعتبارها المسئولة عن التعليم وتوسعه المستقبلي ، وذلك بعد إجازة مُقترح وزارة المعارف بضم المدارس الأهلية ومدارس الإرساليات في الجنوب للوزارة لضمان استمرار تلك المدارس ورفع مستواها التعليمي. وبناءً على ذلك قامت وزارة المعارف بضم المدارس التي قبلت قرار الضم وهي اثنين وخمسين نهراً من المدارس الأهلية الوسطى للبنات والبنين تضم ثمانية آلاف وأربعمائة وثمانين طالباً وطالبة، وعدد سبع أنهر من المدارس الأهلية الثانوية بعدد ألف ومائة وعشرين طالباً، ليصل مجموع الطلاب والطالبات الذين أصبحوا تحت مظلة وزارة المعارف في المرحلتين الوسطى والثانوية تسعة آلاف وستمائة طالباً وطالبة . أما المدارس التي رفضت الضم أو لم تطلبه فقد كانت تسعة عشر نهراً من المدارس الوسطى بنين وبنات، بها ثلاثة آلاف وأربعين طالباً وطالبة، وعدد سبعة أنهر من المدارس الأهلية الثانوية بعدد ألف وأربعين طالباً وطالبة، ليصل مجموع الطالبات والطلاب الذين ظلّوا خارج مظلة وزارة المعارف إلى أربعة آلاف وثمانين طالباً وطالبة .

في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٨م عيّن وزير المعارف زيادة عثمان أرباب الذي احتفظ بمنصبه كوزير للمعارف في حكومة الفريق إبراهيم عبود - الذي قاد انقلاباً

١ - ناصر السيد، مرجع سابق، ص ٢١١.

٢ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

٣ - تربية وتعليم ١/٢١/١٩٧٩.

٤ - نفس المصدر .

عسكرياً على الحكومة الديمقراطية بعد أقل من عامين على استقلال البلاد - عيّن لجنة من أحد عشر تربوياً سودانياً، بينهم مدير جامعة الخرطوم ومدير المعارف وتسعة من كبار رجال التربية في السودان، برئاسة خبير من اليونسكو هو الدكتور متى عقراوى، الذي وصل إلى السودان لهذه الغاية في شهر نوفمبر ١٩٥٨ م ، وقد انحصر تكليف اللجنة في الآتي:

(١) دراسة أهداف التعليم في السودان وتحديد الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق تلك الأهداف.

(٢) دراسة النظام التعليمي القائم في مراحله الثلاث والنظر فيما إذا كان يلبي احتياجات البلاد خاصة المرحلة الأولية وفيما إذا كانت كافية لتنشئة مواطن صالح مستعد للحياة، وأن تقترح اللجنة التعديلات التي ترى ضرورة إدخالها على النظام الحالي وأن تقترح سلماً تعليمياً جديداً يقوم على أسس جديدة .

(٣) أن تقترح اللجنة خطة للسنوات الخمس القادمة يتم خلالها الانتقال من السلم التعليمي الحالي إلى السلم التعليمي الجديد بدون إحداث اضطرابات في سير الدراسة بالمدارس، مع ضرورة النظر لأهمية انتشار التعليم في المرحلة الأولية ليشمل جميع أبناء الشعب خلال فترة زمنية معقولة وضمن حدود وإمكانيات البلاد المادية .

٢

بدأت اللجنة عملها في ١٠/١٢/١٩٥٨م وقد شهد السيد زيادة عثمان أرباب وزير المعارف الجلسة الافتتاحية لأعمالها وألقى كلمةً أثار فيها إضافة إلى التكليف المناط باللجنة ثلاث قضايا أخرى كانت مصدر اهتمام بوزارته وهي:

١- تغيير السلم التعليمي القائم من هيئة ٤+٤+٤ إلى سلم تعليمي جديد يتضمن تمديد سنوات المرحلة الأولى من التعليم إلى ست سنوات وإلغاء المرحلة الوسطى واستبدالها بمدرسة ثانوية من ست سنوات. وقد علّل الوزير رأيه هذه في كلمته بأن فترة الدراسة في المدرسة الأولية وهي أربع سنوات تعتبر قصيرة جداً لتؤدي في نهايتها إلى إرسال التلميذ لمواجهة أعباء الحياة في سن مبكرة جداً .

١ - ناصر السيد ، مرجع سابق ، ص ٢١٣

٢ - تربية وتعليم ١/٣/١٨٨/٨٤٢ ، ص ٢

2- تعليم البدو الرُّحَل.

3- ضمان وحدة السودان شماله وجنوبه واستخدام اللُّغة العربية لضمانها.

4- النظر لمنهجي التربية الإسلامية والبدنية كوسيلة لبناء الأخلاق عند التلاميذ .

بعد ستة أشهر من العمل الدعوب تقدّمت لجنة عقراوى بتقريرها لوزير المعارف في ٤ يونيو ١٩٥٩م، وقد احتوى التقرير على رؤية اللجنة حول المواضيع التي كُلفت بدراستها خاصة أهداف التعليم في السودان والنظام التعليمي القائم في مراحلہ الثلاث، كما أوضحت اللجنة رأيها في المدارس الأولية الصغرى وذكرت في تقريرها أنها غير ذات جدوى، في الوقت الذي امتدحت فيه المدرسة الأولية والمدرسة الثانوية ولم تقطع برأي حول المدرسة الوسطى .

التصوُّر الذي وضعتہ اللجنة للسلم التعليمي الجديد كان هو أهم ما تقدمت به لجنة عقراوي لوزارة المعارف، وقد تضمّن مرحلتين رئيسيتين ابتدائية وثانوية في سنوات ست لكل، على أن تكون المرحلة الابتدائية مشتركة للجميع يتفرّع السلم بعدها إلى اتجاهين عام ومهني، ينقسم كل منهما بدوره إلى حلقتين، فتأتي بعد المرحلة الابتدائية ثلاث سنوات من الثانوية العامة، تلحق بها ثلاث سنوات أخرى من الثانوية العامة العليا، و الشيء نفسه مع الفرع المهني فتأتي ثلاث سنوات من المهنية العامة بعد المرحلة الابتدائية ثم تلحق بها ثلاث سنوات أخرى من المهنية العليا على هيئة ٦+٣+٣ .

٢

بعد عام من تقرير لجنة عقراوى دعت وزارة المعارف خبير تربوي آخر هو الدكتور عبد الحميد كاظم، لتقويم تقرير لجنة عقراوى ولإبداء الرأي حول التوصيات التي جاءت في تقريرها، وبعد أن اطلع الدكتور عبد الحميد كاظم على حيثيات التقرير تقدّم هو الآخر بتقرير لوزير المعارف في سبتمبر ١٩٦٠م . وقد جاء تقرير الدكتور عبد الحميد كاظم مختلفاً عن تقرير لجنة عقراوي في أهم ما اقترحتہ اللّجنة من توصيات وهو تغيير السُّلم التعليمي من ٤+٤+٤ إلى ٦+٣+٣، وقد أوصى الدكتور عبد الحميد كاظم في تقريره بالإبقاء على السلم التعليمي

١ - ناصر السيد. مرجع سابق ، ص ٢١٦-٢١٧ .

٢ - تربية وتعليم ١/٣/١٨٨/٨٤٢ ، ص ٢ .

٣ - ناصر السيد ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ .

المعمول به مع تعديل طفيف هو أن تُدمج المرحلتان الأوليتان منه، أي المرحلة الأولى و الوسطى في مرحلة واحدة، تلحق بهما في السنوات الأربع الأخيرة المرحلة الثالثة، تكون فيها المرحلة الثانية بمثابة مرحلة إعدادية لدخول الجامعة، وبذلك يكون شكل السلم التعليمي المقترح بواسطة الدكتور عبد الحميد كاظم هو ٤+٨ وفيما عدا ذلك فقد اتفق عبد الحميد كاظم مع لجنة عقراوى حول مستويات المدارس الصغرى، ولكنه أشار إلى أنه أكثر ميلاً إلى رفع مستوى المدرسة الأولية الصغرى إلى مستوى المدرسة الأولية .^٢

في عام ١٩٦١م قدّم السيد زيادة عثمان أرباب وزير المعارف تقريراً لحكومة الفريق إبراهيم عبود ضمّن فيه السياسة التعليمية الجديدة التي ينوي إتباعها، وذلك استناداً على ما جاء في تقرير عقراوى وعبد الحميد كاظم، وقد طالب الوزير الحكومة على العمل بما سيأتي في تقريره والنظر إليه باعتباره السياسة المستقبلية لوزارة المعارف. وعلى الرغم من أن الوزير قد استند في خطته الجديدة للوزارة على تقرير لجنة عقراوى، إلا أنه قد خالف رؤية اللجنة فيما يتعلق بالسلم التعليمي المقترح، فاقترح سلماً تعليمياً مغايراً لما جاء في تقرير لجنة عقراوى والدكتور عبد الحميد كاظم، يتكوّن من ثلاث مراحل ٦+٤+٤. على أن السياسة الجديدة للسيد زيادة عثمان أرباب بما فيها مسألة السلم التعليمي في البلاد والتي أخذت حيزاً كبيراً من اهتمامه، طُوّيت مؤقتاً في عام ١٩٦٢م نتيجة لمغادرته لمقعده في وزارة المعارف في نوفمبر ١٩٦٢م، إثر تعديل وزارى قاده إلى وزارة الأشغال وجاء باللواء محمد طلعت فريد إلى وزارة المعارف.

منذ أن أصبح اللواء محمد طلعت فريد الرّجل الأول في وزارة المعارف، انصرف بكلياته للاهتمام بمسألة يبدو أن حكومة الفريق إبراهيم عبود قد أولتها اهتماماً كبيراً لذلك كلفت بها الرّجل الثاني في النظام، وهي مسألة التوسّع التعليمي وعلى أساس السلم التعليمي القديم، ووفقاً لمتطلّبات الخطة الاقتصادية والاجتماعية التي وضعتها حكومة عبود. لذلك عندما جلس السيد محمد طلعت فريد على كرسي وزارة المعارف، لم يكن السلم التعليمي ولا التعليم الثانوي وإصلاحه هو الهم

١ - تربية وتعليم ١/٣/١٨٨/٨٤٢، ص ٣.

٢ - ناصر السيد، مرجع سابق، ص ٢١٨-٢٢٧.

الوحيد للوزارة في تلك الفترة، والتي كان يشعر خلالها القائمون على أمر وزارة المعارف بأن مراحل التعليم الأخرى بحاجة إلى شيء من إعادة التنظيم الذي يواكب مشروعات وخطط الحكومة للتنمية البشرية والاقتصادية في البلاد .

في عام ١٩٦٢م وُضعت وزارة المعارف خطة عشرية للتعليم في السودان في جميع مراحلها أُسعت لتحقيق عدد من الأهداف الضرورية للسير بالتعليم في طريق التطور بما يواكب التنمية التي كانت ترمي لها الدولة، وقد حَصرت هذه الخطة العشرية في مجال التعليم أهدافها في التالي:

1- أن يصبح التعليم الأولي للبنين شاملاً وإلزامياً خلال فترة خمسة وعشرون سنة قادمة، وأن ترتفع سنوات التعليم الأولي من ستة إلى ثمان سنوات ولا يتوقف عند السنوات الأربع المعهودة على أن يشمل ٥٠% من البنين و ٢٥% من البنات بنهاية الخطة.

2- ترفيع المدارس الصغرى الحالية في الشمال والجنوب إلى مستوى المدارس الأولية.

3- فتح مدارس أولية جديدة ترفع من نسبة انتساب البنين للنظام التعليمي إلى ٦٥% والبنات إلى ٤٠%.

4- فتح مدارس وسطى جديدة ترفع نسبة الملتحقين بالمدارس الوسطى الحكومية والأهلية من الذين يجلسون لامتحانات الدخول للمدارس الوسطى من ٢٧% إلى ٥٠% بالنسبة للبنين ومن ٢٥% إلى ٣٥% بالنسبة للبنات.

5- فتح مدارس ثانوية جديدة ترفع نسبة القبول في المدارس الثانوية إلى ٦٠% من الجالسين لامتحانات الدخول للمدارس الثانوية من البنين والبنات بدلاً عن النسبة الحالية وهي ٤٩% للبنين و ٤٤% للبنات.

6- تنويع المدارس الثانوية لتواكب سياسة الوزارة الرامية إلى التوسع في التعليم الفني والمهني ليسير جنباً إلى جنب مع التعليم الأكاديمي.

١ - ناصر السيد، مرجع سابق ، ص ٢١١.

٢ - تقارير مصلحية ٦/٤/٦٧٧ ، الخطة الخمسية للتوسع التعليمي ٦٧-١٩٩٨م ، ٧١-١٩٧٢.

7- التوسع في زيادة وتدريب المعلمين لمُقابلة مُتطلبات التوسُّع والزيادة في أعداد المدارس في كُلِّ المراحل وإعطاء دور أكبر لمعاهد التربية في هذا الشأن مع الأخذ في الاعتبار الإهدار والتسرُّب وسط المعلمين بسبب الوفاة أو الاستقالة أو المرض .^١

ولمُقابلة متطلبات مشروعات التوسع هذه شرعت الحكومة في إعداد العنصر البشري الذي ستقع على عاتقه مهمة تنفيذ تلك المشروعات، فقامت في عام ١٩٦١م بافتتاح معهد المعلمين العالي لإعداد معلمي المرحلة الثانوية من حاملي الشهادة السودانية الذين يلتحقون به للدراسة لمدة أربع سنوات، يمنحون بعدها دبلوم التربية الذي يؤهلهم للعمل كأساتذة في المدارس الثانوية، وقد تطوَّر هذا المعهد فيما بعد حيث تمَّ ضمه لجامعة الخرطوم في عام ١٩٧٤م ، ليصبح نواة لأول كلية للتربية في السودان . هذا بجانب ما تمخَّض عن السياسات غير المُعلنة لوزارة المعارف والمتمثلة في مُضاعفة أعداد المقبولين في معاهد إعداد المعلمين، وذلك بغرض تأهيل العدد الكافي من المعلمين لمدارس الرفع والإنشاء وفقاً لهذه الخطة .

التوسُّع الذي شهده التعليم في السودان منذ مطلع الستينيات والذي ازدادت وتيرته في عامي ١٩٦٢م و١٩٦٣م، لعب دوراً حاسماً في الإطاحة بالحكم العسكري الأول في أكتوبر ١٩٦٤م، وذلك نتيجة لتزايد أعداد الطالبات والطلاب بالمراحل المختلفة، ولتزايد أعداد الخريجين الذين التحقوا بالخدمة المدنية، ولعبوا دوراً في إسقاط النظام من خلال حركات التظاهر والعصيان المدني التي أدَّت إلى سقوطه في أكتوبر ١٩٦٤م. وقد أدَّى ذلك إلى أن تنظر الحكومة التي خلفت النظام السابق بجديَّة في كثير من الإصلاحات المُرتقبة في التعليم منذ زمن بعيد كان أهمها على الإطلاق النظر في مسألة استخدام اللغة العربية كلغة للتدريس في

١ - تقارير مصلحية ٦/ ٤/ ٦٧٧.

٢ - سلمان علي سلمان ، وقفات مضمّنية في تاريخ التعليم في السودان ١٩٥٩-١٩٦٠م. ص ١٠ ، نقلاً عن الشبكة العنكبوتية.

المدارس الثانوية وهو ما تمّ في العام الدراسي ٦٧- ١٩٦٨م، وقد كانت ضربة البداية تعريب مادة التاريخ على أن يتم التعريب بعد ذلك على مراحل تنتهي في عام ١٩٧٠م، وقد أسندت هذه المهمة لمعهد المعلمين العالي ، وكان من بين المشكلات التي هدفت عملية التعريب إلى معالجتها مشكلة دمج التعليم الديني في النظام التعليمي الذي كان يُستخدم اللُّغة الإنجليزية كأداة للتدريس، بينما كان التدريس في المعاهد الدينية يجري باللُّغة العربية منذ بدايتها.ومن المفيد هنا أن نشير إلى أن سياسة تعريب التعليم الثانوي كانت قد تزامنت مع سياسة جديدة انتهجتها وزارة التربية والتعليم، فرضتها الضغوط الشعبية والسياسية على الحكومة الديمقراطية في العام ١٩٦٦م ألا وهي مجانية التعليم الثانوي التي أعلنت في العام ١٩٦٧م .

في عام ١٩٦٥م تقدّم السيد بدوي مصطفى وزير التربية والتعليم بتوصية لمجلس الوزراء يقترح فيها إنشاء مجلس للتعليم الأهلي في البلاد يضطلع بمهام مساعدة الوزارة في مجال التوسع التعليمي، الذي كان أحد أهم أهداف الوزارة في تلك الفترة وقد حدّد الوزير أهداف ذلك المجلس في:

١/ المساعدة في التوسّع التعليمي المنشود ورعاية المؤسسات التعليمية غير الحكومية.

٢/ استنهاض الهمم لتوفير المال اللازم للتوسّع في التعليم غير الحكومي .

٣/ المشاركة في معالجة المشاكل التي تواجه وزارة التربية في شئون التعليم غير الحكومي.

٤/ إشراك المواطنين في نشر التعليم وغرس روح المسؤولية الوطنية فيهم .

وفي ٧ يونيو ١٩٦٥م وافق مجلس الوزراء على قيام المجلس في قراره رقم (٣٨٧) لسنة ١٩٦٥م في نفس العام الذي تأسست فيه جامعة أمدرمان

١ - ناصر السيد، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

٢ - تربية وتعليم ١/٧/٥٠٠.

٣ - تربية وتعليم ١/١/٢١/١٧٩.

٤ - تربية وتعليم ١/١/٢١/١٧٩.

الإسلامية التي تعود جذورها إلى العام ١٩١٢م عندما بدأت بمعهد علمي اكتملت أقسامه الثلاثة في عام ١٩٢٤م ثم تطوّر في عام ١٩٦٣م إلى كلية جامعّة ثم إلى جامعة أمدرمان الإسلامية في عام ١٩٦٥م والتي شكّل قيامها في ذلك العام إضافة حقيقية للتعليم العالي في البلاد بجانب جامعتي الخرطوم والقاهرة فرع الخرطوم .

في عام ١٩٦٦م عُقد اجتماع بين وزارة التربية والتعليم ووزارة المالية والاقتصاد لبحث خطة للتوسع التعليمي ورفع المدارس الصُغرى إلى أوليّة، في محاولة للاستجابة للرغبة الشعبية والسير بالتوسّع التعليمي قُدماً على الرغم من شح الموارد المالية التي تمكن من إنجاز مثل هذا المشروع الضخم والمكلف، لا سيما فيما يتعلق بالمباني والمعدات والمرتببات وخلافه، بعد أخذ ورد خرج الاجتماع بتوصية مفادها حتمية تكاتف الجهد الشعبي مع الجهد الرسمي لإنجاح ذلك المشروع وذلك بأن يقوم المواطنون ببناء المدارس وأن تتولى الحكومة تزويدها بالمعلمين والكتب والإشراف الفني والإداري، على أن يراعى في مشروع التوسع أن يشمل كافة المراحل التعليمية حتى لا يختل السلم التعليمي في البلاد، وعلى ضوء هذه الموجهات خرج الاجتماع بالقرارات الآتية:

- ١/ رفع المدارس الصُغرى التي يكمل المواطنين مبانيها فوراً .
 - ٢/ ضم المدارس الأولية التي يقوم ببنائها المواطنين بعد أخذ التصديق من وزارة التربية والتعليم.
 - ٣/ ضم كل المدارس الأولية والأهلية للوزارة.
 - ٤/ القيام بتدريب مُعلمي المدارس الصغرى .
- مشروعات التوسّع التعليمي تلك إضافة للمجهودات الجبّارة التي بذلت في مجال التعليم منذ الاستقلال وحتى العام ١٩٦٧م، ترتّب عليها زيادة هائلة في عدد

١ - كامل الباقر، تجربة التعليم الديني ١٩٥٦م-١٩٦٥م. ط١؛ أمدرمان: دار جامعة أمدرمان الإسلامية للطباعة والنشر، ١٩٩١م. ص٨.

المدارس الأولية والوسطى والثانوية مقارنة بفترة ما قبل الاستقلال، وقد وصلت هذه الزيادة في بعض الأحيان إلى سبعة أضعاف، خاصة في المدارس الأولية. على الرغم من أن النتائج التي تحققت لمشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٦ م - ١٩٦٧ م كانت ممتازة للغاية وأدت إلى حدوث زيادة مُقدَّرة في المؤسسات التعليمية في مراحلها المختلفة في البلاد، إلا أن هذا المشروع لم يفلح تماماً في القضاء على ما اصطلح عليه ازدواجية التعليم الأولي المتمثلة في وجود المدارس الأولية الصغرى جنباً إلى جنب مع المدارس الأولية في نفس الوقت، الأمر الذي أجبر وزارة التربية والتعليم على وضع خطة جديدة للتوسع في العام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م كان هدفها الأول إنهاء الازدواجية في التعليم الأولي والتخلُّص نهائياً من المدارس الأولية الصغرى وذلك عن طريق استكمال رفع المدارس الأولية الصغرى المُتبقية في البلاد إلى مدارس أولية وإنشاء مدارس أولية جديدة في المناطق التي تفتقر لمثل هذا النوع من المؤسسات التعليمية.

٤ - ٢ التعليم الأولي في منطقة شندي ١٩٥٦ - ١٩٦٩ م:

في السنوات الأخيرة من عُمر الحكم الثنائي للسودان، ومنذ أن أصبحت وزارة المعارف في العام ١٩٤٨ م تُدار بأيدي سودانية، قامت الوزارة بوضع الخُطط والبرامج التي تُلبي تطلُّعات الشعب السوداني المُنادية بنشر التعليم وتوسعه في مراحلها المختلفة. وفي الشهور الأخيرة من عُمر ذلك النظام الاستعماري و في عام ١٩٥٥ م شهدت منطقة شندي توسعاً غير مسبوق في مجال التعليم الأولي و الأصغر تميَّز بالسرعة والانتشار الجغرافي الواسع والمتوازن في المنطقة بأكملها، حاملاً في ركابه المؤسسات التعليمية الحديثة - ولأول مرة - إلى مناطق العرب الرُّحل الواقعة على الأطراف الشرقيَّة من منطقة شندي والمُتاخمة لحدود منطقة البطانة، وإلى بعض القرى الواقعة إلى الجنوب من قرية قندتو جنوب شندي، والتي لم تشهد قيام أي مؤسسة تعليمية حتى نهاية عقد الأربعينيات من القرن

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

الماضي عندما أنشئت مدرسة البسابير الصغرى، وحجر العسل الصغري في عام ١٩٤٩ م .

كذلك امتد تأثير ذلك التوسع التعليمي في تلك الحقبة ليشمل بعض القرى الواقعة إلى الجنوب من مدينة شندي، التي كانت تعتمد في السابق على المؤسسات التعليمية الموجودة بمدينة شندي لتوفير التعليم الأولي لأبنائها، فقامت مدارس أولية في قرى قندتو وحوش بانقا والفجيجة والدويمات . هذا بالإضافة إلى المؤسسات التعليمية التي أنشئت بالمنطقة قبل العام ١٩٤٨م، ليرتفع بذلك عدد المدارس الأولية والصغرى بالنسبة للبنين في المنطقة حتى عام ١٩٥٥م إلى اثنا عشر مدرسة أولية ومدرسة صغرى، ثمانية منها أنشئت بعد العام ١٩٤٨م في قرى حوش بانقا أم علي الفجيجة والدويمات وديم القراي وحجر العسل والبسابير وتميد حاج الطاهر وتميد النافعاب بنسبة زيادة قدرها مائتان في المائة، أي أن المدارس التي أنشئت في منطقة شندي بعد العام ١٩٤٨م تساوي ضعف المدارس التي أنشئت بالمنطقة قبل ذلك العام في إشارة إلى أن التعليم ومنذ أن صار أمره بأيدي السودانيين، صار يلامس تطلعات المجتمعات السودانية في المدن والقرى والأرياف التي لم تكن قد نالت حظاً من اهتمام الإنجليز. والجدول التالي يبيّن عدد المدارس الأولية والصغرى للبنين بمنطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م.

جدول رقم (٣)

مدارس البنين الأولية والصغرى بمنطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م.

م	اسم المدرسة	النوع	تاريخ التأسيس	ملاحظات
١	شندي الشمالية	أولية	١٩١٢م	أول مدرسة أولية للبنين بالمنطقة
٢	شندي الجنوبية	أولية	١٩٤٢م	حوّلت في عام ١٩٥٥م لمعهد التربية شندي
٣	حوش بانقا	أولية	١٩٥١م	جنوب مدينة شندي
٤	قندتو	أولية	١٩٤٧م	جنوب مدينة شندي بدأت صغرى ثم

١ - سجلات مكتب التعليم شندي (الريف الجنوبي ومنطقة حجر العسل) ، ٢٠٠٩م.

٢ - محمد الحسن الحفيان ، مرجع سابق، ص ١٥١.

٥	كبوشية	أولية	١٩٣٧م	شمال شندي
٦	أم علي	أولية	١٩٥٥م	شمال شندي
٧	الفحيجة والدويمات	صغرى	١٩٥٢م	جنوب شندي رفعت لأولية في عام ١٩٦٣م
٨	ديم القراري	صغرى	١٩٥٤م	شمال شندي ورفعت لأولية في عام ١٩٦٣م
٩	حجر العسل	صغرى	١٩٤٩م	جنوب شندي رفعت لأولية في عام ١٩٥٥م
١٠	اليسابير	صغرى	١٩٤٩م	بدأت صغرى ثم أولية في عام ١٩٦٣م
١١	تميد حاج الطاهر	صغرى	١٩٥١م	رُفعت لأولية في عام ١٩٦٣م
١٢	تميد النافعاب	صغرى	١٩٤٩م	رُفعت لأولية في عام ١٩٦٣م

المصدر: ١/تربية وتعليم ١٢/٣/٧ ، ص ٧ * ٢/ محمد الحسن الحفيان * ٣/ سجلات مكتب التعليم شندي
أما فيما يتعلّق بتعليم البنات الأولي في منطقة شندي فقد شهدت الفترة من عام ١٩٤٨م وحتى العام ١٩٥٥م إعادة فتح مدرسة شندي الاولية للبنات في عام ١٩٤٩م ، وإنشاء مدرسة للبنات ولأول مرة بالمنطقة الواقعة جنوب مدينة شندي في قرية قندتو في عام ١٩٥٥م ، بالإضافة إلى مدرسة كبوشية الأولية للبنات التي تأسست في عام ١٩٤٢م، ليرتفع بذلك عدد مدارس البنات في منطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م، إلى أربع مدارس أولية للبنات مدرسة واحدة فقط من هذه المدارس الأربع تمّ إنشائها قبل العام ١٩٤٨م بينما تم انشاء المدارس الأخرى بعد العام ١٩٤٨م أي أن حوالي ٦٠% من مدارس البنات الأولية بمدينة شندي حتى العام ١٩٥٥م تم إنشائها في الفترة من ١٩٤٨م وحتى العام ١٩٥٥م. والملاحظ هنا أن منطقة شندي وحتى العام ١٩٥٥م لم تشهد قيام أي مدرسة أولية صغرى للبنات بالمنطقة. والجدول أدناه يبين مدارس البنات الأولية بمنطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م .

جدول رقم (٤)

مدارس البنات الأولية بمنطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م

م	اسم المدرسة	النوع	تاريخ التأسيس	ملاحظات
---	-------------	-------	---------------	---------

١ - سجلات مكتب التعليم بشندي ، ٢٠٠٩م.

٢ - محمد الحسن أحمد الحفيان ، مرجع سابق ، ص ١٥١.

١	شندي الشمالية بنات	أولية	١٩٣٠م	أغلقت في عام ١٩٣٥
٢	شندي الجنوبية بنات	أولية	١٩٤٩م	
٣	كبوشية الأولية بنات	أولية	١٩٤٤م	أول مدرسة بنات شمال شندي
٤	قندتو بنات	أولية	١٩٥٥م	أول مدرسة بنات جنوب شندي
٥	معهد التربية شندي	أولية	١٩٥٥م	مشتركة بين بنين وبنات

المصدر: ١/سجلات مكتب التعليم شندي * ٢/ التعليم بالمديرية الشمالية * ٣/ محمد الحسن أحمد الحفيان

تميّزت الفترة الممتدة من استقلال السودان عام ١٩٥٦ م وحتى تاريخ قيام الحكم العسكري الثاني في البلاد عام ١٩٦٩م بجملة من المتغيرات السياسية والإدارية تمثلت في تعاقب الأنظمة السياسية التي حكمت البلاد عقب الاستقلال، وهي حقبة الديمقراطية الأولى حتى العام ١٩٥٨م، ثم الحكم العسكري الأول حتى العام ١٩٦٤م، ثم الديمقراطية الثانية حتى العام ١٩٦٩م تاريخ بداية الحكم العسكري الثاني للبلاد. وقد أثرت تلك المتغيرات السياسية التي مرّت بها البلاد على مجمل الأوضاع في البلاد بصورة عامة غير أن تأثيرها على التعليم والنظام التعليمي في البلاد كان أكثر وضوحاً، فيما يلي الزيادة والتوسع في الوحدات التعليمية وأقل حدة من الناحية الإدارية حيث لم تتأثر وزارة المعارف بالتغيير السياسي الذي حدث في البلاد في ١٧/نوفمبر/١٩٥٨م واحتفظ السيد زيادة عثمان أرباب وزيراً للمعارف بمنصبه حتى عام ١٩٦٢م ثم خلفه في مقعد الوزارة السيد محمد طلعت فريد في العام ١٩٦٢م، ثم جاءت حقبة الديمقراطية الثانية بكل من السيد حسن عوض الله والسيد بدوي مصطفى على رأس وزارة التربية والتعليم .

لمناقشة التطورات التي لحقت بالتعليم الأولي في منطقة شندي في الفترة الممتدة من ١٩٥٦م وحتى عام ١٩٦٩م، والوقوف على التأثيرات التي خلّفتها

الأنظمة السياسية المتعاقبة على التعليم في المنطقة فمن المفيد أن نُقسِّم تلك الفترة وفقاً للسمات المميزة لكل منها وهي كالتالي:

أ/ الفترة الممتدة من عام ١٩٥٦م وحتى عام ١٩٦٢م وهي الفترة التي عمل فيها السيد زيادة عثمان أرباب وزيراً للمعارف.

ب/ الفترة الممتدة من ١٩٦٢م وحتى عام ١٩٦٤م وهي الفترة التي عمل فيها اللواء طلعت محمد فريد وزيراً للتربية والتعليم.

ج/ الفترة الممتدة من ١٩٦٥م وحتى ١٩٦٩م وهي فترة الديمقراطية الثانية.

٤ - ٢ - ١ التعليم الأولي في منطقة شندي ١٩٥٦ - ١٩٦٢م:

شهدت السنوات الممتدة من العام ١٩٥٦م والعام ١٩٦٢م حقبتين سياسيتين مختلفتين في البلاد، هما حكومة الديمقراطية الأولى والحكم العسكري الأول، وقد تميزت تلك الفترة بتولي السيد زيادة عثمان أرباب وزارة المعارف والتي امتدت فترة عمله فيها حتى العام ١٩٦٢م. وعلى الرغم من أن السيد زيادة عثمان أرباب قد أظهر اهتماماً كبيراً بإصلاح أحوال التعليم الثانوي وبأمر السلم التعليمي وتوحيد نظم التعليم في الشمال والجنوب، إلا أن اهتمامه بمشروعات التوسُّع التعليمي لم تكن بنفس القدر من الحماس ربما بسبب ارتباطها الشديد بالإمكانيات المالية للدولة، لذلك لم تشهد منطقة شندي بالنسبة للتعليم الأولي في تلك الفترة سوى قيام مدرسة أولية واحدة مختلطة هي مدرسة القيادة الشمالية المشتركة الأولية، التي تأسست في العام الدراسي (١٩٥٨ - ١٩٥٩م) بغرض استيعاب أبناء ضباط وضباط صف وجنود القيادة الشمالية بشندي، ولا نستبعد هنا أن يكون قيام هذه المدرسة ثمرة لإلحاح ضباط قيادة الفرقة الثالثة بشندي من زملاء قادة انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م. كذلك يجب أن نشير هنا إلى أن منطقة شندي كانت قد نالت عند استقلال البلاد في يناير ١٩٥٦م مدرستين أوليتين للبنين هما مدرسة الاستقلال بمدينة شندي و مدرسة بانقا الأولية بقرية ود بانقا جنوب شندي .

١ - سجلات مكتب التعليم بشندي ، ٢٠٠٩م.

٢ - مقابلة مع الأستاذ عباس حسين، أستاذ مؤسس بالمدرسة بمنزله بشندي في ٢٦/١٠/٢٠١٠م.

بالنظر إلى تلك التطورات المتمثلة في قيام ثلاث مدارس أولية بمنطقة شندي في الفترة من ١٩٥٦م وحتى ١٩٦٢م، نلاحظ أن مدينة شندي قد ظفرت بمدرستين من هذه المدارس الثلاث فأصبح بذلك عدد المدارس الأولية بمدينة شندي خمس مدارس من جملة تسع مدارس أولية بالمنطقة، أي أن نسبة ٥٥,٥% من مدارس البنين الأولية بالمنطقة كانت توجد بمدينة شندي مما يشير إلى أن القرى المحيطة بمدينة شندي وقرى المنطقة ككل لم تتحلل بعد من الهيمنة التعليمية التي ظلت تمارسها مدينة شندي حتى ذلك الوقت. أما المدرسة الثالثة فقد قامت في قرية بانقا جنوب مدينة شندي وهي مدرسة داخلية - كمدرسة الاستقلال بشندي - تستوعب أبناء المنطقة الممتدة ممن قرية بانقا إلى حجر العسل، والقرى الواقعة إلى الشمال من قرية بانقا وبعض أبناء العرب الرحل في النقعة وقرى السلافيب وبانقا القبة والسلمة وغيرها .

في العام ١٩٦٢م ارتفع عدد المدارس الأولية والصغرى بمنطقة شندي إلى خمسة عشر مدرسة، تسع مدارس منها أولية تمثل نسبة ٧١,٩% من جملة المدارس الأولية للبنين بالمديرية الشمالية كانت توجد منها بمدينة شندي نسبة ٥٥% من جملة المدارس بالمنطقة وهي نسبة تعادل ٣٩,٩% من جملة مدارس البنين بالمديرية الشمالية بأكملها، مما يشير إلى أن مدينة شندي مقارنة ببقية أجزاء المنطقة قد بلغت مراحل متقدمة في مجال تعليم البنين الأولي وأصبح من الضرورة بمكان النظر للمناطق الأخرى التي تعاني من التخلف في هذا المجال، حتى يكون هنالك نوع من العدالة الاجتماعية.

هذه الفجوة التعليمية التي كانت تعاني منها بعض القرى الصغيرة والنائية عن مدينة شندي، جرت محاولات عديدة لسدها، أهمها محاولات المجلس الريفي لمنطقة شندي الذي أُلقيت على عاتقه مهمة رعاية التعليم الأولي الأصغر أو التعليم تحت الدرجة، وهو عبارة عن مدارس أولية

١ - نفس المصدر.

٢ - تقارير مصلحة ٣٤/٣/٦، ص ١٨.

٣ - متنوعات ١٢١/٨/١، ص ٢٣.

صغرى تتكون من ثلاثة فصول تتبع إدارياً للمديريات وتتولى المجالس الريفية الإشراف عليها، ولا تحتاج في قيامها إلى تصديق من وزارة المعارف، وقد كان هذا النوع من المدارس يُقام في القرى الصغيرة التي لم يكن بإمكانها أن تغذي مدارس أولية مكتملة سنوياً بالتلاميذ حتى لا يحرم أبنائها من التعليم، ولتحقيق هدف آخر أيضاً هو تقليص النفقات الحكومية في مجال التعليم، وبهذا فقد كانت المدارس الصغرى تحقق لوزارة المعارف هدفين اثنين هما:

1- إيجاد نوع من التعليم في القرى التي لم يكن بإمكانها تغذية مدارس أولية كاملة سنوياً .

2- تقليل تكلفة تعليم المتفوقين من المدارس الصغرى لإكمال تعليمهم في مدارس أولية مكتملة بها داخلات في كبوشية أو العالياب أو بانقا بالنسبة للمدارس الصغرى في منطقة شندي .

بدأ التعليم الأولي الأصغر في المديرية الشمالية في عام ١٩٣٦م ، غير أن ما نسميه التعليم الأصغر قد بدأ في مدينة شندي منذ منتصف عشرينيات القرن الماضي، بما كان يُعرف بمدرسة السواري، ومدرسة أبو الذهب التي تحوّلت فيما بعد إلى مدرسة صغرى بمدينة شندي وظلّت تعمل إلى أن تمّ تجفيفها في عام ١٩٥٤م، وتعدّ مدرسة أبو الذهب هذه من أوائل المدارس الصغرى بمنطقة شندي ثم لحقت بها بعد ذلك مجموعة من المدارس الصغرى، حتى بلغ تعدادها في عام ١٩٥٥م ثماني مدارس صغرى بيّناها كالتالي .

جدول رقم (٥)

المدارس الصغرى للبنين بمنطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م.

م	اسم المدرسة	تاريخ التأسيس	ملاحظات
١	أبو الذهب	١٩٣٧م	جُففت في عام ١٩٥٤م وكان اسمها مدرسة النهر. الصغرى

١- التعليم في المديرية الشمالية ، مصدر سابق ، ص ٣٥ .

٢	قندتو	١٩٤٣م	بدأت صُغرى ثم نصفية ثم أولية في عام ١٩٤٧م.
٣	الفجيجة والدويمات	١٩٥٢م	
٤	ديم القراي	١٩٥٤م	
٥	حجر العسل	١٩٤٩م	
٦	اليساير	١٩٤٩م	
٧	تميد النافعاب	١٩٤٩م	
٨	تميد حاج الطاهر	١٩٥١م	

المصدر: سجلات مكتب التعليم شندي

وبعد تجفيف مدرسة أبو الذهب الصُغرى وتحويل مدرسة قندتو النصفية إلى مدرسة أولية مُكتملة، أصبح تعداد المدارس الصغرى للبنين بمنطقة شندي حتى عام ١٩٥٥م تسع مدارس أولية صغرى.

في الفترة من ١٩٥٦م وحتى ١٩٦٢م قامت بمنطقة شندي ثلاث مدارس أولية صُغرى للبنين في كلِّ من قرية المسيكتاب العشرة في عام ١٩٥٦م، وقرية الحفيان جنوب شندي في عام ١٩٥٨م، وقرية التراجمة شمال شندي في عام ١٩٥٨م، والملاحظ هنا أن هذه المدارس - باستثناء مدرسة النهر الصغرى التي جُففت في عام ١٩٥٤م لعدم حاجة المدينة إليها بسبب كثرة المدارس الأولية المكتملة فيها - قامت خارج مدينة شندي إلى الشمال والجنوب منها .

فيما يتعلَّق بتعليم البنات الأولي في منطقة شندي في الفترة من ١٩٥٦م وحتى ١٩٦٢م، فقد رأينا في السابق أن تعليم البنات الأولي في منطقة شندي قد جاء متأخراً بعض الشيء في العام ١٩٣٠م، مقارنة بتعليم البنين الأولي في المنطقة والذي بدأ في عام ١٩١٢م، وقد أرجعنا السبب في ذلك إلى طبيعة المجتمع المحافظ بمنطقة شندي ولعدم رغبة الحكومة في نشر هذا النوع من التعليم في تلك الفترة. كذلك شهدت الفترة التي سبقت استقلال البلاد دفعة قوية في ميدان تعليم البنات الأولي في

منطقة شندي مقارنة بالفترة التي أعقبت الاستقلال، حيث لم تشهد تلك الفترة قيام أيّ مدارس صُغرى للبنات في المنطقة وذلك في مُقابل قيام خمس مدارس أولية مُكتملة حتى العام ١٩٥٥م، ثلاث منها بمدينة شندي ومدرسة واحدة بكلّ من قرية كبوشية وقرية قندتو، وهذه المدارس الخمس كانت موزّعة توزيعاً جغرافياً مثالياً أمكن بموجبه توفير غطاء تعليمي مناسب لمُعظم أنحاء المنطقة حيث كانت مدرسة كبوشية في الشمال ومدارس مدينة شندي في الوسط ومدرسة قندتو في الجنوب.

مثلما كان التوسع في ميدان تعليم البنين الأولي في منطقة شندي في الفترة من العام ١٩٥٦م وحتى العام ١٩٦٢م، محدوداً للغاية مُقارنة بالفتريات التي سبقت أو أعقبت تلك الحقبة، فقد كان التوسُّع في تعليم البنات الأولي في تلك الحقبة أيضاً محدوداً ولا يكاد يُذكر إذ أنه وباستثناء مدرسة القيادة الشمالية المشتركة التي تأسست في عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩م، ومدرسة وادي العبيد الأولية التي تأسست في عام ١٩٦١م ضمن برامج المعونة الأمريكية للسودان ، لم يتم إنشاء أي مدارس أولية أخرى للبنات في المنطقة في تلك الحقبة، على أن اللافت للنظر هو أن تلك الحقبة شهدت ولأول مرة إنشاء عدد من المدارس الصغرى للبنات بالمنطقة عن طريق مجلس ريفي شندي الذي قام بإنشاء ثلاثة مدارس صغرى للبنات، في كل من قرية حجر العسل في عام ١٩٥٧م، و قرية التراجمة شمال شندي في عام ١٩٥٨م، و قرية الفجيجة والدويمات في عام ١٩٦٢م ، ليرتفع بذلك عدد لمدارس البنات الأولية والصغرى بمنطقة شندي في عام ١٩٦٢م إلى إحدى عشر مدرسة بيانها كالتالي .

جدول رقم (٦)

مدارس البنات الأولية والصغرى بمنطقة شندي حتى عام ١٩٦٢م.

م	اسم المدرسة	النوع	تاريخ التأسيس	ملاحظات
١	شندي الشمالية بنات	أولية	١٩٣٠	أعيد فتحها في علم ١٩٥٢م في مبانيها الحالية
٢	شندي الجنوبية بنات	أولية	١٩٤٩م	
٣	كوشية الأولية بنات	أولية	١٩٤٤م	
٤	قندتو الأولية بنات	أولية	١٩٥٥م	
٥	القيادة الشمالية	أولية	١٩٥٨م	مشتركة
٦	أم علي	أولية	١٩٥٥م	بدأت بالبنيين ثم تحولت إلى مشتركة
٧	معهد التربية	أولية	١٩٥٥م	مشتركة
٨	وادي العبيد الأولية بنات	أولية	١٩٦١م	
٩	حجر العسل الأولية بنات	أولية	١٩٥٧م	رفعت لأولية كاملة في ١٩٦٣م
١٠	الترجمة بنات	أولية	١٩٥٨م	رفعت لأولية كاملة في ١٩٦٣م
١١	الفججة والويملت بنات	أولية	١٩٦٢م	رفعت لأولية كاملة في ١٩٦٩م
١٢	الحفيان	أولية	١٩٥٩م	رفعت لأولية كاملة في ١٩٦٩م

المصدر: * تربية وتعليم ١٢/٣/٧ ، ص ٧ * محمد الحسن الحفيان * سجلات مكتب التعليم بشندي

إذا نظرنا إلى عدد مدارس البنات والبنين الأولية والصغرى في منطقة شندي حتى العام ١٩٦٢م، سنجد أن مدارس البنين الأولية والصغرى للبنين قد ارتفع من اثنا عشر مدرسة في عام ١٩٥٥م، إلى خمسة عشر مدرسة في عام ١٩٦٢م، بزيادة ثلاث مدارس بنسبة زيادة قدرها ٢٥%، وهي أقل من نسبة الزيادة في مدارس البنات والتي بلغت في نفس الفترة ٥٥,٥% بزيادة ست مدارس أولية وصغرى، ليصل مجموع مدارس البنات إلى اثنا عشر مدرسة في العام ١٩٦٢.

في عام ١٩٦٢م ارتفع عدد المدارس الأولية والصغرى للبنين والبنات في منطقة شندي من سبعة عشر مدرسة في عام ١٩٥٥م إلى سبعة وعشرون مدرسة

بزيادة قدرها عشر مدارس، وفي هذا الجانب فقد كان لمجلس ريفي شندي القرح المَعلى في هذه الزيادة التي بلغت نسبتها ٦٢%، وقد بلغت نسبة مدارس البنين الأولية والصغرى في منطقة شندي ٥٥,٥% من جملة المدارس بمنطقة شندي، منها تسع مدارس أولية مكتملة تمثل نسبة ٧,١٤% من جملة المدارس الأولية المكتملة للبنين بالمديرية الشمالية! أما مدارس البنات الأولية والصغرى في منطقة شندي فقد كانت تشكّل نسبة ٤٤,٥% من جملة المدارس الأولية والصغرى بالمنطقة حتى العام ١٩٦٢م، منها سبع مدارس أولية للبنات تمثل نسبة ١٢,٩% من جملة مدارس البنات الأولية بالمديرية الشمالية في العام ١٩٦٢م .

٢ - ٢ - ٤ التعليم الأولي في منطقة شندي ١٩٦٢ - ١٩٦٤م:

في نوفمبر ١٩٦٢م تمّ تعيين اللواء محمد طلعت فريد وزيراً للمعارف خلفاً للسيد زيادة عثمان أرباب الذي انتقل إلى وزارة الأشغال ، وقد تميّزت فترة اللواء محمد طلعت فريد بالمشروعات الطموحة للتوسع في التعليم في مراحلته المختلفة والتي كانت تُعدُّ الأكبر في تاريخ التعليم حتى ذلك الوقت ، و ذات صلات وثيقة بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي وضعتها الحكومة في عام ١٩٦٢م.

كذلك تميّزت هذه الفترة بالنسبة للتعليم في منطقة شندي بأنها الفترة التي ازدهر فيها تعليم العرب الرحل بالمنطقة، حيث تم إنشاء ثلاثة مدارس أولية دفعة واحدة في عام ١٩٦٣م للعرب الرحل بمنطقة شندي، فيما لم يتم إنشاء أي مدرسة أولية جديدة للبنين في المناطق الحضرية بمنطقة شندي، مما يشير إلى أن الوزارة في عهد اللواء محمد طلعت فريد قد شرعت في ملء الفراغ في مجال التعليم في مناطق العرب الرحل، ونشر العدالة الاجتماعية بين سُكان المنطقة خاصة في مجال التعليم .

١ - تقارير مصلحة ٣٤/٣/٦ ، ص ١٨ .

٢ - نفس المصدر، ص ١٩ .

٣ - ناصر السيد، مرجع سابق، ص ٢٣ .

٤ - نفس المرجع، ص ٢٣١ .

٤ - ٢ - ٢ - ١ تعليم العرب الرُّحَل بمنطقة شندي:

بعيداً عن الضفة الشرقية لنهر النيل وفي المناطق شبه الصحراوية الواقعة إلى الشرق والمتاخمة لمنطقة البطانة بمنطقة شندي، توجد مجموعات من العبادة والحسانية والعبدوتاب والسوراب والكفنجة والفادنية والعالياي والنافعاب، يُشكّل مجموعهم جماعات العرب الرُّحَل بالمنطقة الذين يمتنون الزراعة المطرية وتربية الحيوانات، في السهول الواقعة شرق منطقة شندي على امتداد المنطقة من كبوشية شمالاً وحتى حجر العسل جنوباً، وقد أقامت هذه المجموعات خاصة الرعوية منها بعض التجمعات السكانية الموسمية في كل من النقعة والبان جديد والعبدوتاب وتميد حاج الطاهر وتميد النافعاب، تستقر فيها بعض المجموعات بصورة دائمة وترتادها مجموعات أكبر لفترات طويلة من السنة، وعلى هذا فإن تلك المناطق لا تخلو أبداً من السكان طوال العام .

بحكم مسؤولياته عن التعليم والصحة في منطقة ريفي شندي، وبحكم ما كانت تقدمه مناطق تجمعات العرب الرحل خاصة مناطق تميد النافعاب وتميد حاج الطاهر من عائدات مالية لمجلس ريفي شندي عبر ضريبة القطعان، التي كانت تمثل البند الثاني من إيرادات المجلس السنوية، أظهر مجلس ريفي شندي اهتماماً كبيراً بهذه التجمعات السكانية للعرب الرحل وسعى إلى تقديم بعض الخدمات الضرورية لها في مجالات الصحة والبيطرة والتعليم ، فأنشأ في عام ١٩٤٩م بقرية تميد النافعاب مدرسة أولية صغرى للبنين بدائية، ثم أنشأ مدرسة أخرى في عام ١٩٥١م في قرية تميد حاج الطاهر شبيهة بالمدرسة الأولى وذلك من جملة أربع مدارس صغرى بمناطق العرب الرحل بريف شندي تولى المجلس الإشراف والإنفاق عليها .

٣

أما مناطق تجمعات العرب الرُّحَل الأخرى في مناطق بئر العبدوتاب والنقعة وألبان جديد، حيث كانت توجد جماعات الحسانية والعبدوتاب والكفنجة

١ - متنوعات ١/٨/١٢١، ص ٦.

٢ - نفس المصدر، ص ٢٦.

٣ - نفس المصدر، ص ٢٦.

والسواراب فقد ظلَّت هذه المناطق خاليه من المؤسسات التعليمية حتى العام ١٩٦٣م، ويبدو أن ساكني هذه المناطق لم يكن لهم أدنى اهتمام بتعليم أبنائهم الذين كانوا يعتمدون عليهم في رعي الماشية التي عملوا في تربيتها أكثر من عملهم بالزراعة المطرية، ولعل هنالك سبب آخر قلَّ من حماس أولئك القوم في المطالبة بمدارس أولية لأبنائهم، وهو قرب هذه التجمعات السكانية الشديد من مدينة شندي حيث كان بإمكان الراغبين منهم في تعليم أبنائهم أن يلحقوهم بمدارس مدينة شندي، أو مدرسة بانقا التي أسست في عام ١٩٥٦م .

في عام ١٩٦٣م في عهد اللواء محمد طلعت فريد شهد تعليم العرب الرحل بمنطقة شندي تطوراً لافتاً وذلك عندما قامت وزارة المعارف ولأول مرة بالنظر إلى قضية تعليم العرب الرحل بمنطقة شندي ومحاولة معالجتها، وذلك عن طريق إنشاء ثلاث مدارس أولية مكتملة بداخلياتها في مناطق تجمعات العرب الرحل في العبدوتاب والنقعة وألبان جديد في العام ١٩٦٣م ، وتمثل هذه المدارس نسبة ٦٢% من جملة مدارس البنين الأولية المصدقة للعام ١٩٦٣م بالمديرية الشمالية بأكملها مما يشير إلى مدى الاهتمام الذي أولته الحكومة في ذلك الوقت لتعليم العرب الرحل، والتوسع في التعليم الأولي في المناطق التي حُرمت من ذلك النوع من التعليم. وبإنشاء هذه المدارس الثلاثة ورفع مدرستي التميد إلى مدارس أولية مكتملة مع عدد من المدارس الصغرى بمنطقة شندي في نفس العام، فقد ارتفع عدد مدارس البنين الأولية بمنطقة شندي إلى سبعة عشر مدرسة، أربع مدارس منها في مناطق العرب الرحل تعادل نسبتها ٢٣,٥% من جملة مدارس البنين الأولية بمنطقة شندي، وهي نسبة تبدو غير متوازنة بالنسبة لتعداد سكان المنطقة حيث أنه وفي مقابل كل أربع مدارس بالمناطق الحضرية كانت توجد مدرسة للعرب الرحل، رغم اختلاف الكثافة السكانية ما بين مناطق الحضر والرحل حيث ترتفع الكثافة السكانية في مناطق الحضر ويزيد الإقبال على المدارس فيها، عكس

١ - تربية وتعليم ١٧/٢ب/١٥٦/٣٥ ، بيان توزيع المدارس الوسطى والأولية المصدقة في مشروع التوسع

عام ٦٣-١٩٦٤م للمديرية الشمالية ، ص ٢ .

٢ - تربية وتعليم ١٧/٢ب/١٥٦/٣٥ ، ص ٢ .

مناطق الرحل التي تقل أعدادها كثيراً عن تعداد سكان الحضر بنسبة ٢٠% تقريباً كما أن مدارسها لم تجد الإقبال الكافي من أهلها، مما يومية بأن توزيع خدمات التعليم في هذه المنطقة في تلك الفترة لم يكن عادلاً خاصة بالنسبة للمناطق الحضرية إلي كانت تزدهم مدارسها بالتلاميذ في مقابل مناطق العرب الرحل التي لم تكن مدارسها تعمل بطاقتها الكاملة على الرغم من قلتها .

٤ - ٢ - ٢ مدارس البنين والبنات الأولية بمنطقة شندي في مشروع التوسع للعام ١٩٦٣ - ١٩٦٤م:

عرف العام ١٩٦٣م بأنه عام التوسع التعليمي الكبير في مختلف أرجاء السودان، حيث تم فيه التصديق بإنشاء ثلاثمائة وتسعون وحدة تعليمية جديدة في مختلف المراحل التعليمية ، وقد اشتمل مشروع التوسع التعليمي في العام ١٩٦٣م على محورين اثنين، المحور الأول يتضمن مدارس الإنشاء وهي المدارس الجديدة التي وضعت الخطط لإنشائها وتم اختيار مواقعها بعناية حسب المعايير المتعارف عليها لقيام المدارس في ذلك الوقت، أما المحور الثاني فهو يتضمن مدارس الرفع وهي المدارس الصغرى التي خطط لرفعها إلى مدارس أولية كاملة حسب الأسس المطلوبة للرفع .

بالنسبة لمدارس الإنشاء في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م فقد كان نصيب المديرية الشمالية من هذه الوحدات التعليمية المذكورة بالنسبة للتعليم الأولي اثنان وعشرون مدرسة أولية جديدة، ثمانية منها للبنين وأربعة عشر للبنات ، وتعد هذه المدارس زيادة مقدره للتعليم بالمديرية الشمالية خاصة بالنسبة لتعليم البنات، وقد كان نصيب منطقة شندي من هذه المدارس أربع مدارس أولية ثلاث منها للبنين والرابعة للبنات. والجدول التالي يبين مدارس الإنشاء في منطقة شندي في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م.

جدول رقم (٧)

مدارس الإنشاء في منطقة شندي في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م .

١ - ناصر السيد، مرجع سابق ، ص ٢٣١.

٢ - تربية وتعليم ١٧/٢/ب/١٥٦/٣٥.

م	اسم المدرسة	النوع	تاريخ الإنشاء
١	العبدوتاب الأولية بنين	بنين	١٩٦٣/١٠/١ م
٢	النفعة الأولية بنين	بنين	١٩٦٣/١٠/١ م
٣	البان جديد الأولية بنين	بنين	١٩٦٣/١٠/١ م
٤	المسيكتاب الأولية بنات	بنات	١٩٦٣/١٠/١ م

المصدر: تربية وتعليم ١٥٦/٣٥/ب/١٧/٢

وهذه المدارس الأربع تمثل نسبة ١٨,٢% من جملة المدارس الأولية المصدقة للمديرية الشمالية للبنين والبنات في مشروع التوسع للعام ١٩٦٣م، بينما تمثل مدارس البنين الثلاث نسبة ٣٧,٥٧% من جملة مدارس البنين الأولية المصدقة للمديرية الشمالية في نفس المشروع، أما مدرسة البنات الوحيدة التي صدقت لمنطقة شندي فهي تمثل نسبة ٧,١٤% من جملة مدارس البنات المصدقة للمديرية الشمالية في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م.

إذا ما التفتنا للمحور الثاني في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م وهو محور مدارس الرفع، فقد تم رفع سبع مدارس صغرى بمنطقة شندي إلى مدارس أولية في عام ١٩٦٣م بيانها في الجدول التالي:

جدول رقم (٨)

مدارس الرفع بمنطقة شندي في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م

م	اسم المدرسة	تاريخ الإنشاء	تاريخ الرفع	ملاحظات
١	المسيكتاب الصغرى بنين	١٩٥٦م	١٩٦٣م	تقع شمال مدينة شندي
٢	التراجمة الصغرى بنين	١٩٥٨م	١٩٦٣م	تقع شمال مدينة شندي
٣	ديم القراي الصغرى بنين	١٩٥٤م	١٩٦٣م	تقع شمال مدينة شندي
٤	الفجيجة والدويمات الصغرى بنين	١٩٥٢م	١٩٦٣م	جنوب مدينة شندي
٥	تميد النافعاب الصغرى بنين	١٩٤٩م	١٩٦٣م	شرق منطقة شندي مناطق
٦	تميد حاج الطاهر	١٩٥١م	١٩٦٣م	مناطق العرب الرحل شرق

١ - تربية وتعليم ١٥٦/٣٥/ب/١٧/٢.

جنوب شندي	١٩٦٣م	١٩٥٧م	حجر العسل الصغرى بنات	٧
-----------	-------	-------	-----------------------	---

المصدر: تربية وتعليم ١٢/٣/٧، ص ٧-١١

والملاحظ هنا أن ثلاث من هذه المدارس السبع كانت تقع إلى الشمال من مدينة شندي، واثنان منها تقع إلى الجنوب من مدينة شندي بينما تقع اثنان منها في مناطق العرب الرحل شرق شندي. وقد أدى رفع هذه المدارس الصغرى إلى مدارس أولية إلى ارتفاع عدد المدارس الأولية بنين وبنات بمنطقة شندي في العام ١٩٦٤م إلى واحد وثلاثون مدرسة أولية، منها ثمانية عشر مدرسة أولية للبنين وثلاثة عشر مدرسة أولية للبنات، تمثل مدارس البنين منها نسبة ١٠,٧% من جملة مدارس البنين الأولية بالمديرية الشمالية بينما أصبحت مدارس البنات تمثل نسبة ١٦% من جملة مدارس البنات الأولية بالمديرية الشمالية حتى العام ١٩٦٤م.

كذلك ظهرت في العام ١٩٦٣م ولأول مرة بمنطقة شندي المدرسة الأولية ذات الفصلين وهي تختلف تماماً عن المدرسة النصفية المعروفة في السودان. وقد شيدت بمنطقة شندي مجموعة من هذه المدارس بغرض إجراء تجربة تعليمية جديدة على نفقة المعونة الأمريكية تحت إشراف فني وإداري مباشرة من معهد التربية شندي، وقد كان الهدف من هذه التجربة التعليمية إتاحة الفرصة لأطفال القرى الصغيرة من الجنسين لتلقي التعليم الأولي في بيئتهم الأصلية بدلاً من تجميعهم في المدارس الداخلية التي كانت تكلف مبالغ باهظة، وقد ضمت منطقة شندي من هذه المدارس الست مدرستين في كل من الشقالوة و مدينة شندي بمعهد التربية. غير أن هذه التجربة التعليمية لم تستمر طويلاً في المنطقة بسبب عدم تحمس المسؤولين عن التعليم لها ووفاة الموظف الأمريكي منسق المشروع الذي ماتت فكرة المشروع بموته المفاجئ.

٤ - ٣ التعليم الأولي في منطقة شندي ١٩٦٥ - ١٩٦٩م:

١ - تقارير مصلحة ١٠٥٧/٥٨/٦، ص ٢٣ و ٢٤.

٢ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٤.

يُطلق على الفترة الممتدة من العام ١٩٦٥م وحتى العام ١٩٦٩م في السودان فترة الديمقراطية الثانية والتي آلت فيها مقاليد السلطة في البلاد إلى حكومة مدنية منتخبة من الشعب السوداني، الذي ظل ينعم بالتوسع في الخدمات الصحية والتعليمية في ظل النظام العسكري السابق، وكان يتطلع للمزيد من تلك الخدمات في ظل نظام الحكم الديمقراطي الوليد الذي كان يسعى لملاسة تطلعات جماهير الشعب السوداني في مجال الخدمات عبر ممثلي الشعب ونواب الدوائر الجغرافية، وممثلي المجالس البلدية والريفية خاصة خدمات التعليم التي شكل سعي نواب الدوائر الجغرافية لتوفيرها في دوائرها عبئاً كبيراً وقع على عاتق وزارة التربية والتعليم، كاد أن يخرجها من مسارها ويجعلها نهياً لرغبات نواب الشعب والتنظيمات السياسية من أجل الوفاء بوعود انتخابية سابقة أو طلبات عاجلة، الأمر الذي حتم على الوزارة تركيز جهودها في مناطق الثقل السياسي والجماهيري والدوائر الجغرافية المهمة، فأصبحت بذلك خدمات التعليم تقدم كسلعة انتخابية، دون أدنى اعتبار لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد .

في العام الدراسي ١٩٦٤م-١٩٦٥م والعام الذي يليه تم إنشاء مدرستين للبنات في منطقة شندي، الأولى هي مدرسة شندي الشرقية للبنات والثانية هي مدرسة المسيكتاب القوز الأولية للبنات التي تأسست في العام ١٩٦٥م-١٩٦٦م بقرية المسيكتاب شمال مدينة شندي، وشيدت مبانيها بالاعون الذاتي بعد أن تم الحصول على تصديق إنشائها بإصرار ومثابرة أهالي قرية المسيكتاب القوز نتيجة لرغبتهم الملحة في توفير التعليم لبناتهم بقرية المسيكتاب القوز ذات الطبيعة المحافظة لسكانها. والملاحظ أن هاتين المدرستين قد تم إنشاؤهما في منطقة لا تخلو من مدارس البنات وكان من الممكن أن يتم توجيه هاتين المدرستين إلي مناطق أخرى تخلو من مثل هذا النوع من المدارس لولا اعتبارات السياسة ونظرة المجتمع لتعليم البنات في المنطقة. وبقيام هاتين المدرستين فقد ارتفع عدد مدارس البنات الأولية في منطقة شندي في عام ١٩٦٦م إلى خمسة عشر مدرسة ، كما ارتفع العدد الكلي للمدارس الأولية للبنين والبنات بمنطقة شندي في نفس العام

إلى ثلاثة وثلاثين مدرسة أولية، تشكل منها مدارس البنين نسبة ٥٤,٥% من المجموع الكلي للمدارس الأولية بمنطقة شندي ونسبة ١٠,٥% من المجموع الكلي لمدارس البنين الأولية بالمديرية الشمالية، أما مدارس البنات بمنطقة شندي فقد كانت تشكل في العام ١٩٦٦م نسبة ٤٥,٥% من جملة المدارس الأولية بمنطقة شندي ونسبة ١٨,٧٥% من جملة مدارس البنات الأولية بالمديرية الشمالية .

٤ - ٣ - ١ مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٦ - ١٩٦٧م بمنطقة شندي:

في يناير ١٩٦٧م تم تصديق مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٧/٦٦م تحت اسم م/خ/٢٦ بغرض التوسع في التعليم الأولي بشقيه بنين وبنات لمدارس الرفع ومدارس الإنشاء، وقد تضمن المشروع إنشاء ستين مدرسة أولية منها أربعين مدرسة للبنين وعشرين مدرسة للبنات في جميع أنحاء السودان، كما تضمن المشروع -وهو الثاني بعد مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م- رفع ثمانين مدرسة صغرى إلى مدرسة أولية كاملة منها خمس وخمسين مدرسة للبنين وخمس وعشرين مدرسة للبنات، وقد كان نصيب المديرية الشمالية في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٧/٦٦م سبع من مدارس الإنشاء منها خمس مدارس للبنين واثنين للبنات، وتسعة عشر مدرسة من مدارس الرفع منها اثنا عشر مدرسة للبنين وسبع للبنات. وقد كان نصيب منطقة شندي بأكملها في هذا المشروع مدرسة واحدة من مدارس الإنشاء هي مدرسة شندي الشرقية الأولية بنين التي تأسست في عام ١٩٦٧م، فيما لم تحظ أي مدرسة صغرى بمنطقة شندي بالرفع إلى مدرسة أولية ضمن هذا المشروع، وبهذا فقد ارتفع عدد المدارس الأولية بمنطقة شندي في العام ١٩٦٧م إلى أربعة وثلاثون مدرسة أولية، منها تسعة عشر مدرسة أولية للبنين وخمسة عشر مدرسة أولية للبنات .

١ - تقارير مصلحة ١٠٥٧/٥٨/٦، ص ٢٣

٢ - نفس المصدر، ص ٢٤.

٣ - تربية وتعليم ١٧/٢/ب/١٠١/٢٢.

٤ - نفس المصدر.

٤ - ٣ - ٢ مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٨ م - ١٩٦٩ م:

أضاف هذا المشروع لمنطقة شندي مدرستين للبنات حيث تم إنشاء مدرسة شندي فوق الأولية للبنات في عام ١٩٦٨ م و تم فصل البنات عن البنين بمدرسة أم علي المشتركة بإنشاء مدرسة أم علي الأولية للبنات في العام ١٩٦٨ م ، كما شهدت منطقة شندي في نفس الفترة إنشاء ثلاث مدارس أولية للبنين في كل من مويس والبجراوية والمسيكتاب جنوب في العام ١٩٦٨ م.^٣ والملاحظ هنا أنه ومنذ العام ١٩٦٥ م وحتى العام ١٩٦٨ م تم إنشاء ثمان مدارس أولية بمنطقة شندي أربع منها للبنات وثلاث للبنين ومدرسة واحدة مشتركة هي مدرسة المسيكتاب جنوب الأولية، وقد أدى إنشاء هذه المدارس في العام ١٩٦٨ م إلى انتشار مؤسسات التعليم النظامي الحديث بمنطقة شندي فأصبحت تغطي معظم القرى ومناطق التجمعات السكانية الكبرى، من قرية جبل أم علي شمالاً وحتى المسيكتاب جنوب جنوباً حيث توجد آخر نقطة تجمع سكاني بمنطقة شندي من الناحية الجنوبية. كذلك أدت هذه الزيادة في أعداد المدارس الأولية إلى أن يرتفع عددها في منطقة شندي في عام ١٩٦٨ م إلى تسعة وثلاثون مدرسة منها واحد وعشرون مدرسة للبنين وسبعة عشر مدرسة للبنات ومدرسة واحدة مشتركة .

٤ - ٣ - ٣ إنهاء الازدواجية في التعليم الأولي بمنطقة شندي:

المقصود بإنهاء الازدواجية هنا هو التخلص من ازدواجية التعليم الأولي المتمثلة في وجود المدارس الأولية والمدارس الصغرى معاً في المرحلة الأولى من السلم التعليمي في البلاد، وذلك عن طريق رفع المدارس الصغرى إلى مدارس أولية مكتملة متى ما توفرت فيها معايير الرفع أو تجفيفها إذا لم تتوفر فيها تلك المعايير. وقد كان يشترط دائماً في المدارس التي يراد رفعها أن تتوافر فيها أثاثات وأدوات مكتملة وأن لا يزيد رفعها من

١ - تربية وتعليم ١/٢٠/١٧٢٢.

٢ - محمد الحسن أحمد الحفيان ، مرجع سابق ، ص ١٥١.

٣ - المديرية الشمالية ٢/٦٠/٦٢٤.

قوة داخليتها أو يحولها الرفع لمدرسة داخلية، وأن يراعى وجود السكن المناسب للمدرسين في المنطقة التي توجد فيها المدرسة . وبناءً على ما تقدم^١ فقد تم في العام ١٩٦٩م رفع مائة وواحد وعشرون مدرسة صغرى للبنين ومائة وتسعة وثلاثون مدرسة صغرى للبنات في جميع أنحاء السودان، كان نصيب المديرية الشمالية منها عشرين مدرسة صغرى للبنين وعشرين مدرسة صغرى للبنات ، كان نصيب منطقة شندي منها مدرسة صغرى واحدة للبنين وهي مدرسة الحفيان الصغرى ومدرستين للبنات هما مدرسة الفجيجة والدويمات الصغرى ومدرسة التراجمة الصغرى للبنات . وبرفع هذه المدارس الثلاث فقد تم التخلص نهائياً من المدارس الصغرى بمنطقة شندي وإنهاء الازدواجية في التعليم الأولي فيها، فارتفع بذلك عدد المدارس الأولية بمنطقة شندي في العام ١٩٦٩م إلى اثنين وأربعين مدرسة أولية منها اثنان وعشرين مدرسة أولية للبنين وتسعة عشر مدرسة أولية للبنات ومدرسة واحدة مشتركة. وهذه المدارس في مجموعها أصبحت تمثل في نفس العام نسبة ١٢,٢٨% من جملة المدارس الأولية بالمديرية الشمالية، كما أصبحت مدارس البنين في منطقة شندي تمثل نسبة ٥٣% من جملة المدارس الأولية بمنطقة شندي ونسبة ٩,٦% من جملة مدارس البنين الأولية بالمديرية الشمالية .

أما مدارس البنات بمدينة شندي فقد أصبحت تمثل في نفس الفترة نسبة ٤٧% من جملة المدارس الأولية بمنطقة شندي ونسبة ١٨,٢% من جملة مدارس البنات الأولية بالمديرية الشمالية . والملاحظ هنا أن نسبة مدارس البنات الأولية في منطقة شندي بالنسبة لمدارس البنات بالمديرية الشمالية

١ - تربية وتعليم ١٧/٢/ب/١٠١/٢٢.

٢ - تربية وتعليم ١٧٢/٢٠/١ ، ص ٦.

٣ - تربية وتعليم ١٧٢/٢٠/١ ، ص ٩.

٤ - نفس المصدر ، ص ١١.

٥ - تقارير مصلحة ٢٠١/١٨/٦ ، ص ٢٣.

٦ - نفس المصدر، ص ٢٤.

كانت أقل بكثير عن نسبة مدارس البنين مما يشير إلى أن مدارس البنين كانت أكبر بكثير من مدارس البنات، حيث بلغ تعداد مدارس البنين الأولية بالمديرية الشمالية في العام ١٩٦٩م مائتان وثمانية وثلاثين مدرسة في مقابل مائة وأربعة مدرسة للبنات بالمديرية الشمالية .^١

٤ - ٤ التعليم الأوسط في منطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م:

المرحلة الوسطى هي المرحلة التي تلي مرحلة التعليم الأولي وقد سميت بالوسطى لأنها تتوسط التعليم الأولي والثانوي حسب السلم التعليمي الذي كان سائداً في ذلك الوقت، وقد ظلت هذه المرحلة محتفظة بهذا الاسم منذ قيامها وحتى مطلع السبعينات من القرن الماضي، عندما تم تغييره إلى الثانوي العام عقب تغيير السلم التعليمي من ٤+٤+٤ إلى ٦+٣+٣، وبهذا فإن المرحلة الوسطى أو الثانوية العامة كانت تعتبر المعبر للدخول للمرحلة الثانوية، التي كانت تستوعب خيرة الطلاب والطالبات الناجحين والناجحات في امتحانات الدخول للمدارس الثانوية، وقد كان هذا إحدى الهدفين اللذين كان التعليم في المرحلة الوسطى يسعى إلى تحقيقها في ذلك الوقت، وهو تغذية المدارس الثانوية بالمتفوقين من طلاب المدارس الوسطى، والهدف الثاني هو تثقيف الناشئة وتزويدهم بقدر معقول من العلوم المختلفة التي تساعدهم على شق طريقهم في الحياة، وذلك لأن الغالبية من تلاميذ المرحلة الوسطى أو الثانوية العامة في ذلك الوقت لم تكن تجد طريقها إلى المدارس الثانوية بسبب قلتها .

لم يكن التعليم الأوسط في ظل الحكم الثنائي للسودان مطلباً ميسوراً يمكن تحقيقه بالسهولة التي كان يتم بها على أيام الحكم الوطني، خاصة حقبة الحكم العسكري الثاني للبلاد ، والمدارس الوسطى التي أنشأتها مصلحة المعارف في السودان إبان الحكم الثنائي - وهي قليلة العدد - كانت قد أنشئت بغرض تحقيق أهداف محددة لا تخرج كثيراً عن دائرة تلبية الاحتياجات الاقتصادية للبلاد وفق خطط دقيقة ومدروسة روعي فيها قدرات البلاد المالية والمقدرات الفنية لمصلحة المعارف، والتي تشمل العنصر المؤهل الذي يقوم

١ - نفس المصدر، ص ٢٣ و ٢٤ .

بالتدريس فيها، إضافة إلى وجود العدد الكافي من المدارس الأولية التي يمكن أن تغذي المدارس الوسطى سنوياً بالتلاميذ .

على الرغم من الصعوبات المالية والفنية التي حدت من الانتشار السريع للمدارس الوسطى في البلاد إلا أن منطقة شندي قد حظيت بمدرسة وسطى للبنين في العام ١٩٤٤م، هي مدرسة شندي الريفية الوسطى التي تعتبر المدرسة الوسطى الأولى على مستوى منطقة شندي، والثالثة على مستوى المديرية الشمالية بعد مدرستي وادي حلفا وبربر. وعلى هذا فإن منطقة شندي تعتبر من المناطق التي حظيت ومنذ وقت مبكر بمدرسة وسطى للبنين ليس على مستوى المديرية الشمالية فحسب بل على مستوى السودان بأكمله. ومقارنة بمناطق أخرى من السودان فقد كانت مدينة شندي واحدة من ضمن ثمانية مدن سودانية بالإضافة للعاصمة الخرطوم هي، مدني ، حلفا ، بربر ، شندي ، كسلا ، الدويم ، الأبيض والدنج ، احتضنت أحد عشر مدرسة وسطى هو العدد الكلي للمدارس الوسطى بالسودان حتى العام ١٩٤٦م . والملاحظ هنا أن المديرية الشمالية وحدها كانت قد حظيت بثلاث مدارس وسطى للبنين في تلك الفترة وهو عدد أكبر بثلاثة أضعاف مما حظيت به أي مديرية أخرى ، وقد تم توزيع هذه المدارس الثلاث بالمديرية الشمالية بصورة دقيقة غطت معظم أرجاء المديرية حيث تم وضع مدرسة حلفا في المنطقة الشمالية من المديرية الشمالية، ومدرسة بربر في المنطقة الوسطى، ومدرسة شندي في المنطقة الجنوبية من المديرية الشمالية وذلك على مستوى مدارس البنين فقط، أما مدارس البنات الوسطى فلم يتم إنشاء أي مدرسة وسطى للبنات بالمديرية الشمالية حتى عام ١٩٥٣م عندما تم إنشاء مدرسة عطبرة الأميرية الوسطى للبنات كأول مدرسة وسطى حكومية للبنات بالمديرية الشمالية في ذلك العام .

٢

في عام ١٩٤٦م تبنى مواطنو مدينة شندي وأعيان القرى المحيطة بها فكرة إنشاء مدرسة أهلية وسطى للبنين بمدينة شندي بغرض إتاحة الفرصة لأكبر

١ - وفد السودان، مآسي الإنجليز في السودان ١٩٤٦م، القاهرة، ص ٣٧.

٢ - التعليم في المديرية الشمالية ، مصدر سابق ، ص ٤٦.

عدد من أبناء المنطقة للالتحاق بالمدارس الوسطى ، ولقد ترتب على قيام تلك المدرسة بمدينة شندي في عام ١٩٤٧ أن أصبحت شندي المدينة الوحيدة بمنطقة شندي والمنطقة الجنوبية من المديرية الشمالية التي قامت فيها مدرستين وسطتين للبنين، شأنها في ذلك شأن مدينتي عطبرة وبربر بالمنطقة الوسطى من المديرية الشمالية والتي احتضنت كل منها مدرسة وسطى حكومية ومدرسة وسطى أهلية للبنين ، وهو أمر كان نادر الحدوث في مناطق أخرى من السودان في ذلك الوقت

في عام ١٩٥١م وبمدينة شندي أيضاً تأسس معهد شندي الديني في مقره الأول بمسجد شندي العتيق ثم انتقل في عام ١٩٥٤م إلى مقره بمدرسة النهر الصغرى كمعهد أوسط وثالث مؤسسة تعليمية وسطى بالمدينة على مستوى المنطقة الجنوبية من المديرية الشمالية، في إشارة واضحة على هيمنة مدينة شندي الكاملة على التعليم الأوسط بمنطقة شندي، والتي لم تتحرر منها المنطقة إلا في العام ١٩٦٣م عندما فتحت مدرسة وسطى رابعة للبنين بمنطقة شندي في قرية ود بانقا ضمن مدارس الإنشاء في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م، وذلك بعد تسعة عشر عاماً من قيام أول مدرسة وسطى بالمنطقة في مدينة شندي. ومن المفارقات العجيبة في هذا الجانب أن قيام هذه المدرسة التي شكل بداية النهاية لهيمنة مدينة شندي على مؤسسات التعليم الأوسط بالمنطقة كان أيضاً في مباني مؤقتة بمدينة شندي نفسها .

٢

أما بالنسبة لتعليم البنات الأوسط بمنطقة شندي حتى العام ١٩٥٥م فإن المنطقة ولاعتبارات تتعلق بنظرة مصلحة المعارف لتعليم البنات و بالبيئة المحلية ونظرة المجتمع المحلي لتعليم البنات في تلك المرحلة التي تكون فيها الفتاة قد بلغت سن الزواج عند معظم المجتمعات المحلية في المنطقة. لم تشهد المنطقة قيام أي مدرسة وسطى للبنات ويكاد هذا الأمر ينطبق على جميع أجزاء المديرية

١ - نفس المصدر، ص ١٠١.

٢ - تربية وتعليم ١٧/٢/ب/١٥٦/٣٥، منشور وزارة التربية والتعليم ببيان المدارس الوسطى المصدقة ضمن مشروع التوسع للعام ٦٣-١٩٦٤م بالمديرية الشمالية .

الشمالية حتى العام ١٩٥٣م، وذلك عندما تم إنشاء مدرسة عطبرة الأميرية الوسطى للبنات في ذلك العام ، وعلى هذا فإنه وحتى العام ١٩٥٥م فإن منطقة شندي تكون قد نالت فقط مدرسة وسطى حكومية واحدة للبنين من جملة سبع مدارس وسطى حكومية بالمديرية الشمالية ، إضافة إلى مدرسة أهلية وسطى ومعهد ديني أوسط وجميع هذه المؤسسات التعليمية كانت تتمركز بمدينة شندي. وفي المقابل لم تشهد منطقة شندي وحتى العام ١٩٥٨م قيام أي مدرسة وسطى للبنات حكومية أو أهلية .

٤ - ٥ التعليم الأوسط في منطقة شندي ١٩٥٦ - ١٩٦٢م:

على الرغم من أن المديرية الشمالية قد شهدت في الفترة الممتدة بين العامين ١٩٥٦م-١٩٦٢م إنشاء ستة عشر مدرسة وسطى للبنين وخمس مدارس وسطى للبنات ارتفعت بعدد مدارس البنين الوسطى بالمديرية إلى ثلاثة وعشرون مدرسة^٢ ومدارس البنات الوسطى إلى ستة مدارس ، إلا أن منطقة شندي لم تحظ خلال تلك الفترة سوى بمدرسة وسطى واحدة فقط للبنات هي مدرسة شندي الأميرية الوسطى للبنات التي تأسست في مباني مؤقتة و نهر واحد في أكتوبر ١٩٥٨م بعد مجهود مقدر ومطالبات ملحة من قبل مواطني مدينة شندي، خاصة السيدة فاطمة محمد علي رئيس فرع الاتحاد النسائي السوداني بشندي . وقد كان الهدف من قيام تلك المدرسة التي كانت تعد الأولى بالمنطقة بمدينة شندي هو توفير التعليم الأوسط لطالبات المنطقة في بيئتهن الطبيعية عوضا عن التحاق أبناء وبنات المنطقة بالمدارس الوسطى في الخرطوم، أو بربر وهو أمر لم يكن يجد القبول لدى كثير من الأسر خاصة بالنسبة لتعليم البنات.

١ - التعليم في المديرية الشمالية ، مصدر سابق ، ص ٤٥.

٢ - نفس المصدر، ص ٤٥.

٣ - تقارير مصلحيه ١٢٩٩/٧٦/٦ ، ص ٢٩.

٤ - جريدة الانتباهه، العدد رقم ١٤٩٨ ، الجمعة ٢٩/١٠/٢٠١٠م.

في العام ١٩٦٠م وبعد الشروع في تشييد مباني مدرسة شندي الأميرية الوسطى للبنات التي تم تصديقها في العام ١٩٥٩م تحت مشروع معارف/٥ باعتماد مالي قدره ثلاثين ألف وسبعمائة وخمسين جنيهاً، أصبحت مدينة شندي التي كانت تهيمن هيمنة تامة على التعليم الأوسط في المنطقة تحتضن أربعة من مؤسسات التعليم الأوسط بمنطقة شندي، حيث كانت بها مدرسة وسطى حكومية واحدة للبنين هي مدرسة شندي الريفية من جملة ثلاثة وعشرون مدرسة وسطى للبنين بالمديرية الشمالية تمثل نسبة ٤,٣% من جملة مدارس البنين الوسطى بالمديرية الشمالية، ومدرسة بنات حكومية وسطى واحدة من جملة ست مدارس حكومية وسطى بالمديرية الشمالية هي مدرسة شندي الأميرية الوسطى للبنات بنسبة ١٦,٦% من جملة مدارس البنات الوسطى بالمديرية الشمالية. هذا بالإضافة إلى مدرسة أهلية وسطى للبنين ومعهد ديني أوسط. وعلى هذا يمكننا القول بأن مدينة شندي قد حازت على نسبة ٦,٩% من جملة المدارس الوسطى الحكومية للبنين والبنات بالمديرية الشمالية وهي نسبة لا بأس بها مقارنة بمدن أخرى بالمديرية، ولكنها على مستوى منطقة شندي التي تمتد من أم علي شمالاً إلى حجر العسل جنوباً تبدو نسبة ضئيلة نوعاً ما .

٤ - ٤ - ٢ التعليم الأوسط في منطقة شندي ١٩٦٣ - ١٩٦٤م:

تميزت الفترة الممتدة من العام ١٩٦٣م وحتى العام ١٩٦٤م عن الفترة التي سبقتها في مجال التعليم في السودان، بأنها شهدت تنفيذ أضخم مشروع للتوسع في مجال التعليم شهدته البلاد منذ إنشاء مصلحة المعارف وحتى العام ١٩٦٩م، وقد تم بموجب هذا المشروع إنشاء أكثر من ثلاثمائة وخمسون وحدة تعليمية في مختلف المراحل الدراسية . وقد كانت الزيادة التي حظيت بها منطقة شندي في أعداد المدارس الوسطى في هذه الفترة تماثل تماماً عدد المؤسسات التعليمية الحكومية الوسطى التي كانت موجودة بالمنطقة قبل تنفيذ هذا المشروع ، بمعنى أن مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م-١٩٦٤م تسبب في حدوث زيادة في مؤسسات التعليم الأوسط بمنطقة شندي بنسبة ١٠٠% وذلك عبر إنشاء مدرستين

حكومتين في المرحلة الوسطى إحداهما للبنين والأخرى للبنات . ليرتفع بذلك عدد المدارس الحكومية الوسطى للبنين والبنات بمنطقة شندي من مدرستين في العام ١٩٥٩م إلى أربع مدارس في العام ١٩٦٣م .

٤ - ٤ - ٣ مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣ - ١٩٦٤م:

في عام ١٩٦٣م وضمن مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٣م تمّ التصديق بإنشاء ثلاثة عشر مدرسة وسطى بالمديرية الشمالية ثماني مدارس منها للبنين وخمس للبنات ، وكان نصيب منطقة شندي منها مدرسة وسطى للبنين بقرية ود بانقا جنوب شندي في أكتوبر ١٩٦٣م ، وهي أول مدرسة وسطى للبنين خارج مدينة شندي منذ بداية التعليم الأوسط بالمنطقة، وقد وضعت المدرسة مؤقتاً بمدينة شندي في مباني مدرسة الاستقلال الأولية بشندي ثم نُقلت فيما بعد إلى ود بانقا في مباني مدرسة ود بانقا الأولية التي تمّ تشييد مباني بديلة لها، وبقيام هذه المدرسة ارتفع عدد مدارس البنين الوسطى الحكومية بمنطقة شندي إلى مدرستين هما مدرسة شندي الريفية الوسطى ومدرسة بانقا الأميرية الوسطى، وذلك من جملة اثنتين وثلاثين مدرسة وسطى للبنين بالمديرية الشمالية تمثل نسبة ٦,٢٥% من جملة مدارس البنين الحكومية الوسطى بالمديرية الشمالية .^٤

المدرسة الثانية التي تم التصديق بها لمنطقة شندي هي مدرسة كبوشية الوسطى للبنات و التي تُعدُّ أول مدرسة للبنات بمنطقة شندي يتم إنشاؤها خارج مدينة شندي و الثانية للبنات بمنطقة شندي، وقد فتحت مدرسة كبوشية الأميرية الوسطى للبنات في ١٩٦٣/٩/٢١م في مباني مؤقتة بداخلية مدرسة البنات الأولية بالمحمية . وبقيام هذه المدرسة ارتفع عدد مدارس البنات الوسطى بمنطقة شندي إلى مدرستين من جملة أحد عشر مدرسة أميرية وسطى للبنات بالمديرية

-
- ١ - تربية وتعليم ١٧/٢/ب/١٥٦/٣٥، بيان توزيع المدارس المصدقة في مشروع التوسع للعام ١٩٦٣م بالمديرية الشمالية ، ص ١ .
 - ٢ - نفس المصدر، ص ١ .
 - ٣ - نفس المصدر ، ص ١ .
 - ٤ - تقارير مصلحة ١٤٠٣/٨٥/٦ ، ص ٢٨ .
 - ٥ - تربية وتعليم ١٧/٢/ب/١٥٦/٣٥ ، بيان توزيع المدارس الوسطى ، ص ١ .

الشمالية ، وتمثل مدارس شندي الوسطى الأربع مجتمعة بنين وبنات نسبة ٩,٣% من جملة مدارس البنين والبنات الأميرية بالمديرية الشمالية حتى العام ١٩٦٣ م .

٤ — ٤ — ٤ التعليم الأوسط في منطقة شندي ١٩٦٥ — ١٩٦٩ م:

شهدت هذه الفترة في السودان قيام مشروعين للتوسع التعليمي في البلاد هما مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٦ م - ١٩٦٧ م، ومشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٨ م - ١٩٦٩ م، وكما هو معلوم فإن مشروعات التوسع التعليمي كانت خلاصة لدراسات تقوم بها مكاتب التعليم بالمديريات المختلفة تُوضع في شكل توصيات أو مقترحات يتم وضع الخطط وتوفير الاعتمادات المالية اللازمة لها حتى تتحوّل إلى وحدات تعليمية يتم إنشاؤها في المناطق المُخصصة لها حسب المقترحات المقدمة من مكاتب التعليم. ولم يكن هذا الترتيب والتخطيط المحكم يمنع قيام مدارس أو وحدات تعليمية خارج أطر تلك المشروعات، ففي بعض الأحيان كان وزير التربية والتعليم يقوم بمنح التصديقات اللازمة لقيام وحدات تعليمية خارج أطر مشروعات التوسع التعليمي، وهذه الوحدات تكون في أغلب الأحوال مدارس شعبية أو مدارس أهلية معانة . وفي هذا الجانب فقد شهدت منطقة شندي قيام أربع مدارس وسطى من هذا النوع خلال تلك الفترة التي نشطت فيها التنظيمات السياسية ونواب الدوائر الجغرافية وأعيان المدن والقرى في السعي للحصول على التصديق اللازمة لإنشاء المدارس في مدنهم وقراهم بمراحلها المختلفة.

في الفترة بين العامين ١٩٦٥ م و ١٩٦٧ م قامت بمنطقة شندي ثلاث مدارس وسطى للبنين خارج إطار مشروعات التوسع التعليمي للأعوام ١٩٦٦ م - ١٩٦٧ م و ١٩٦٨ م - ١٩٦٩ م حيث تمّ إنشاء مدرسة عبد الكريم السيد الوسطى بمدينة شندي في عام ١٩٦٧ م، وهي مدرسة حكومية وسطى تكفل بنائها وتأتيها رجل الأعمال عبد الكريم السيد وسلّمها لوزارة التربية والتعليم ، كما قام أهالي

١ - تقارير مصلحة ١٢٠٣/٨٥/٦ ، ص ٢٩ .

٢ - تربية وتعليم ٥/١/١ ، ص ٩٢ .

٣ - تربية وتعليم ١٤١/١٦/١ ، ص ١٨ .

وأعيان قرية قندتو في عام ١٩٦٦م بتشبيد مدرسة قندتو الشعبية الوسطى التي سُلِّمت أيضاً لوزارة التربية والتعليم، وفي عام ١٩٦٧م تمَّ التصديق بقيام مدرسة أهلية وسطى معانة للبنين بقرية حوش بانقا جنوب شندي قامت هي أيضاً بالجهد الشعبي لمواطني القرية وأعيانها ، كما شهدت هذه القرية أيضاً قيام مدرسة أهلية وسطى معانة للبنات في مارس ١٩٦٩م وُضعت مؤقتاً بمباني نادي قرية حوش بانقا وقبلت الدفعة الأولى لهذه المدرسة في أغسطس ١٩٦٩م .

٢

إنشاء ثلاث مدارس وسطى دفعة واحدة وخلال عامين فقط بمنطقة شندي كان حدثاً مهماً تجلّت أهميته في أن تلك المدارس عُدَّت إضافة مُقدّرة للتعليم الأوسط في المنطقة خاصة تعليم البنين، الذي كان قد تلقى دفعة قوية في العام ١٩٦٤م بقيام مدرسة كبوشية الوسطى للبنين التي فُتحت مؤقتاً في مباني مدرسة الدامر الوسطى للبنين واستقبلت الدفعة الأولى لها بمدرسة الدامر الوسطى، ثم رحلت في العام ١٩٦٥م إلى مبانيها الحالية بقرية كبوشية شمال شندي . وعلى هذا يمكننا القول بأن عدد المدارس الوسطى الحكومية والأهلية التي تم إنشاؤها خلال الفترة من العام ١٩٦٤م وحتى العام ١٩٦٨م على مستوى مدارس البنين فقط كانت تساوي عدد المدارس التي أنشئت بمنطقة شندي منذ عام ١٩٤٤م حتى العام ١٩٦٣م، بما في ذلك مدرسة شندي الأهلية الوسطى على مستوى البنين والبنات معاً بنسبة زيادة مئوية قدرها ٨٠%.

٤ - ٤ - ٥ مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٨ - ١٩٦٩م:

ضمن مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٨م - ١٩٦٩م تمَّ التصديق للمديرية الشمالية بثمان مدارس وسطى من جملة عشرين مدرسة تمَّ التصديق بها لجميع أنحاء السودان، وقد كان نصيب منطقة شندي من هذه المدارس الثمان مدرستين للبنات هما مدرسة قندتو الوسطى للبنات ومدرسة حجر العسل الوسطى

١ - تربية وتعليم ٥/١/١ ، ص ٩٢ .

٢ - نفس المصدر، ص ٩٢ .

٣ - مقابلة مع الأستاذ/ أحمد علي المبارك ، بمكتبه بجامعة شندي ٩/١٠/٢٠١٠م.

للبنات في النصف الجنوبي من منطقة شندي، وقد شكّل قيام هاتين المدرستين أهمية خاصة تمثلت في أنه وقبيل قيام هاتين المدرستين لم تشهد المنطقة الجنوبية من منطقة شندي قيام أي مدارس وسطى للبنات حتى العام ١٩٦٨م، مما يعني أن تعليم البنات الأوسط في النصف الجنوبي من منطقة شندي في بيئتهن الطبيعية لم يكن متاحاً حتى ذلك الوقت، وأنهن كن يجدن صعوبة كبيرة في الالتحاق بالمدارس الوسطى خارج مناطقهن. كذلك تجلّت أهمية قيام هاتين المدرستين في أنه وبقيامهما ارتفع عدد مدارس البنات الوسطى بمنطقة شندي إلى أربعة مدارس أميرية ومدرسة أهلية معانة هي مدرسة حوش بانقا الوسطى، وبهذا فقد ارتفعت نسبة مدارس البنات الوسطى بمنطقة شندي إلى ٢٢,٢% من جملة مدارس البنات الأميركية بالمديرية الشمالية في عام ١٩٦٩م .

في مشروع التوسع التعليمي للعام ١٩٦٨م - ١٩٦٩م لاحظنا أن منطقة شندي لم يتم التصديق لها بمدارس وسطى للبنين مثل معظم أنحاء المديرية الشمالية، باستثناء منطقتي الكاب والعالياي اللتين صدق لكل منهما بمدرسة وسطى للبنين في هذا المشروع. ولعل هذا يشير إلى أنّ منطقة شندي خاصة والمديرية الشمالية عامة كانت قد حظيت بمدارس وسطى تناسب ما هو موجود فيها من مدارس أولية بالنسبة لمدارس البنين الوسطى، خاصة منطقة شندي التي كانت توجد فيها ثلاث وعشرين مدرسة أولية للبنين حتى العام ١٩٦٩م، تقابلها سبع مدارس وسطى للبنين ومعهد ديني بنسبة مدرسة وسطى واحدة لكل ثلاث مدارس أولية، مع مراعاة وجود عدد من المدارس الأولية على الضفة الغربية للنيل. أما مدارس البنات الوسطى فقد زادت المدارس التي تمّ التصديق بها لمنطقة شندي عدد مدارس البنات فيها إلى ست مدارس وسطى للبنات، مقابل عشرون مدرسة أولية للبنات بالمنطقة بواقع مدرسة وسطى للبنات مقابل ثلاث مدارس أولية وهي نسبة معقولة نوعاً ما، والملاحظ هنا تساوي نسبة أعداد المدارس

١ - تربية وتعليم ٥/١/١، ص ٦١.

٢ - تقارير مصلحة ٢٠٦/١٨/٦، ص ٢٩.

٣ - تربية وتعليم ٥/١/١، ص ٦١.

الوسطى بالنسبة للبنين والبنات مع المدارس الأولية بالمنطقة بنسبة واحد إلى ثلاث

إلى جانب هيمنة مدينة شندي على التعليم الأولى والأوسط في المنطقة عبر احتضانها لأكثر عدد من الوحدات التعليمية في هاتين المرحلتين، تلاحظ أن مدينة شندي وقرى كبوشية وقندتو قد تميزت عن بعض القرى والمراكز الحضرية في المنطقة، بأن كل منها كانت قد احتضنت مدرسة أولية للبنات وأخرى للبنين على الأقل، بجانب احتضانها أيضاً لمدرسة وسطى للبنين وأخرى للبنات وهذا أمر لم نلاحظه إلا في هذه المراكز الحضرية الثلاث على مستوى هذه المنطقة، وقد كان من المؤمل أن تنضم قرية حوش بانقا إلى هذه المراكز الثلاث لولا أنها لم تحتضن مدرسة بنات أولية حتى عام ١٩٦٩م.

عموماً بنهاية العام ١٩٦٩م كانت توجد بمنطقة شندي ثلاث وعشرين مدرسة أولية للبنات تقابلها ست مدارس وسطى موزعة توزيعاً دقيقاً على أجزاء منطقة شندي الشمالية والوسطى والجنوبية خاصة المناطق الحضرية على شاطئ النيل، أما المناطق الطرفية ومناطق العرب الرحل فلم تشهد قيام مدارس وسطى للبنين أو البنات حتى نهاية العام ١٩٦٩م.

٤ - التعليم الثانوي:

ظهر التعليم الثانوي لأول مرة في السودان في عام ١٩٠٢م في الخرطوم وذلك بعد افتتاح كلية غردون التذكارية التي نقلت مدرستها الثانوية في عام ١٩٤٥م إلى ضاحية وادي سيدنا بأمدردمان لإفساح المجال أمام كلية غردون للترقي إلى كلية جامعية تواكب التطور التعليمي في البلاد، ثم تأسست مدرسة ثانوية أخرى خارج العاصمة بضاحية حنتوب بود مدني في نفس العام الذي نُقلت فيه المدارس الثانوية بكلية غردون إلى وادي سيدنا ، وبذلك أصبح السلم التعليمي في البلاد عقب هذين الحدثين المهمين يتكوّن من مجموعة من الوحدات التعليمية

١ - وفد السودان، مرجع سابق، ص ٣٩-٤٠.

٢ - نفس المرجع، ٣٩-٤٠.

في المرحلتين الأولية والوسطى، ومدرستين للبنين في المرحلة الثانوية هما مدرستي وادي سيدنا بالخرطوم وحتوب بود مدني .

في الفترة من العام ١٩٤٥م وحتى استقلال البلاد كانت المدارس الثانوية قليلة العدد محدودة الانتشار على المستوى الجغرافي للبلاد، وذلك بسبب التكلفة المالية العالية لإنشاء مدرسة ثانوية وعدم توفر العدد الكافي من الأساتذة المؤهلين للعمل فيها، كما أن التعليم الثانوي أيضاً كان مكلفاً بالنسبة للطلاب ولم تكن الدراسة مجانية وكان الطالب يدفع مصروفات سنوية قدرها ثلاثين جنيهاً للطالب الداخلي وعشرين جنيهاً للطالب الخارجي. أما الطالبات فقد كانت تفرض عليهن رسوماً دراسية قدرها خمسة عشر جنيهاً للطالبة الداخلية واثنان عشر جنيهاً للخارجية ، ولذلك فقد كانت المدارس الثانوية تستقطب أعداداً قليلة من خريجي المدارس الوسطى تقودهم إما إلى الجامعة لمواصلة تعليمهم أو إلى دواوين الحكومة للعمل كموظفين في خدمة الحكومة، ومع هذا فقد كان القبول في المدارس الثانوية في كثير من الأحيان ولاعتبارات سياسية يفتح الباب على مصراعيه أمام أبناء العمد ورؤساء القبائل ويعرض عن الطلاب المتفوقين من أبناء العامة الذين لم يكن بمقدورهم دفع المصروفات الدراسية، أما القبول نفسه فقد كان قومياً يتم على مستوى القطر بسبب قلة عدد المدارس في ذلك الوقت حيث لم تكن توجد مدارس ثانوية إلا في مدن أم درمان (وادي سيدنا) ، ود مدني (حتوب)، الأبيض (خور طقت) ، عطبرة ، الفاشر وبورتسودان .

٤ - ٥ - ١ التعليم الثانوي بالمديرية الشمالية:

بدأ التعليم الثانوي في المديرية الشمالية لأول مرة في العام ١٩٥٤ عندما تم إنشاء مدرسة عطبرة الثانوية للبنين كأول مدرسة ثانوية عليا للبنين بالمديرية الشمالية والمدرسة الوحيدة بالمتثيرية حتى العام ١٩٦٠، ثم انضمت إليها مدرسة

١ - تربية وتعليم ٣٤/٦/٩/١ .

٢ - وفد السودان، مرجع سابق، ص ٤٠ .

٣ - تقارير مصلحة ٣٤/٣/٦ ، ص ٣١ .

٤ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٥٢ .

مروي الثانوية للبنين في العام ١٩٦١م كثنائي مدرسة ثانوية للبنين بالمديرية الشمالية .

أما مدارس البنات الثانوية فقد بدأت في الظهور في المديرية الشمالية في العام ١٩٦١م في مدينة بربر التي تعتبر مدرستها الثانوية أول مدرسة ثانوية للبنات بالمديرية الشمالية تلتها مدرسة شندي الثانوية للبنات التي تأسست في عام ١٩٦٢م كثنائي مدرسة ثانوية للبنات بالمديرية الشمالية، وأول مدرسة ثانوية على مستوى البنين والبنات بمنطقة شندي، وبقيام هاتين المدرستين في مدينتي بربر وشندي ارتفع عدد المدارس الثانوية بالمديرية الشمالية إلى أربع مدارس ثانوية في العام ١٩٦٢م و إلى سبع مدارس ثانوية في مطلع العام ١٩٦٩، خمسة منها للبنين واثنان للبنات تمركزت في خمس مدن بالمديرية الشمالية .

٤ - ٥ - ٢ التعليم الثانوي في منطقة شندي:

منذ ظهور التعليم الثانوي بالمديرية الشمالية في العام ١٩٥٤م وحتى العام ١٩٦٢م ظلت منطقة شندي بأكملها والمنطقة الجنوبية للمديرية الشمالية على وجه العموم خارج دائرة المناطق التي شهدت قيام مدارس ثانوية بالمديرية الشمالية. وقد كان الطلاب الناجحين في امتحانات الدخول للمدارس الثانوية من أبناء وبنات منطقة شندي في ذلك الوقت، يلتحقون بالمدارس الثانوية خارج المنطقة في عطبرة، بورتسودان، الخرطوم، أمدرمان، الأبيض والدامر حيث كانت توجد المدارس الثانوية وكليتي المعلمات في ود مدني وأم درمان والدامر. وقد كان التحاق أبناء وبنات المنطقة بهذه المدارس ينطوي على قدر من المشقة للطلاب وأسرهام الأمر الذي حثَّ على أبناء المنطقة السعي لدى المسؤولين في التربية والتعليم من أجل إنشاء مدرسة ثانوية للبنات، نتيجة لتزايد أعداد الطالبات الجالسات لامتحانات الدخول لمدارس البنات الثانوية في المنطقة الجنوبية من المديرية الشمالية، التي كان يوجد بها عدد من المدارس الوسطى للبنات في شندي

١ - نفس المصدر ، ص ٥٢ .

٢ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٥٢ .

٣ - تربية وتعليم ٦٠/١٠/٩ .

والمتمة وكبوشية والدامر حتى العام ١٩٦٣م، مع الأخذ في الاعتبار أن القبول للمدارس الثانوية في تلك الفترة كان قومياً. وبالفعل تحققت طموحات أهالي منطقة شندي وتمّ افتتاح مدرسة شندي الثانوية للبنات في العام ١٩٦٣م بمدينة شندي، بعد تسعة أعوام من تأسيس أول مدرسة ثانوية بالمديرية الشمالية كرابع مدرسة ثانوية بالمديرية الشمالية وثاني مدرسة ثانوية للبنات بعد مدرسة بربر الثانوية للبنات .

إذا أمعنا النظر في حركة انتشار المدارس الثانوية بمنطقة شندي والمناطق التي تمركزت فيها هذه المدارس، سنجد أن معظم القرى ومناطق التجمعات السكانية في المنطقة حتى العام ١٩٦٩م بداية الحكم العسكري الثاني، كانت تخلو تماماً من المدارس الثانوية باستثناء مدينة شندي التي كانت تعتبر المدينة الوحيدة في المنطقة الجنوبية من المديرية الشمالية، والمدينة الوحيدة التي ضمّت بين جنباتها مدرستين ثانويتين هما شندي الثانوية للبنات وشندي الثانوية للبنين. كما أنها كانت واحدة من خمس مدن بالمديرية الشمالية حظيت كل منها بمدرسة ثانوية على الأقل وذلك حتى مطلع العام ١٩٧٠.

في العام ١٩٦٢م ومن جملة أربع مدارس ثانوية بالمديرية الشمالية حظيت منطقة شندي بمدرسة ثانوية واحدة هي مدرسة شندي الثانوية للبنات تمثل نسبة ٢٥% من جملة المدارس الثانوية بالمديرية الشمالية ، مما يشير إلى منطقة شندي قد تحصلت على نسبة لا بأس بها في مجال تعليم البنات الثانوي بالمديرية الشمالية، والذي كانت وحداته التعليمية بالمديرية في ذلك الوقت تساوي عدد وحدات تعليم البنين الثانوي حيث كانت توجد بالمديرية الشمالية مدرستان لكل، على الرغم من أن عدد مدارس البنات الوسطى بالمديرية الشمالية في ذلك الوقت كان تسع مدارس وسطى للبنات بواقع مدرسة ثانوية عليا واحدة لكل ثلاث مدارس وسطى ، بينما كان عدد مدارس البنين الوسطى بالمديرية الشمالية في نفس الوقت حوالي أربعة وعشرون مدرسة وسطى بواقع اثنا عشر مدرسة وسطى مقابل كل

١ - التعليم في المديرية الشمالية ، مصدر سابق ، ص ٥١ .

٢ - تقارير مصلحة ١٢٩٩/٧٦/٦ ، ص ٣٢ .

٣ - نفس المصدر ، ص ٢٩ .

مدرسة ثانوية عليا للبنين بالمديرية في ذلك الوقت ، ولعل ذلك هو السبب الذي دفع الكثيرين من أبناء المنطقة للبحث عن موطئ قدم لهم في مدارس البنين الثانوية خارج منطقة شندي في بورتسودان وادي سيدنا حنتوب وخور طقت، للاستفادة من مميزات القبول القومي ونظام الداخليات بالمدارس الثانوية.

بعد إنشاء مدرستي دنقلا الثانوية وبربر الثانوية تقلّصت نسبة مساهمة منطقة شندي في التعليم الثانوي البالغة ٢٥% من جملة المدارس الثانوية بالمديرية الشمالية إلى ١٦,٦% في العام ١٩٦٣-١٩٦٤م وذلك بعد تنفيذ مشروع التوسع التعليمي الأول الذي أضاف للمديرية الشمالية مدرستين ثانويتين. غير أنه وعلى الرغم من تقلّص نسبة منطقة شندي إلى ١٦,٦% من جملة المدارس الثانوية بالمديرية الشمالية إلا أن منطقة شندي ظلت محافظة على وضعها السابق بالنسبة لمدارس البنات الثانوية بالمديرية الشمالية بنسبة مساهمة قدرها ٥٠%، واستمرت على هذا الحال حتى العام ١٩٦٨م -١٩٦٩م بسبب عدم إنشاء مدرسة بنات ثالثة في المديرية الشمالية بعد مدرستي شندي الثانوية وبربر الثانوية حتى العام ١٩٦٩م .

في العام الدراسي ١٩٦٤م -١٩٦٥م تمّ تأسيس مدرسة شندي الثانوية بنين كخامس مدرسة ثانوية للبنين بالمديرية الشمالية وآخر مدرسة ثانوية يتمّ إنشاؤها بالمديرية الشمالية حتى قيام الحكم العسكري الثاني في البلاد، وبقيام هذه المدرسة ارتفع عدد المدارس الثانوية العليا بالمديرية الشمالية إلى سبع مدارس خمس منها للبنين واثنان للبنات، أربع من هذه المدارس كانت تتمركز في مدينتين فقط هما مدينتي بربر وشندي اللتين حظيت كل منهما بمدرسة ثانوية للبنين وأخرى للبنات، وقد أدّى قيام هذه المدرسة إلى أن ترتفع نسبة مساهمة منطقة شندي في التعليم الثانوي العالي بالمديرية الشمالية مرة أخرى في العام ١٩٦٤م -١٩٦٥م إلى ٢٨% وهي أعلى نسبة مساهمة تحصل

١ - نفس المصدر ، ص ٢٨ .

٢ - تقارير مصلحة ١٠٥٩/٥٨/٦ ، ص ٣٢ .

٣ - تقارير مصلحة ١٠٥٧/٥٨/٦ ، ص ٣٢ .

عليها المنطقة حتى تغيير السلم التعليمي في العام ١٩٧٢م. والجدول أدناه يبين مساهمة كل من مدن عطبرة ومروي وبربر ودنقلا وشندي في التعليم الثانوي بالمديرية الشمالية من العام ١٩٥٤م وحتى العام ١٩٦٨م .

جدول رقم (٩)

نسب تركز المدارس الثانوية بالمديرية الشمالية خلال الفترة من العام

١٩٥٤م وحتى العام ١٩٦٨م

م	المدينة	١٩٥٤	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م	م
١	عطبرة	١٠٠%	١٠٠%	٥٠%	٢٥%	١٦٦٦	١٤٢٢	١٤٢٢	١٤٢٢	١٤٢٢	١٤٢٢
٢	مروي	-	-	٥٠%	٢٥%	١٦٦٦	١٤٢٢	١٤٢٢	١٤٢٢	١٤٢٢	١٤٢٢
٣	بربر	-	-	-	٢٥%	٣٣٣٣	٢٨٥٥	٢٨٥٥	٢٨٥٥	٢٨٥٥	٢٨٥٥
٤	دنقلا	-	-	-	-	١٦٦٦	١٤٢٢	١٤٢٢	١٤٢٢	١٤٢٢	١٤٢٢
٥	شندي	-	-	-	٢٥%	١٦٦٦	٢٨٥٥	٢٨٥٥	٢٨٥٥	٢٨٥٥	٢٨٥٥

المصدر: * التعليم في المديرية الشمالية * الإحصاء التربوي للأعوام ١٩٦٠م-١٩٦٨م.

من خلال الجدول نلاحظ أنه ومنذ العام ١٩٥٤م وحتى العام ١٩٦٠م كان التعليم الثانوي متمركزاً في مدينة عطبرة بنسبة ١٠٠%، وأنه منذ العام ١٩٦٤م لم يتم إنشاء مدرسة ثانوية أخرى بالمديرية الشمالية للبنين أو البنات حتى مطلع العام ١٩٦٩م ولم يتغير هذا الواقع إلا بعد قيام الحكم العسكري الثاني في السودان، وقد ظلت مدينتي بربر وشندي تساهمان بأكبر نسبة من المدارس الثانوية بالمديرية الشمالية منذ العام ١٩٦٤م وحتى العام ١٩٦٩م.

٤ - ٥ - ٣ مدرسة شندي الثانوية بنات:

تأسست مدرسة شندي الثانوية بنات في يوليو ١٩٦٢م وهي أول مدرسة ثانوية بمنطقة شندي، وقد قبلت الدفعة الأولى من طالبات المدرسة التي خطط لها أن تكون من نهرين بمدرستي الخرطوم وأم درمان الثانوية للبنات، وفي يوليو ١٩٦٣م تمّ قبول الدفعة الثانية من طالبات المدرسة التي انتقلت إلى مدينة شندي كمدرسة داخلية في مباني مؤقتة استخدمت كفصول ومكاتب لاستيعاب طالبات السنتين الأولى والثانية اللذين بلغ تعدادهن مائة وثمانية وأربعين طالبة، مائة واثنان عشر طالبة منهن بالداخلية وستة وثلاثين طالبة خارج الداخلية من مدينة شندي أو من القرى المجاورة يقمن مع أقارب لهن بالمدينة .

في العام ١٩٦٣م شرعت وزارة المعارف في تشييد مباني مدرسة شندي الثانوية للبنات في موقعها الحالي، شرق خط السكة حديد إلى الشمال من المنطقة الصناعية، وقد بدأ العمل أولاً في تشييد الفصول والداخليات والشعب ومكاتب الإدارة والأساتذة، و اكتمل تشييد هذا الجزء وهو المبنى الرئيسي للمدرسة في عام ١٩٦٥م ، ويتكون المبنى الرئيسي للمدرسة من ثماني حجرات للدراسة تمّ بناؤها على اعتبار أن المدرسة تتكوّن من نهرين على نظام السلم التعليمي القديم ٤+٤+٤، ومخزين أحدهما لتخزين غذاءات العون الغذائي والآخر للمواد المستهلكة، و مباني الإدارة وحجرة تدبير منزلي وحجرة خياطة وحجرة فنون ومعمل للفيزياء وآخر للكيمياء، بالإضافة إلى منزل لناظر المدرسة و منازل أخرى للمدرسين والموظفين والعمال .

أما داخلات الطالبات فقد تم تشييدها داخل سور المدرسة بالقرب من حجرات الدراسة و على مسافة معقولة منها، وقد تم الفراغ من تشييدها في عام ١٩٦٥م. وقبل اكتمال تشييد الداخلات ولمعالجة مشكلة إسكان الطالبات استخدمت مباني مدرسة شندي الأميرية الوسطى للبنات التي تم تشييدها في العام

١ - التعليم في المديرية الشمالية ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

٢ - تقارير مصلحة ٦/٨٥/١٤٠٣ ، ص ٣٢ .

٣ - التعليم في المديرية الشمالية ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

٤ - تربية وتعليم ٦٠/١٠/٩ .

١٩٦٢م كداخلية لطالبات المدرسة مؤقتاً ، وبعد افتتاح مدرسة البنات الوسطى تم ترحيل طالبات الداخلية إلى منازل مستأجرة داخل مدينة شندي، استخدمت كسكن للطالبات يتم التقيد فيه بالضوابط المعتادة لداخليات الطالبات، وقد ظل الوضع بالنسبة لسكن طالبات المدرسة على هذا الحال حتى يناير ١٩٦٥م عندما أصبحت مباني داخلية الطالبات بمدرسة شندي الثانوية مهياً لاستقبالهن بعد اكتمال تشييد عابرها الخمس التي تسع لعدد مائتي طالبة ومسجد ونادٍ للطالبات .

مدرسة شندي الثانوية للبنات خطط لها أن تكون مدرسة ذات نهريين تقبل سنوياً ما بين خمسة وسبعين إلى ثمانين طالبة ، غير أن المدرسة ولظروف التوسع في العليم الثانوي قبلت في العام ١٩٦٨م ثلاثة فرق بالسنة الأولى عدد طالباتها مائة وخمسة طالبة ، وهو عدد يقل قليلاً عن تعداد جميع طالبات المدرسة عند انتقالها من الخرطوم وأم درمان إلى مدينة شندي و البالغ مائة وثمانية وأربعون طالبة، في العام ١٩٦٨م ارتفع عدد طالبات المدرسة إلى ثلاثمائة وخمسون طالبة .والجدول أدناه يبين أعداد طالبات مدرسة شندي الثانوية بنات وتصنيفهن من ناحية السكن في الفترة من العام ١٩٦٣م وحتى العام ١٩٦٨م .

جدول رقم (١٠)

تعداد وتصنيف طالبات مدرسة شندي الثانوية بنات من ناحية السكن والفرق في الفترة من العام ١٩٦٣م وحتى العام ١٩٦٨م.

م	العام الدراسي	عدد الفرق	داخليات	خارجيات	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	الصف الرابع	المجموع
١	١٩٦٣م	٤	١١٢	٣٦	٧٨	٧٠	-	-	١٤٨
٢	١٩٦٤م	٦	١٧٤	٥٤	٨٠	٧٨	٧٠	-	٢٣٨

١ - تربية وتعليم ١٥٠/١٧/١ .

٢ - تربية وتعليم ٦٠/١٠/٩ .

٣ - تقارير مصلحة ١٤٠٣/٨٥/٦ ، ص ٣٢ .

٤ - تقارير مصلحة ٢٠١/١٨/٦ ، ص ٣٢ .

٢٣٢	-	٧٣	٨٢	٧٧	٣٨	١٩٤	٦	١٩٦٥م	٣
٣١٢	٧٥	٨١	٧٦	٨٠	٥٨	٢٥٤	٨	١٩٦٦م	٤
٣٣٣	٨٧	٨٠	٨٠	٨٦	٦٢	٢٧١	٨	١٩٦٧م	٥
٣٥٠	٩٠	٧٧	٧٨	١٠٥	٥٨	٢٩٢	٩	١٩٦٨م	٦

المصدر: الإحصاء التربوي للأعوام ١٩٦٣م-١٩٦٨م

نلاحظ من الجدول أن مدرسة شندي الثانوية بنات، منذ تأسيسها في العام ١٩٦٢م وحتى العام ١٩٦٨م، كانت قد قبلت خمسمائة وستة وسبعين طالبة، وأن أكبر دفعة تم قبولها من الطالبات بالمدرسة كان في العام ١٩٦٨م حيث تم قبول مائة وخمسة طالبة بالسنة الأولى، وبلغ تعداد الفرق الدراسية بالمدرسة في نفس العام، تسعة فرق. كما نلاحظ أن الطالبات الداخليات بالمدرسة كانت اعدادهن أكبر بكثير من أعداد الطالبات الخارجيات وهذا أمر ربما تكون قد تسببت فيه سياسة القبول القومي للمدارس الثانوية، حيث كانت المدرسة تغذى بالطالبات على مستوى مدارس القطر والمدارس الوسطى القريبة منها، مثل مدرسة شندي الأميرية الوسطى وكبوشية الوسطى، والمتممة الوسطى للبنات.

مدرسة شندي الثانوية بنات كانت تعتبر المدرسة الثانية على مستوى مدارس البنات بالمديرية الشمالية بعد مدرسة بربر الثانوية للبنات، وقد ظلت المدرسة منذ تأسيسها في العام ١٩٦٢م تشكل نسبة ٥٠% من جملة المدارس الثانوية للبنات بالمديرية الشمالية حتى قيام الحكم العسكري الثاني، أما أعداد طالبات المدرسة مقارنة بأعداد طالبات مدرسة بربر الثانوية، فقد كان عدد طالبات المدرسة في عام ١٩٦٣م يمثل نسبة ٣٩,٧% من جملة عدد الطالبات بالمدارس الثانوية للبنات بالمديرية الشمالية ونسبة ٤٩,١% من جملة الطالبات بالمديرية الشمالية في العام ١٩٦٨م، وقد كانت نسبة مساهمة المدرسة في تعليم البنات الثانوي في أغلب الأحوال أقل من نسبة ٥٠%، ما عدا في عامي ١٩٦٦م و١٩٦٧م، حيث بلغت نسبة مساهمة المدرسة في تعليم البنات الثانوي بالمديرية الشمالية نسبة ٥١,٣% و٥٠% على التوالي،

١ - تقارير مصلحة ١٤٠٣/٨٥/٦، ص ٣٢.

٢ - تقارير مصلحة ٢٠١/١٨/٦، ص ٣٢.

والجدول أدناه يبين نسبة مساهمة مدرسة شندي الثانوية للبنات من العام ١٩٦٣م وحتى العام ١٩٦٨م .

جدول رقم (١١)

مقارنة بين أعداد طالبات مدرسة شندي الثانوية وبربر الثانوية بين العامين

١٩٦٣ و١٩٦٨م.

م	العام الدراسي	عدد طالبات مدرسة شندي	عدد طالبات مدرسة بربر	المجموع	نسبة طالبات شندي إلى طالبات بربر
١	١٩٦٣م	١٤٨	٢٢٥	٣٧٣	٣٩,٧%
٢	١٩٦٤م	٩٣٨	٣٠٤	٥٤٢	٤٣,٩%
٣	١٩٦٥م	٢٣٢	٢٧٠	٥٠٢	٤٦,٢%
٤	١٩٦٦م	٣١٢	٢٩٦	٦٠٨	٥١,٣%
٥	١٩٦٧م	٣٣٣	٢٢٦	٦٥٩	٥٠,٥%
٦	١٩٦٨م	٣٥٠	٣٦٢	٧١٢	٤٩,١%

المصدر: الإحصاء التربوي للأعوام ١٩٦٣م-١٩٦٨م

بالنسبة لنشاطات الطالبات بالمدرسة فقد كانت توجد سبع جمعيات مدرسية هي الجمعية الدينية، الجمعية العلمية، الجمعية الأدبية والفنية، جمعية التمثيل والموسيقى، جمعية اللغة الإنجليزية، وجمعية العلوم الاجتماعية وهذه الجمعيات مجتمعة كانت تمثل النشاط الطلابي المصاحب للمنهج بالمدرسة الثانوية العليا للبنات وتعكس مدى تفاعل طالبات المدرسة مع هذه الجمعيات، حيث كان ينضوي تحت لواء هذه الجمعيات عدد كبير من طالبات المدرسة خاصة الطالبات الداخليات اللاتي كن يجدن في هذه الأنشطة متنفساً لهن ومجالاً أرحب لإبراز مواهبهن الفنية والأدبية .

٢

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦١.

٢ - تربية وتعليم ٦٠/١٠/٩.

بالإضافة للطالبات كانت المدرسة تضم مجموعات العاملين من أساتذة وموظفين وعمال، وكانت المدرسة تدار بواسطة ناظر المدرسة الذي كان ينتمي إلى شريحة الأساتذة الذين كانوا يتوزعون على الشعب المختلفة بالمدرسة، مثل شعبة اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، العلوم الاجتماعية، الرياضيات، العلوم، اللغة الفرنسية، الفنون والعلوم الاجتماعية الإضافية. وقد كانت قوة المدرسة من الأساتذة في عام ١٩٦٣ م تتكون من تسعة أساتذة بما فيهم ناظر المدرسة ثم بلغت في العام ١٩٦٨ م سبعة وعشرون أستاذاً بما فيهم ناظر المدرسة . والجدول أدناه يبين أعداد الأساتذة وتصنيفهم ذكور وإناث سودانيين وأجانب بمدرسة شندي الثانوية العليا للبنات في الفترة من العام ١٩٦٣ م وحتى العام ١٩٦٨ م .

جدول رقم (١٢)

الأساتذة بمدرسة شندي الثانوية بنات في الفترة من العام ١٩٦٣ وحتى العام

١٩٦٨ م.

م	السنة	أساتذة ذكور	أساتذة إناث	سودانيون	أجانب	مجموع الأساتذة
١	١٩٦٣ م	٧	٢	٩	-	٩
٢	١٩٦٤ م	٩	٤	١٣	-	١٣
٣	١٩٦٥ م	١٣	٤	١٦	١ (أنثى)	١٧
٤	١٩٦٦ م	١٤	٥	١٨	١ (أنثى)	١٩
٥	١٩٦٧ م	١٤	١٠	٢٣	١ (ذكر)	٢٤
٦	١٩٦٨ م	١٧	١٠	٢٦	١ (أنثى)	٢٧

المصدر: الإحصاء التربوي للأعوام ١٩٦٣ م وحتى ١٩٦٨ م

معظم هؤلاء الأساتذة، كانوا يسكنون في منازل حكومية تابعة للمدرسة عددها اثنا عشر منزلاً بما فيها منزل ناظر المدرسة الذي كان يعد الأكبر بينها وخمسة منازل متوسطة لسكن الأساتذة ومنزلين آخرين للموظفين .

أما مجموعات العمال والموظفين فقد كانت تعتبر الأكبر في المدرسة من حيث العدد خاصة العمال، وقد كان بالمدرسة عدد من الموظفين يشغلون وظيفة محاسب ، كاتب ، أمين مخزن ، فني معمل، بالإضافة لعدد من العمال يشغلون

وظائف سائق ، نجار ، ممرضة ، طباح ، عامل صحة ، خفراء وفراشين، إضافة لعدد من عمال اليومية، وقد كان للموظفين والعمال نصيب من منازل المدرسة الحكومي حيث كان نصيب الموظفين منزلين صغيرين، أما العمال فقد كان نصيبهم أربعة منازل صغيرة .^١

٤ - ٥ - ٤ مدرسة شندي الثانوية بنين:

تأسست مدرسة شندي الثانوية للبنين في عام ١٩٦٤م على نظام الداخلية كثاني مدرسة ثانوية للبنين بمنطقة شندي والمدرسة السابعة في منظومة المدارس الثانوية بالمديرية الشمالية ، وقبلت المدرسة دفعتها الأولى من الطلاب في ذلك العام، وقد وضعت المدرسة في مباني مؤقتة بمدينة شندي وصدر التصديق المالي لتشييد مبانيها الدائمة في عام ١٩٦٧-١٩٦٨م وتم تشييد أربعة فصول ومعمل للعلوم ومباني للإدارة ومنزل كبير ومنزولين متوسطين ثم رحل الاعتماد للعام المالي ١٩٦٨م-١٩٦٩م وأعلن المقاول الفائز بالعطاء للشروع في العمل .

في ١٩٦٤/٦/٩م زار السيد علي محمد حامد باشمفتش تعليم المديرية الشمالية مدينة شندي بغرض البحث عن موقع لمدرسة شندي الثانوية للبنين، وفي أثناء الزيارة تقدم السيد علي محمد حامد باقتراح يقضي بوضع المدرسة الثانوية في موقع مدرسة شندي الأهلية الوسطى فوراً، بعد إضافة حمامات ومطابخ في مبنى المدرسة الأهلية على أن تزال الحمامات فور تشييد الداخليات و الإضافات اللازمة لتكملة مباني المدرسة الوسطى. و أن تنتقل المدرسة الأهلية الوسطى إلى مباني مدرسة شندي الشمالية الأولية بنين بعد ترميمها وان تحول مدرسة البنين الأولية إلى مباني الحشرات بمصلحة وقاية النباتات على أن ينظر في تشييد مدرسة أولية جديدة للبنين . غير أن هذا المقترح قد قوبل بالرفض من قبل القائمين بأمر المدرسة الأهلية الوسطى وفشلت مساعي السيد علي حامد .

١ - تربية وتعليم ٦٠/١٠/١ .

٢ - تربية وتعليم ٥/١/١، ص ٦٣ .

٣ - تربية وتعليم ٩/١٢/١ .

بعد فشل خطة السيد علي محمد حامد وضعت المدرسة الثانوية بمباني الحشرات بوقاية النباتات في المبنى الذي تشغله مدرسة عبد الله بن عباس حالياً، حيث تم تحويل مخازن الحشرات إلى فصول وأضيفت لهذه المخازن خمسة فصول ومعلمين ومكتبين، وفي مقابل استغلالها لمخازن وقاية النباتات هذه كانت وزارة التربية والتعليم تقوم سنوياً بدفع مبلغ ثلاثة ألف وتسعمائة وتسعين جنية كإيجار لوقاية النباتات، بالإضافة إلى مبلغ ألف ومئتان وثمانين جنية كانت تدفع سنوياً كأجرة لمنازل استخدمت كسكن لأساتذة المدرسة وداخليات للطلاب .^١

في عام ١٩٦٤م قبلت المدرسة أول دفعة من طلابها في ظل ظروف دقيقة مرت بها المدرسة لم تكتمل خلالها بنياتها التحتية، وقد كان عدد طلاب الدفعة الأولى ثمانون طالباً حيث خطط للمدرسة أن تكون من نهرين وأن تكون على نظام الداخليات ، غير أنه لم يقبل أي من طلاب الدفعة الأولى بالداخليات وذلك بسبب عدم وجود داخليات تستوعب الطلاب الداخليين ولم يتم تفعيل نظام الداخليات بالمدرسة إلا في العام ١٩٦٥م، حيث تم إيواء واحد وثمانين طالباً من جملة مائة وثلاثة وستين طالباً بالمدرسة في المنازل المستأجرة كداخليات للمدرسة ، وقد بلغ تعداد الطلاب الذين تم قبولهم بالمدرسة منذ العام ١٩٦٤م وحتى العام ١٩٦٨م أربعمائة اثنان وعشرون طالباً معظمهم من الطلاب الداخليين بالمدرسة . والجدول أدناه يبين أعداد الطلاب وبمدرسة شندي الثانوية حتى العام ١٩٦٨م .

جدول رقم (١٣)

طلاب مدرسة شندي الثانوية في الفترة من ١٩٦٤ وحتى ١٩٦٨م.

م	السنة الدراسية	عدد الفرق	طلاب داخليو	طلاب خارجيون	أولى	ثانية	ثالثة	رابعة	المجموع
١	١٩٦٤م	٢	-	٨٠	٨٠	-	-	-	٨٠
٢	١٩٦٥م	٤	٨١	٦٢	٨٢	٨١	-	-	١٦٣

١ - تربية وتعليم ٦٠/١٠/٩ .

٢ - تقارير مصلحة ١٠٥٧/٥٨/٦ ، ص ٣٢ .

٢٤٥	-	٧٧	٨٤	٨٤	١٠٢	١٤٣	٦	١٩٦٦م	٣
٣٥٤	٩٠	٨٦	٩٠	٨٨	١٣٣	٢٢١	٨	١٩٦٧م	٤
٣٥٥	٨٦	٩٠	٩١	٨٨	١٢٨	٢٢٧	٨	١٩٦٨م	٥

المصدر: الإحصاء التربوي للأعوام ١٩٦٤م وحتى ١٩٦٨م.

من الجدول نلاحظ أن أكبر دفعة من الطلاب تم قبولها في المدرسة كانت في العامين ١٩٦٧م و١٩٦٨م وهما العامين اللذين شهدا أكبر عدد من الطلاب قبلتهم المدرسة على مستوى فرقها الثمانية، حيث بلغ تعداد طلاب المدرسة في عام ١٩٦٧م ثلاثمائة وأربعة وخمسون طالباً و ثلاثمائة وخمسة وخمسون طالباً في العام ١٩٦٨م .

مدرسة شندي الثانوية للبنين كانت تعتبر المدرسة الخامسة على مستوى مدارس البنين الثانوية بالمديرية الشمالية بعد مدارس عطبرة ، نوري ، بربر ، دنقلا وقد ظل طلاب المدرسة منذ تأسيسها في عام ١٩٦٢م يشكلون نسبة تتراوح ما بين ٦% و ١٧% من جملة أعداد طلاب المدارس الثانوية بالمديرية الشمالية، وهي نسبة تقل قليلاً عن نسبة ٢٠% التي كان من المؤمل أن تشكل مساهمة المدرسة باعتبارها تمثل خمس عدد مدارس البنين الثانوية بالمديرية علماً بان هذه النسبة كانت تعتمد في المقام الأول على عدد الأنهر المكونة للمدرسة.

والجدول التالي يبين نسبة طلاب مدرسة شندي الثانوية بنين مقارنة مع بقية طلاب مدارس البنين الثانوية بالمديرية الشمالية في الفترة من العام ١٩٦٤م وحتى العام ١٩٦٨م .

جدول رقم (١٤)

عدد طلاب مدرسة شندي الثانوية بنين مقارنة مع أعداد الطلاب بالمدارس الثانوية بالمديرية الشمالية في الفترة من العام ١٩٦٤م وحتى العام ١٩٦٨م.

م	العام الدراسي	عدد الطلاب بمدرسة شندي الثانوية	عدد الطلاب في بقية المدارس الثانوية بالمديرية	مجموع طلاب المرحلة الثانوية بالمديرية	نسبة طلاب مدرسة شندي بالنسبة لطلاب المدارس الأخرى
١	١٩٦٤م	٨٠	١٣٩٩	١٤٧٩	٥٤%٠
٢	١٩٦٥م	٦٣	١٥٨٢	١٧٤٥	٣٣%٩
٣	١٩٦٦م	٢٤٥	١٨٥٤	٢٠٩٩	١١٦%١
٤	١٩٦٧م	٣٥٤	١٩٤٨	٢٣٠٢	١٥٣%١
٥	١٩٦٨م	٣٥٥	١٨٥٠	٢٢٠٥	١٦٩%١

المصدر: الإحصاء التربوي للأعوام ١٩٦٤م - ١٩٦٨م.

هذا بالنسبة لما قدمته مدرسة شندي الثانوية للبنين في ميدان تعليم البنين الثانوي بالمديرية الشمالية في الأعوام المذكورة ، أما بالنسبة لما قدمته المدرسة في مجال التعليم الثانوي على مستوى منطقة شندي فقد ظلت المدرسة منذ تأسيسها في عام ١٩٦٤م تساهم بنسبة تزيد عن ٢٥% في مجال التعليم الثانوي بمنطقة شندي وقد ظلت هذه النسبة في تزايد مستمر حتى وصلت إلى أكثر من ٥٠% في العام ١٩٦٧م ، والجدول التالي يبين نسبة مساهمة كل من مدرسة شندي الثانوية للبنين وشندي الثانوية للبنات في التعليم الثانوي بمنطقة شندي خلال الأعوام من ١٩٦٢م وحتى العام ١٩٦٨م .

جدول رقم (١٥)

أعداد طلاب وطالبات مدرستي شندي الثانوية في الفترة من العام ١٩٦٢ وحتى العام ١٩٦٨م.

م	السنة الدراسية	طلاب شندي الثانوية بنين	طالبات شندي	مجموع طلاب	نسبة مدرسة البنين	نسبة مدرسة البنات
---	-------------------	----------------------------	----------------	---------------	----------------------	----------------------

١ - تقارير مصلحة ١٠٥٦/٥٨/٦ ، ص ٣٢.

٢ - نفس المصدر ، ص ٣٢.

		المدرستين	الثانوية بنات			
١	١٩٦٢م	-	٨٠	٨٠	٨٠	%١٠٠
٢	١٩٦٣م	-	١٤٨	١٤٨	١٤٨	%١٠٠
٣	١٩٦٤م	٨٠	٢٣٨	٣١٨	٢٥١%	٧٤٩%
٤	١٩٦٥م	١٦٣	٢٣٢	٣٩٥	٤١٣%	٥٨٧%
٥	١٩٦٦م	٢٤٥	٣١٢	٥٥٧	٤٣٩%	٥٦١%
٦	١٩٦٧م	٣٥٤	٣٣٣	٦٨٧	٥١٥%	٤٨٥%
٧	١٩٦٨م	٣٥٥	٣٥٠	٧٠٥	٥٠٣%	٤٩٧%

المصدر: الإحصاء التربوي للأعوام ١٩٦٢م - ١٩٦٨م.

بالنسبة للعاملين بالمدرسة من مجموعات الأساتذة والموظفين والعمال، فقد بدأت المدرسة في عام ١٩٦٤م بعدد أربعة أساتذة بما فيهم ناظر المدرسة، ثم ارتفع هذا العدد في عام ١٩٦٨م إلى واحد وعشرون أستاذاً، منهم اثنان من الأجانب يتوزعون على أقسام اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، العلوم، الرياضيات، الفنون، التربية البدنية، العلوم الاجتماعية، والجدول أدناه يبين عدد الأساتذة بالمدرسة وتصنيفهم حتى العام ١٩٦٨م.

جدول رقم (١٦)

أعداد الأساتذة بمدرسة شندي الثانوية بنين في الفترة من العام ١٩٦٤

وحتى العام ١٩٦٨م

م	العام الدراسي	أساتذة ذكور	أساتذة إناث	سودانيون	أجانب	عدد الأساتذة
١	١٩٦٤م	٤	-	٤٠	-	٤
٢	١٩٦٥م	١٤	-	١٤	-	١٤
٣	١٩٦٦م	١٦	-	١٥	١	١٦
٤	١٩٦٧م	٢١	-	٢٠	١	٢١
٥	١٩٦٨م	٢١	-	١٩	٢	٢١

المصدر: الإحصاء التربوي للأعوام ١٩٦٤م - ١٩٦٨م.

كذلك كان بالمدرسة مجموعة من الموظفين والعمال الذين كانوا يشغلون عدداً من الوظائف الإدارية والعمالية، مثل المحاسبين، المكتبة، أمناء مخازن،

أمين مكتبة بالنسبة للموظفين ووظائف خفراء ، عمال صحة ، فراشين بالنسبة
للعمال.

الفصل الخامس

المعاهد و المراكز المتخصصة بمنطقة شندي

٥ - ١ ملامح تاريخ معاهد تدريب المعلمين ومركز التنمية الاجتماعية في السودان:

منذ قيام مصلحة المعارف في السودان في عام ١٩٠٢م وحتى قيام الحكم العسكري الثاني في السودان في عام ١٩٦٦م، قامت حكومة السودان بإنشاء مجموعة من المعاهد والمؤسسات التعليمية التي تميّزت بخصوصيتها وصلتها الوثيقة بالنظام التعليمي الذي أدخلته في البلاد، وبأهمية الدور الذي ظلت تلعبه لا سيما بعد التغييرات التي لحقت بأهداف التعليم في البلاد في ثلاثينيات القرن الماضي، وذلك من خلال اضطلاعها بمهمة إعداد وتدريب المعلمين وتأهيلهم للعمل بالمدارس الأولية وبمهمة نشر التعليم الديني وتنمية المجتمع وتعليم الكبار. معاهد تدريب المعلمين التي بدأ ظهورها أولاً بأمر درمان في مطلع القرن العشرين، ثم توالى ظهورها من بعد ذلك في عدد من مدن البلاد المختلفة. كان قيامها ضرورة أملت لها حاجة البلاد لمدرسين مؤهلين للعمل بالمدارس الأولية التي بدأت تنتشر في البلاد في العقد الأول من القرن العشرين. وفقاً لخطط وبرامج مصلحة المعارف المتعلقة بالتوسع التعليمي في المرحلة الأولية إبان حقبة الحكم الثنائي والحكم الوطني، الذي شهد أعظم وأضخم مشروعات التوسع التعليمي في البلاد.

تُعدُّ فرقة تدريب المعلمين - التي وضعت في فصل مُنفصل بمدرسة أم درمان الابتدائية - التي تأسست في العام ١٩٠٠م النواة الأولى لأول معهد لتدريب معلمي المدارس الأولية والابتدائية في السودان حتى عام ١٩٠٣م. وقد نقلت الفرقة إلى مباني كلية غوردون التذكارية بعد اكتمال مبانيها في نفس العام وسُميت بمدرسة العُرفاء. وقد ظلَّت هذه المدرسة تستقبل سنوياً مجموعات من التلاميذ الراغبين بالانتساب إليها يتلقون فيها تدريباً لمدة ثلاث سنوات في العلوم التربوية وطرائق التدريس يؤهلهم للعمل في المدارس الأولية. وفي عام ١٩٢٣م أُغلقت

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ١٩٨

٢ - نفس المرجع، ص ٩٠.

٣ - عثمان أحمد الأمين، بخت الرضا - ستة عقود في مسيرة التعليم - ١٩٣٤-١٩٩٤م، ط٢؛ الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٩٧م. ص ١٠.

المدرسة تمشياً مع سياسة الحكومة الرامية لعدم التوسع في إنشاء المدارس الأولية، غير أن الحكومة سرعان ما أعادت فتح المدرسة في عام ١٩٢٥م بسبب النقص الكبير في عدد المدرسين بالمدارس الأولية الذي تسبب فيه مُغادرة أعداد مُقدرة من المدرسين المصريين بالسودان للبلاد في أعقاب أحداث ثورة ١٩٢٤ .

في عام ١٩٣٤م طرأ تطور مهم في نظام معاهد تدريب المعلمين في السودان وذلك عندما تمَّ نقل مدرسة العرفاء - التي تغير اسمها في عام ١٩٣٢ إلى مدرسة تدريب معلمي المدارس الأولية من كلية غوردون إلى بخت الرضا على النيل الأبيض شمال مدينة الدويم تحت مُسمّى معهد تدريب المعلمين، ليصبح معهد بخت الرضا أول معهد متخصص لتدريب المعلمين خارج الخرطوم في بيئة ريفية تتناسب وطبيعة عمل مدرسي المدارس الأولية. و قد كان الهدف الرئيسي من إنشاء المعهد في هذه المرحلة إعداد مدرسي مدارس أولية على درجة من الكفاءة والمهنية بعد إخضاعهم لمناهج دراسية تساعد على تلقيح أفكارهم بالأساليب التربوية الحديثة . إلى جانب وضع مقررات وكتب دراسية للطلاب وكتب تربوية للمدرسين ملائمة لأغراض التربية الريفية . وتنظيم الدورات التجديدية للمعلمين الذين لم يتلقوا تدريباً ببخت الرضا من أجل تحسين قدراتهم وتمكينهم من مواكبة تدريس أجزاء من المقررات الجديدة . وقد شجعت النتائج التي حققتها المعهد في هذا المجال بعد سنوات قليلة من نشأته على استنساخ هذه التجربة و تعميمها على مستوى بعض مديريات القطر وذلك عن طريق إنشاء معاهد مماثلة في الدلتج، شندی، مريدي، ملكال، الفاشر وكسلا على التوالي.

ظهرت مراكز تنمية المجتمع وتعليم الكبار لأول مرة في السودان في منطقة النيل الأبيض كجزءٍ من مهام ونشاطات معهد تدريب المعلمين حيث تمَّ في العام ١٩٣٩م تكليف معهد تدريب المعلمين ببخت الرضا بمهام تتعلق بتنمية المجتمع، عن طريق القيام بأنشطة تتعلق بتعليم الكبار عبر استحداث طرق

١ - محمد عمر بشير مرجع سابق، ص ١٢٨

٢ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ١١

٣ - محمد عمر بشير مرجع سابق، ص ٢٠٠

٤ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ١٩

وأساليب جديدة في ميدان تعليم الكبار يتم استخدامها لأول مرة في السودان. وبالفعل قامت بخت الرضا في عام ١٩٤٤م بإجراء تجارب في ميدان تعليم الكبار شملت إنشاء نادٍ ومجلة للصبيان ودار للنشر، وقد شمل نشاط المعهد أيضاً إجراء بعض التجارب في مشروع أم جر الزراعي. واستمر معهد تدريب المعلمين ببخت الرضا في تجاربه هذه في منطقة النيل الأبيض بينما تمَّ إنشاء قسم الخدمات الاجتماعية بمشروع الجزيرة ليؤدي نفس الغرض في قرى وأرياف الجزيرة. وفي عام ١٩٦٠م تمَّ إنشاء المركز القومي لتنمية المجتمع بمدينة شندى كأول مركزٍ من نوعه في السودان بهدف تدريب مرشدين اجتماعيين للعمل بالريف السوداني لمعاونة الريفيين في قراهم على تفهُم مشاكل بيئتهم ومساعدتهم على حلِّها .

٥ - ٢ معهد التربية شندي:

تأسس معهد تدريب المعلمين شندى - معهد التربية شندي - بمدينة شندى في عام ١٩٥٢م، وقد جاء ترتيب المعهد من حيث النشأة في المركز الثالث على مستوى القطر بعد معهدي تدريب المعلمين ببخت الرضا (١٩٣٤)، والدانج (١٩٤٨). وقد جاء تأسيس هذا المعهد بغرض تدريب وإعداد مجموعات من الطلاب الذين أتموا بنجاح الدراسة في المدارس الوسطى للعمل كمدرسين بالمدارس الأولية على نمط معهد تدريب المعلمين ببخت الرضا، وذلك بعد قضاء فترة دراسية مُدتها عامين يتلقَّى خلالها الطالب دروساً نظرية وعملية تؤهله في النهاية للعمل بهذه المدارس .

بدأ معهد تدريب المعلمين نشاطه بمدينة بشندي في عام ١٩٥٢م كمؤسسة تعليمية متكاملة فريدة من نوعها بالمديرية الشمالية، توفّر التعليم للتلاميذ في المرحلتين الأولية والوسطى عبر المؤسسات التعليمية الملحقة بها والمنتمية إلى هاتين المرحلتين. بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية المتعلقة بتدريب معلمي المرحلة الأولية. وقد بدأ المعهد نشاطه في شهر إبريل من العام ١٩٥٢م بمباني مدرسة

١ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٥٦

٢ - عثمان محمد الأمين، مرجع سابق، ص ٥٤.

٣ - تقارير مصلحيه، ١٢٩٩/٧٦/٦، ص ٤٠.

شندى الريفية ولم يتم تشييد مبانٍ جديدة خاصة به، وقد كان قيام هذه المدرسة سابقاً لتأسيس المعهد بحوالي ثمانية أعوام حيث تأسست في العام ١٩٤٤ في أرضٍ تبعد عن مركز مدينة شندى حوالي اثنين كيلومتر من الناحية الجنوبية، و شُيِّدَت مبانيها على النِّسق المعماري للمدارس الوسطى السائد آنذاك وأصبحت فيما بعد المبنى الرئيس لمعهد تدريب المعلمين عند قيامه و جزءاً من فروعهِ ، والجدير بالذكر أن المنطقة التي قامت فيها المدرسة كانت قد رُشحت في عام ١٩٣٨م لتكون مقراً بديلاً لمعهد بخت الرضا - إضافة إلى مناطق أخرى من السودان . بسبب ملاءمتها لأغراض التربية الريفية وقد استلزم وضع معهد التربية شندى في مباني المدرسة الريفية إجراء بعض التعديلات على المباني القائمة لتتلاءم مع وظيفة المعهد مثل إضافة بعض المباني وتشييد منازل لعميد المعهد والمعلمين وتوسعة الداخلية وتشييد منازل صغيرة للعمال.

كما كان الحال في بقية معاهد تدريب المعلمين الأخرى فقد كانت فترة الدراسة بمعهد تدريب المعلمين بشندى سنتان، يتلقَّى خلالها الطالب تدريباً نظرياً وعملياً في التربية وعلم النفس التربوي وطُرق التدريس يؤهله للعمل بالمدارس الأولية. ولا يختلف هذا النظام عن النظام الذي كان متبعاً في معهد بخت الرضا الذي كانت الدراسة فيه تمتد لمدة ست سنوات^٢ بعد المرحلة الأولية. وذلك لأن معهد التربية شندى كان يقبل الطلاب الذين أكملوا الدراسة بالمرحلة الوسطى على اعتبار أن سنوات الدراسة في المرحلة الوسطى تمثل أربع سنوات من هذه السنوات الست بمعهد بخت الرضا وتمثل السنتان الخامسة والسادسة بمعهد بخت الرضا الفترة التي يقضيها الطالب بمعهد تدريب المعلمين بشندى والتي اصطلح على تسميتها أيضاً بالسنتين الخامسة والسادسة . وعلى هذا فقد كانت فترة الدراسة في جميع معاهد تدريب المعلمين تمتد لمدة سنتين عدا معهد مريدي الذي

١ - متنوعات ١٢١/١٨/١ ص ٢٢

٢ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٥٥

٣ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٢٤

٤ - متنوعات ١٢١/٨/١ ص ٢٢

كانت تمتد الدراسة فيه لمدة ثلاث سنوات، وذلك لتمكين الطلاب من أبناء جنوب السودان من تحسين لغتهم العربية .^١

في فبراير ١٩٦٩م طرأ تطور كبير على نظام معهد تدريب المعلمين بشندي حيث تم ترفيعه إلى ثانوي يدرس فيه الطلاب لمدة أربع سنوات بعد إكمال المرحلة الوسطى .مع ثمانية معاهد أخرى في البلاد هي بخت الرضا، الفاشر، كسلا، الدلنج، كلية المعلمات أم درمان، كلية المعلمات ود مدني، المعهد العالي للتربية البدنية وكلية المعلمين لطلبة السنة السادسة . هذا وقد كان مشروع ترفيع معاهد تدريب المعلمين للمرحلة الثانوية قد بدأت تجربته في العام ١٩٦٨م بنهرين في كلية المعلمين بمبروكة وأربعة أنهر بعدد مائة تسعة وعشرون طالب بمعهد تدريب المعلمين شندي قبل أن تعمم التجربة على بقية معاهد تدريب المعلمين الأخرى .^٤

استمرت تجربة نظام السنوات الأربع بمعهد تدريب المعلمين بشندي - الذي تغير اسمه إلى معهد التربية الابتدائي - وفق منهج جديد تمّ إعداده خصيصاً لهذا الغرض لا يقل في وزنه عن منهج المرحلة الثانوية.وقد صاحب تطبيق هذه التجربة إدخال نظام التدريب العسكري الإلزامي على طلاب المعهد من السنة الأولى و حتى السنة الثالثة و بهدف إكسابهم المزيد من روح النظام وقوة الاحتمال.في العام ١٩٧٦ استحدث نظام العام الواحد في معاهد التربية وهو نظام يقضى بقبول الطلاب الناجحين في امتحانات الشهادة السودانية وفق الأعداد المخطط لقبولها بمعاهد تدريب المعلمين لينالوا تدريباً نظرياً وعملياً لمدة عام يتخرج في نهايته الطالب معلماً بالمرحلة الابتدائية.

كذلك وفي نفس العام ١٩٧٦م بدأ المعهد عقد دورات الكورس الخاص الذي كان يعنى بتدريب شريحة من المعلمين المخضرمين الذين يتم انتقاؤهم بدقة - وفقاً لتقارير أدائهم - من كل أنحاء السودان ثم بعد ذلك يتم استيعابهم في معاهد

١ - تقارير مصلحيه ١٢٩٩/٧٦/٦ ص ٤٠

٢ - تربية وتعليم ١٢/٣/١٢/١ ص ٤٨

٣ - تربية وتعليم ٥/١/١ ص ٦٥

٤ - خطاب احمد حامد الفكي عميد معهد بخت الرضا إلى السيد وزير التربية والتعليم بتاريخ ١٩٧٨/٦/٢٦ تربية وتعليم ١٢/٤/٩/١

إعداد المعلمين للاستفادة من خبراتهم الثرة وتجاربهم الواسعة في تدريب طلاب تلك المعاهد. وهذا الكورس - ومدته عامين - كان قد بدأ أولاً بمعهد التربية ببخت الرضا ثم حوّل لاحقاً في العام ١٩٧٦م إلى معهد التربية شندي .

منذ أن تخرّجت أول دفعة في معهد تدريب المعلمين بشندي في فبراير ١٩٥٤م وحتى الحاقه بجامعة شندي بقرار جمهوري في عام ١٩٩٠م ظلّ هذا المعهد يؤدي رسالته في إعداد وتأهيل المعلمين لمدة أربعين عاماً ويدفع بهم إلى أرجاء السودان المختلفة يحاربون الجهل وينشرون النور والمعرفة. وقد تعاقب على إدارة هذا الصرح التعليمي خلال تلك الفترة سبعة عشر مُربيّاً تقلّدوا منصب عميد المعهد لفترات متباينة أقصرها سنة واحدة وأطولها سبع سنوات. والجدول أدناه يوضح أسماء الأساتذة الذين تقلّدوا منصب عميد معهد تدريب المعلمين بشندي وفترة كل منهم.

جدول رقم (١٧)

عمداء معهد التربية بشندي في الفترة من العام ١٩٥٢ وحتى العام ١٩٩٤م.

م	الاسم	الصفة	الفترة	المدة	ملحوظات
١	احمد ميرغني شكاك	عميد	١٩٥٢-١٩٥٤	٢	مؤسس
٣	حسين محمد على	عميد	١٩٥٤-١٩٥٥	١	
٤	أحمد حامد الفكي	عميد	١٩٥٥-١٩٥٧	٢	عميد بخت الرضا ١٩٦٦-١
٥	عبد الحكيم جميل	عميد	١٩٥٧-١٩٥٨	١	
٦	الطاهر شبيكة	عميد	١٩٥٨-١٩٦٥	٧	فترة حكم الفريق إبراهيم عبود
٧	على السيد الفكي	عميد	١٩٦٥-١٩٦٨	٣	الديمقراطية الثانية
٨	أبو زيد موسى	عميد	١٩٦٨-١٩٧٠	٢	
٩	محمد البشير الأمين	عميد	١٩٧٠-١٩٧٥	٥	
١٠	احمد المجذوب الأمين	عميد	١٩٧٥-١٩٧٦	١	
١١	كمال شمس الدين	عميد	١٩٧٦-١٩٧٨	٢	
١٢	حبيب عبد اللطيف	عميد	١٩٧٨-١٩٧٩	١	
١٣	صالح عبد الرحمن	عميد	١٩٧٩-١٩٨١	٢	

- ١ - مقابلة مع الأستاذ عوض عبد الله أحمد، الأستاذ بقسم تدريب المعلمين بمعهد التربية شندي ١٩٧٥-١٩٩٤، بمنزلة في ٢٧/١٠/٢٠١١
- ٢ - حسن عباس، تدريب المعلمين، مجلة العيد الرابع والعشرون لمعهد التربية الابتدائي بشندي، ١٩٧٦، ص ٩

١٤	مكي محمود الرشيد	عميد	١٩٨٣-١٩٨١	٢
١٥	على احمد على طويل	عميد	١٩٨٤-١٩٨٣	١
١٦	الأمين حسن محمد	عميد	١٩٨٥-١٩٨٤	١
١٧	حبيب عبد اللطيف	عميد	١٩٩٢-١٩٨٥	٧
١٨	الطيب المجذوب محمد	عميد	١٩٩٤-١٩٩٢	٢

المصدر، سجلات معهد التربية شندي- اللوحة التذكارية لمعهد التربية

ومن الجدول نلاحظ أن الأستاذ حبيب عبد اللطيف هو العميد الوحيد الذي شغل منصب عميد المعهد لفترتين مجموع سنواتهما معاً ثمان سنوات، تُعدُّ أطول فترة يقضيها عميد لمعهد التربية شندي على الإطلاق. كما تُعدُّ الفترة الثانية التي قضاها الأستاذ حبيب عبد اللطيف كعميد للمعهد بالإضافة لفترة الأستاذ الطاهر شببكة العميد الخامس للمعهد من أطول الفترات التي قضاها أستاذ واحد كعميد للمعهد.

٥ - ٢ - ١ أقسام المعهد:

يتكوّن معهد تدريب المعلمين شندي من مجموعة من الفروع أو الأقسام التي تعتبر إلى جانب قسم تدريب المعلمين من مكونات المعهد، وهذه الأقسام هي:

أ/ مدرسة شندي الريفية الوسطى والسنة الخامسة.

ب/ السنة السادسة.

ج/ المدارس ذات الفصلين (مدارس التجربة).

د/ مدرسة المعهد الأولية.

و/ مدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى.

ز/ مدرسة الاستقلال الأولية التابعة لمدرسة تدريب معلمي المدارس

الصغرى.

وفيما يلي نبذة عن كل قسم من هذه الأقسام التي يُشكّل مجموعها معهد

تدريب المعلمين بشندي.

٥ - ٢ - ١ - ١ مدرسة شندي الريفية الوسطى والسنة الخامسة:

١
أُنشئت مدرسة شندى الريفية الوسطى في عام ١٩٤٤م ضمن أربع مدارس ريفية وسطى تمَّ إنشاؤها في عموم السودان خلال الفترة بين الأعوام ١٩٣٨م و١٩٤٦م، وفقاً للخطة التعليمية الأولى لمصلحة المعارف التي تُعطي نفس الفترة . وهذه المدارس الأربع هي:

(١) شندى الريفية الوسطى

(٢) كسلا الريفية الوسطى

(٣) الدويم الريفية الوسطى

(٤) الدلنج الريفية الوسطى

وقد أُنشئت المدرسة في مدينة شندى على بُعده من الأرض تبعد حوالي اثنين كيلومتر عن مركز المدينة من الناحية الجنوبية بمحاذاة خط السكة حديد شندى الخرطوم قبالة حلّة قريش الواقعة إلى الجنوب من مدينة شندى على مسافة ثلاثة كيلومترات تقريباً. في منطقة زراعية تتوسّط بيئة ريفية غنيّة ملائمة لأغراض التربية الريفية. وقد رشحت هذه البقعة التي قامت عليها المدرسة في عام ١٩٣٨م لتكون مقراً بديلاً لمعهد تدريب المعلمين ببخت الرضا عندما طرأت فكرة نقله إلى خارج بخت الرضا شمال الدويم .^٤

في هذه المنطقة الملائمة لأغراض التربية الريفية وضعت مدرسة شندى الريفية الوسطى وشيّدت مبانيها المكونة من أربعة فصول ومعمل للعلوم ومكاتب لناظر المدرسة وأساتذتها بالطوب والأسمنت. وقد صمّم المبنى الرئيس للمدرسة على النسق المعماري للمدارس الحكومية والذي كان سائداً آنذاك. على أن مبنى مدرسة شندى الريفية الوسطى هذا كان شديد الشبه بالمبنى الرئيسي لجامعة الخرطوم الذي تشغله حالياً المكتبة الرئيسية لجامعة الخرطوم.

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٣.

٢ - حكومة السودان، وزارة المعارف، مقترحات لتوسيع وتحسين نظم التعليم في مديريات السودان الشمالية

في الفترة ما بين ١٩٤٨-١٩٥٦م، ص ١٦.

٣ - تربية وتعليم ١/١٢/٣ ص ٤٧.

٤ - محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

ويقع المبنى الرئيس للمدرسة في منتصف قطعة الأرض المخصصة لها ويمتد طويلاً من الشرق إلى الغرب، وفي المنتصف تماماً يتضخم المبنى ويتمدد باتجاه الجنوب على مسافة ثلاثة أمتار تقريباً بمحاذاة الامتداد الجنوبي على طول المبنى، على شكل مقصورة أو صالة مفتوحة ومُلحقة بالمبنى على الناحية الجنوبية قائمة على الأعمدة المطعمة بالأقواس في أعلى الأعمدة، على هيئة لا تختلف كثيراً عن المبنى الرئيس لجامعة الخرطوم. وعند هذه النقطة ينقسم المبنى إلى قسمين متساويين شرقي وغربي ويفصل بينهما ممر واسع يوجد على كل جانب من جانبيه مكتب أحدهما لناظر المدرسة والآخر للأساتذة. وقد رُصفت أرضيات الفصول والمكاتب بالبلاط الأسمنتي الأملس بينما رُصفت المقصورة والصالات والممرات بالبلاط الأسمنتي المزخرف بالنحت الغائر.

أما داخلية الطلاب فقد شُيدت شرق المبنى الرئيسي للمدرسة بالطين اللين وصنعت أبوابها ونوافذها من الخشب وسقفت بالزنك ورُصفت أرضيتها بالبلاط الأملس. وقد شُيدت هذه الداخلية على شكل وحدات سكنية كل منها تحمل اسماً يرمز إليها مثل الحوش سلوه المتممة وشندي، وكذلك شُيدت معامل العلوم وسفرة الطعام التي كانت تسع لحوالي مائتي طالب بالطوب والاسمنت على الجانب الشمالي من المبنى الرئيسي للمدرسة.

مدرسه شندي الريفية الوسطى هي من نوع المدارس الريفية التي انتظمت في البلاد بعد شروع الحكومة في إصلاح نظام التعليم في البلاد في أعقاب العام ١٩٣٤م، بغرض توفير تعليم يناسب أبناء المدن والريف على حد سواء وهذا النوع من المدارس كانت له سماته المميزة المتمثلة في الاهتمام بالتربية الريفية ودراسة العلوم وممارسة النشاط الزراعي في المزارع المُلحقة بهذه المدارس، والمدرسة بهذه الصفة كانت تتكون من نهر واحد وتقبل سنوياً أربعين طالباً جميعهم بالقسم الداخلي للمدرسة، ما عدا قلة منهم هي في الغالب من أبناء مدينه شندي الذين كان بعضهم يفضل الإقامة بالداخلية، لاسيما الطلاب الذين كانت تبعد

١- وزارة التربية والتعليم، معهد التربية شندي، سجلات المعهد، كلية التربية جامعته شندي، مركز احمد إدريس الأرباب

منازلهم أكثر من أربعة كيلومترات عن المدرسة، وقد كانت الداخلية تتسع لجميع طلاب المدرسة إضافة إلى طلاب السنتين الخامسة والسادسة بعد قيام المعهد. وهذه الداخلية خاصة الشرقية منها - وهي الأقدم - تمَّ تحويلها لاحقاً إلى قاعات وسكن للأساتذة بكلية الآداب جامعة شندي التي تحتلُّ الجزء الجنوبي الشرقي من الموقع الذي كانت تحتله المدرسة الريفية في السابق.

حتى العام ١٩٤٣م لم تكن توجد بمنطقة شندي مدارس وسطى للبنين أو البنات. بل إن المديرية الشمالية بأكملها لم يكن فيها حتى ذلك التاريخ سوى مدرستي بربر و وادي حلفا الوسطيين. وقد أدَّى هذا الأمر إلى تفاعل تيارات المجتمع المحلي بمدينة شندي ولجنة التعليم بالمدينة إضافة إلى لجنة مؤتمر الخريجين، وأعيان المدينة مع هذه المسألة وأن تضم صوتها إلى أصوات أهالي المدينة المطالبين بمدرسة وسطى للبنين بالمدينة. وقد أثمرت هذه المطالبات الملحّة عن قيام هذه المدرسة في عام ١٩٤٤ كأول مدرسة وسطى بالمنطقة والثالثة على مستوى المديرية الشمالية. يتنافس للالتحاق بها جميع تلاميذ المدارس الأولية بمنطقة شندي الذين لم يكن أمامهم من سبيل في الماضي، سوى الالتحاق بالمدارس الوسطى الموجودة في أم درمان أو الخرطوم أو بربر .

بعد تأسيس معهد تدريب المعلمين شندي في عام ١٩٥٢م أصبحت المدرسة الريفية الوسطى بشندي القاعدة التي قام عليها المعهد وذلك عبر احتضانها له في طوره الأول حتى العام ١٩٧١م. وقد ظلَّت المدرسة ومبانيها طيلة تسعة عشر عاماً تمثل العمود الفقري للمعهد، الذي باشر نشاطه في ساحاتها ومبانيها و كان الطلاب الذين يقبلون بالمعهد يبتدئون سنوات دراستهم بالسنة الخامسة وذلك على اعتبار أن السنوات الأربع السابقة لهذه السنة الخامسة هي السنوات الأربع للمدرسة الريفية الوسطى، التي دائماً ما نظر إليها كمرحلة إعدادية لنظام الدراسة بالمعهد، وعلى هذا فإن الطالب الذي يدرس بالمدرسة الريفية ويلتحق بمعهد

١ - مقابله مع بشير جميل عضو لجنة مؤتمر الخريجين بشندي بمنزلة في ١٣/٤/٢٠٠٩

٢ - انظر جعفر حامد البشير، مملكة الجعليين الكبرى، مرجع سابق.

٣ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٣

تدريب المعلمين يكون قد درس بالمدرسة الريفية الوسطى لمدة ست سنوات وهي نفس الفترة التي يقضيها الطالب الذي يُقبل بمعهد بخت الرضا حتى عام ١٩٦٩ . أما نظام الدراسة بمدرسة شندی الريفية الوسطى فقد كان مفتوحاً وكان الطلاب يدرسون تركيبة من المواد التي غالباً ما كانت تدرس بالمدارس الوسطى على أنه كانت هنالك مساحات زمنية مُقترَهِه في المنهج تفرّد لمادتي التربية الريفية والعلوم، وهذا ما كان يميز المدرسة الريفية عن بقية المدارس الوسطى. وكان يقوم على أمر التدريس بالمدرسة كوكبة من الأساتذة المقتدرين الذين تعاقبوا على العمل فيها يقومون بالتدريس ويشرفون على النشاطات المصاحبة للمنهج. وقد كانت المدرسة تذخر بالنشاطات المتعددة مثل الجمعية العمومية والجمعيات الثقافية والرياضية وجمعيات التربية الريفية والفنون والمسرح وغيرها. وعند قيام معهد تدريب المعلمين في عام ١٩٥٢م ازدادت النشاطات بالمدرسة الريفية وازدادت أهميتها نتيجة لارتباطها بالنشاطات المقررة على طلاب السنة الخامسة الذين كانوا يشاركون طلاب المدرسة الريفية الوسطى موقع السكن في الداخلية وممارسة النشاطات الأخرى، مثل الجمعية العمومية والجمعيات الثقافية والنشاطات الرياضية كالجماز وألعاب المضمار وكرة القدم والطائرة والسلة والتنس. ولا تزال كثير من الملاعب التي كانت تمارس فيها هذه الأنشطة الرياضية شاخصة إلي الآن في ساحات وميادين مجمع التربية بجامعة شندی الذي يحتل الآن الموقع السابق لمعهد تدريب المعلمين بشندی والمدرسة الريفية الوسطى.

ظَلَّت مدرسة شندی الريفية الوسطى تلعب دورها المرسوم لها في موقعها هذا منذ العام ١٩٤٤م ولمدة سبعة وعشرون عاماً حتى العام ١٩٧١م. وقد التحق بالمدرسة خلال تلك الفترة حوالي عشرة آلاف وعشرة طلاب بمعدل أربعين طالباً سنوياً. وبعد قيام معهد تدريب المعلمين بشندی في عام ١٩٥٢م أصبحت المدرسة جزء من المعهد تتأثر بالمؤثرات والمتغيرات التي يتعرّض لها المعهد وهذا ما حدث في العام ١٩٦٩م عندما تغير نظام الدراسة بالمعهد الأمر الذي أدى إلي

بروز فكرة نقل المدرسة الريفية الوسطى أو تجفيفها نتيجة للتطور الذي لحق بالمعهد وبالسلم التعليمي معاً .^١

في العام ١٩٧١م تقدّم السيد محمد البشير الأمين عميد معهد التربية الابتدائي بشندي بمقترح إلي السيد أحمد الجمري رئيس لجنة مدرسة عبد الله الحسن الثانوية العامة، يتضمّن فكرة نقل مدرسة شندی الريفية بعمالها وأساتذتها وطلابها من موقعها الأول إلي مدرسة عبد الله الحسن الثانوية العامة، لتصبح المدرسة حال الموافقة على هذا المقترح وتنفيذه مدرسة ذات نهريين تستقبل طلاباً من مدينه شندي وضواحيها. وقد التزم السيد عبد الله الحسن بإكمال الفصلين المتبقين عندما عرض عليه هذا المقترح . وهكذا انتقلت مدرسة شندی الريفية من موقعها الأول وأصبحت جزء من مدرسة عبد الله الحسن التي أصبح يطلق عليها منذ ذلك التاريخ مدرسة عبد الله الحسن الريفية الثانوية العامة.

تُعدُّ السنة الخامسة بالنسبة لطلاب معهد التربية شندي بمثابة السنة الأولى للطلاب الذين أتموا بنجاح المرحلة الوسطى وتم قبولهم بالمعهد من كافة أنحاء السودان. وفي هذه السنة يدرس الطلاب العلوم النظرية المضمنة في منهاج الدراسة بالمعهد الذي يشتمل على، العلوم الدينية واللغة العربية وبفروعها والعلوم الرياضية والجغرافية والتاريخ واللغة الإنجليزية والعلوم الطبيعية والأعمال اليدوية والفنون والتربية الوطنية والخلقية، والنشاط المدرسي في مختلف نواحيه. وقد كان علي طالب السنة الخامسة أن يصل في دراسته لهذه العلوم إلى مستوى يمكنه في المستقبل القريب من النهوض بأعباء مهنة التدريس على الوجه الأكمل ويجعل منه عضواً نافعاً في المجتمع .^٣

على الرغم من أن السنة الخامسة كانت تعتبر مرحلة منفصلة تماماً عن المرحلة الوسطى التي كانت تمثلها المدرسة الريفية الوسطى تساوي نصف فترة الدراسة بمعهد تدريب المعلمين حتى العام ١٩٦٨م. إلا أن دمج السنة الخامسة مع المدرسة الريفية الوسطى كان بسبب الارتباط الوثيق بين طلاب السنة الخامسة و

١ - تربية وتعليم ١٧٢/٢٠/١ ص ٦٧

٢ - نفس المصدر، ص ٦٧ .

٣ - متنوعات ١٢١/٨/١ ص ٢٢ .

طلاب المدرسة الريفية، وذلك عبر المجاورة في السكن والمشاركة في معظم النشاطات المدرسية، خاصة النشاط الرياضي والجمعية العمومية، على خلاف طلاب السنة السادسة الذين كانوا يعتبرون في آخر سنين دراستهم ويجري إعدادهم بصورة تؤهلهم لحياتهم الجديدة بمعزل عن طلاب السنة الخامسة والمدرسة الريفية الوسطى .

في السنوات الأولى من عُمر المعهد وحتى العام ١٩٥٤م كان عدد الطلاب الذين يقبلون بالسنة الخامسة بمعهد تدريب المعلمين بشندي حوالي ثلاثين طالباً سنوياً يشكلون فرقة واحدة غير أنه ومنذ العام ١٩٥٥م، وتمشياً مع خطط التوسع التعليمي الذي انتظم البلاد تضاعفت أعداد الطلاب المقبولين بالسنة الخامسة إلى ستين طالباً يشكلون فرقتين بالسنة الخامسة وذلك حتى العام ١٩٦٠م. في العام ١٩٦١م تمت مضاعفة هذا العدد مرة أخرى إلى مائة وعشرين طالباً يشكلون أربعة فرق وذلك بغرض مقابلة مشروع التوسع التعليمي الكبير في العام ١٩٦٣. وقد ظلّ الوضع على هذا الحال تقريباً حتى عام ١٩٦٨م حيث قبلت أول دفعة بالمعهد على نظام السنوات الأربع جرى تقسيمها هي أيضاً إلى أربعة فرق بكل فرقة ثلاثين طالباً.

كان طلاب السنة الخامسة يسكنون في داخلية مجاورة لداخلية طلاب المدرسة الريفية من الناحية الشمالية على الجانب الشرقي من موقع المدرسة الريفية. وهذه الداخلية شيدت بالطوب اللبن على هيئة وحدات سكنية مبنية طويلاً من الشرق إلى الغرب كل وحدة تتكون من غرفتين تفصل بينهما صالة. وتتميز داخلية طلاب السنة الخامسة عن داخلية طلاب المدرسة الريفية بأنها كانت أقرب إلى هيئة المنازل من هيئة العنابر التي كانت تتكون منها داخلية المدرسة الريفية. ويشرف على كل داخلية أو منزل أحد المعلمين بالمعهد يُسمى ضابط الداخلية، ولكل داخلية أو منزل رئيس عام ورؤساء مجموعات داخل المنزل

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٥.

٢ - نفس المصدر، ص ٦٢.

١ مهمتهم المحافظة على النظام وربط الطلاب بضباط الداخلية . وفي هذه الداخلية يعتاد الطالب على النظام والاعتماد على النفس وقوة الاحتمال والحياة في إطار المجموعة. والجدير بالذكر هنا أن بعض هذه الوحدات السكنية لطلاب السنة الخامسة لا تزال موجودة إلى اليوم تستعمل كمساكن واستراحات بكلية التربية جامعة شندي وموقعها حالياً شمال غرب مباني كلية الآداب وجنوب دار الأساتذة . بالإضافة إلى المجاورة في السكن فقد كان طلاب السنة الخامسة يشاركون طلاب المدرسة الريفية الوسطى في معظم النشاطات المدرسية بالإضافة إلي ممارسة بعض أنماط النشاط بشكل منفرد. و هذه النشاطات هي:

(١) الجمعيات المدرسية (٢) المعسكرات

(٣) الرحلات (٤) عيد المعهد

(٥) النشاط الرياضي والثقافي (٦) التدريب العسكري

وأدناه نبذة قصيرة عن كل منشط من النشاطات المذكورة أعلاه.

أولاً: الجمعيات المدرسية

يتكون منشط الجمعيات المدرسية من الجمعية العمومية والجمعيات المصاحبة للمنهج . وتتميز الجمعية العمومية عن بقية الجمعيات الأخرى بأن الاشتراك فيها كان إجبارياً لكل الطلاب، بينما كان الاشتراك في بقية الجمعيات الأخرى اختيارياً. والجمعية العمومية كانت عبارة عن برلمان مُصغر يتدرب فيه الطلاب علي نظم الحياة الديمقراطية، وعلى استخدام الأسلوب العلمي في التفكير والنقاش، وعلى بعض الحرف التي قد تفيدهم في حياتهم العملية في ما بعد . وقد كان الهدف من ممارسة هذا المنشط الإجباري تدريب الطلاب علي القيادة وتحمل المسؤولية وتفجير طاقاتهم الكامنة وإذكاء روح الخلق والإبداع لديهم، وغرس حب العمل والقيم السامية في نفوسهم .

٣

كانت الجمعية العمومية تدار بواسطة لجنة تنفيذية يتم انتخابها مطلع كل عام في اجتماع عام للجمعية العمومية التي كانت تتكون من جميع تلاميذ المدرسة

١ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٢٧ .

٢ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٢٧ .

٣ - نفس المرجع، ص ٢٧ .

الريفية والسنة الخامسة، وتتكون اللجنة التنفيذية من رئيس وسكرتير ومكتب يضم أعضاء اللجنة. وتتخلص مهمة اللجنة في الإشراف على نشاطات الجمعيات المتفرعة من الجمعية العمومية، مثل جمعية الإصلاحات و الثقافة والصحة والطرق و الحدائق والرياضة. و متابعة سير العمل فيها وتوزيع الطلاب على هذه الجمعيات بالتناوب تعميماً للفائدة. كذلك كان من مهام اللجنة التنفيذية التصرف في أموال الميزانية المخصصة للجمعية العمومية عبر الصرف على هذه النشاطات وحفظ دفاترها تحت إشراف أحد المعلمين.

وتعقد الجمعية العمومية اجتماعاً شهرياً في شكل جمعية عمومية يحضره جميع الطلاب، تتم فيه مناقشة أداء اللجنة التنفيذية في كل النشاطات وتطرح فيه الآراء والمقترحات بكل شفافية، ويتجلى في هذا الاجتماع أهم أهداف الجمعية العمومية وهو اشتراك الطلاب في إدارة شئونهم عبر الأساليب الديمقراطية. ويدير هذا الاجتماع رئيس الجمعية ويجلس إلى جانبه في المنصة السكرتير وبقية أعضاء اللجنة التنفيذية .

أما الجمعيات الأخرى وهي جمعيات النشاط المصاحب للمنهج فهي تتكون من جمعيات اللغة العربية، التربية الإسلامية، الفنون، التربية، علم النفس، الرياضيات، التربية الرياضية، والموسيقى والمسرح. والاشتراك في هذه^٢ الجمعيات كان اختيارياً بحيث كان بإمكان الطالب أن ينضم إلى الجمعية التي تروق له ويجد نفسه فيها. وتتخلص أهداف هذه الجمعيات في إشباع رغبات الطلاب وتنمية مواهبهم، وتعويدهم على الثقة بالنفس وغرس حب العمل في نفوسهم وتنمية روح الإبداع لديهم وبناء شخصياتهم المستقلة. وليس الغرض من ممارسة هذا النشاط هو قتل الوقت أو إعطاء الطلاب قدراً من الحرية في ممارسته، وإنما كان الغرض منه إعداد طالب اليوم معلم الغد ليكون قادراً على التحمل وأداء الواجب والعيش في بيئات السودان المختلفة .^٣

ثانياً: المعسكرات:

١ - عوض عبد الله أحمد، مصدر سابق.

٢ - مجلة العيد الثامن والعشرون لمعهد التربية شندي، ص ١١ .

٣ - نفس المصدر، ص ٢٧ .

أما المعسكرات فقد كانت تُعدُّ إحدى الحلقات المهمة في سلسلة التدريب العملي والخلفي لطلاب معهد تدريب المعلمين، مما أكسبها أهمية كبرى جعلت منه نشاطاً سنوياً يمتد لمدة سبعة أيام في الشتاء وسبعة أيام أخرى في شهر سبتمبر أو فصل الخريف ، ينتقل خلالها طلاب المعهد سيراً على الأقدام لإقامة معسكرهم في إحدى القرى القريبة من مدينة شندي مثل الدويمات، الكرماب، السيال والقوز وقد كان الهدف من هذه المعسكرات هو :

٣

- ١- تعويد الطلاب على الاعتماد على النفس والصبر والتعاون.
- ٢- دراسة المنطقة المستهدفة بالمعسكر من جميع النواحي.
- ٣- الإسهام في تنمية الريف وتطويره وتنمية الجانب الإنساني من خلال المشروعات الخدمية التي ينفذونها بمنطقة المعسكر.
- ٤- تقوية الصلة بين المعهد والمجتمع من حوله.
- ٥- تقويم الطلاب من خلال إسهاماتهم في المعسكر.
- ٦- توطيد العلاقات الودية بين المعلمين والطلاب.
- ٧- غرس روح البحث في نفوس الطلاب.

وخلال فترة المعسكر التي يرافق فيها الطلاب عدد من معلمهم يعسكر طلاب كل داخلية في قرية من القرى المذكورة بعد تجهيز المعدات اللازمة للمعسكر. وفي المكان المحدد للمعسكر يقوم الطلاب ببناء معسكرهم - الذي غالباً ما كان يتكون من خيام صغيرة لسكنهم - و بإعداد الطعام ويعتمدون على أنفسهم في كل شيء وينفذون برنامجهم الخدمي في القرية التي يقوم فيها المعسكر والمتمثل في القيام ببعض أعمال الصيانة أو الإنشاء في المدارس أو الشفخانات أو الأندية. وفي الأمسيات يمارسون مجموعات من النشاطات الرياضية و الثقافية والاجتماعية المعدة بدقة وذلك بمشاركة أهل المنطقة بالحضور والمساهمة في البرامج و الليالي الترفيهية .

٤

١ - مقابلة مع الأستاذ علي عبد الرحمن ، دفعة العام ١٩٥٢ بمدرسة شندي الريفية باستراحة الجامعة في ٢٠٠٩/٤/١٤ .

٢ - عوض عبد الله أحمد، مصدر سابق

٣ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٣٢

٤ - عوض عبد الله أحمد، مصدر سابق.

ثالثاً: الرحلات

لا يقتصر نشاط طلاب السنة الخامسة على الجمعيات المدرسية والمعسكرات الخلوية فقط. وإنما كانوا يقومون سنوياً برحلات علمية يقصدون فيها كل عام بقعة مختلفة من بقاع الوطن، وذلك بغرض التعرف على أنواع الحياة المختلفة في البلاد، والتدريب على تحمّل المسؤولية وغيرها من الصفات الخلقية. وتستغرق الرحلة ما بين ثلاثة أو أربعة أسابيع يزورون خلالها مناطق مختلفة من البلاد، يلمون بلمحات من تاريخها ويتعرّفون على مختلف أوجه النشاط البشري فيها. ومن أهداف تلك الرحلات أنها كانت تكسب الطلاب خبرات في التخطيط والأشراف والتنفيذ لكل برنامج الرحلة من إعداد للميزانية وترتيبات الترحيل وتجهيز المؤن. كما أنها تنمي لديهم ملكة البحث العلمي وذلك من خلال قيامهم بجمع وتدوين المعلومات والمعارف التي تحصلوا عليها أثناء الرحلة وترتيبها وعرضها في كتيب خاص بالرحلة .^١

رابعاً: عيد المعهد

عيد المعهد عبارة عن مهرجان يقام سنوياً بالمعهد احتفالاً بالذكرى السنوية لقيامه وقد أصبح هذا الاحتفال تقليداً سنوياً للمعهد يعمل به منذ أول احتفال أقيم بالمعهد وحتى العام ١٩٩٤م الذي شهد آخر أعياد المعهد بعد تخريج آخر دفعة من طلابه في مارس ١٩٩٤م والتي صادف تخرُّجها العيد الأربعين للمعهد . ولا نعرف على وجه التحقيق متى احتفل معهد شندي لأول مرة بالذكرى السنوية لقيامه ولكن من المرجح أن يكون ذلك قد حدث في مطلع العام ١٩٥٣م الذي صادف الذكرى السنوية الأولى لقيام المعهد وذلك أسوة بما جرت عليه العادة في المعهد الأم معهد بخت الرضا الذي احتفل بأول عيد له في أكتوبر ١٩٣٥م بعد عام واحد من تأسيسه وظل بعدها يوالي الاحتفال سنوياً بهذه المناسبة .^٣

١ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٣٣.

٢ - عوض عبد الله أحمد، مصدر سابق

٣ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٣٤

كان العيد السنوي للمعهد عبارة عن مهرجان ضخم يعكس نشاطات الطلاب خلال العام ويجسد إبداعاتهم في الجوانب المختلفة، الرياضية، الثقافية، العلمية، والفنية. وقد جرت العادة في معهد شندي أن يتم تنظيم الاحتفال بعيد المعهد في شهري يناير أو فبراير من كل عام ، غير أن هذا الميقات الزمني للاحتفال لم يكن ثابتاً على الدوام وإنما كان يتم تغييره في بعض الأحيان ليتزامن مع بعض المناسبات الوطنية . و قد كانت مهمة الإعداد والتحضير لهذه المناسبة المهمة تقع على عاتق طلاب السنة الخامسة بالمعهد ، الذين كانوا يضطلعون بهذا العبء سنوياً حتى العام ١٩٦٧م. وعندما تغير نظام الدراسة في المعهد إلى نظام الأربيع سنوات أُلقيت هذه المهمة على عاتق طلاب السنة الرابعة تحت إشراف لجنة العيد ، التي كانت تتكون من: ٣

أولاً: اللجنة العامة وتتكون من

- 1- رئيس العيد عميد المعهد
- 2- نائب رئيس العيد أستاذ بالمعهد
- 3- مستشار العيد أستاذ بالمعهد

ثانياً: اللجان الفرعية وتتكون من مجموعة من اللجان جميع أعضائها من الأساتذة وهي:

- (١) لجنة الاستقبال
- (٢) لجنة المشاريع
- (٣) لجنة الموكب
- (٤) لجنة المالية
- (٥) لجنة الضيافة والسكن
- (٦) لجنة الدعاية والإعلام
- (٧) لجنة الصحة

وهذه اللجنة العامة واللجان الفرعية المكونة من أساتذة المعهد كانت تقابلها لجان مناظرة تتكون من الطلاب بيانها كالتالي:

١ - مقابلة مع الأستاذ الطيب المجذوب محمد آخر عميد لمعهد التربية بشندي بمكتبة جامعة شندي بتاريخ

٢٩١١/١١/١٧

٢ - لتعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٥

٣ - مجلة العيد الثامن والعشرون لمعهد التربية شندي، ص ٣٠.

أولاً: اللجنة العامة وتتكون من:

(١) رئيس العيد

(٢) نائب رئيس العيد

(٣) السكرتير

ثانياً: اللجان الفرعية وتتكون من:

(٥) لجنة الموسيقى

(١) لجنة النقل والترحيل

(٦) لجنة الصحة

(٢) لجنة المجلة

(٧) لجنة المسرح

(٣) لجنة التنسيق

(٤) لجنة الرياضة

ومن خلال المشاركة في هذه اللجان كان طلاب المعهد يتدربون على العمل الجماعي وتحمل المسؤولية وانجاز المهام الكبرى. وذلك عن طريق القيام بالتخطيط والتنفيذ لكل النشاطات المتعلقة باحتفالات العيد. أما أساتذة المعهد من أعضاء اللجنة العامة فقد كان دورهم يقتصر على الإشراف على عمل الطلاب وإبداء النصح لهم عند الحاجة. وقد كان هذا يتيح لهم فرص واسعة للتعرف على طلابهم عن قرب وإدراك ميولهم واهتماماتهم الشخصية. والعيد باعتباره مجموعة من الأنشطة التربوية التي يحويها إطار واحد تنحصر في بوتقته كثير من الإنجازات والأعمال المفيدة و مجال واسع لكثير من الطلاب لتحقيق الذات وإبراز طاقاتهم الكامنة. كان يجد تجاوباً منقطع النظير من طلاب المعهد ومشاركة فاعلة من جميع أقسام المعهد وفروعه .

٢

كان العيد يشغل مساحة زمنية تمتد لأربعة وعشرين ساعة أو تزيد يستغرق التحضير لها شهوراً من العمل الجاد والمضني في المسارح ومعامل الفنون وميادين الرياضة. حتى يخرج ذلك اليوم على الهيئة التي ترضي الحضور والمنظمين معاً. ويحتوي برنامج العيد على مجموعة من الفقرات الثقافية والرياضية والفنية وهذه الفقرات يتم توزيعها على ثلاث فترات هي:

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٥.

٢ - مجلة العيد الثامن والعشرون لمعهد التربية شندي، ص ٣٠.

الفترة الأولى أو الفترة الصباحية وتتكون من الاحتفال الخطابي وموكب العيد والعروض الرياضية التي تتضمن ألعاب رياضية صغيرة يشارك فيها تلاميذ المدرسة الأولية وأطفال روضة المعهد. ومنافسات رياضية في الألعاب الفردية وعروض عسكرية لطلاب التدريب العسكري. يعقبها طواف المشاركين على المعارض المتنوعة التي تعكس نشاطات الطلاب وتبرز مواهبهم من خلال أعمالهم الفنية المشاركين بها في هذه المعارض. وتتعدد مشاركات الطلاب في المعارض بتعدد وتنوع هذه المعارض حيث كانت هنالك معارض للرسم والتلوين، والخط العربي، والموسيقى، والتربية العملية. كما كانت هنالك مساحة مُقدّرة في الجزء الشمالي من المعهد مخصصة لمعارض شعبة التربية الريفية .

في فترة ما بعد الظهر - والتي كانت تمتد من الساعة الرابعة عصراً إلى الخامسة عصراً - كان يتم تقديم برنامج الفترة الثانية التي كانت تمثل الجزء الأول من البرنامج المسائي لعروض العيد الرياضية. وغالباً ما كانت الفترة المسائية هذه تبدأ في تمام الرابعة عصراً وتتكون فقرات العرض الرياضي المسائي من مجموعة من المباريات، في مختلف ضروب الرياضة التي تشمل كرة القدم والسلة والطائرة وألعاب الميدان والمضمار و الألعاب الفردية الصغيرة، وذلك في إطار التنافس الشريف بين منازل المعهد الأربعة أركويت والتاكا وسنار وسواكن من أجل إحراز لقب البطولة في تلك الألعاب .

الفترة الثالثة من برنامج احتفالات عيد المعهد هي الفترة المسائية التي كانت تستمر من الساعة مساءً وحتى الحادية عشر ليلاً ، وهي عبارة عن ليلة فنية كبرى تقام بالمسرح يرتادها عدد كبير من مواطني مدينة شندي وضواحيها، يتفاعلون باهتمام لا تنقصه السعادة مع ما يقدمه الطلاب خلال هذه الليلة من عروض مسرحية وأناشيد وأغانى وطنية ومدائح نبوية وإلقاء شعري. وتعتبر هذه

١ - مجلة العيد الثامن والعشرون لمعهد التربية شندي، ص ٢٤ .

٢ - نفس المصدر، ص ١٣ .

٣ - نفس المصدر، ص ٢٤ .

٤ - مجلة العيد الثامن والعشرون لمعهد التربية شندي، ص ٣٠٠ .

الليلة التي تتجلى فيها إبداعات طلاب المعهد بمثابة المهرجان الختامي لبرامج احتفالات المعهد بعيده السنوي.

خامساً: النشاط الرياضي والثقافي

كان طلاب المعهد والمدرسة الريفية يسكنون في داخلية المعهد التي كانت تنقسم إلى أربعة منازل هي المتممة و شندي والحوش وسلوه غيرت إلى أركويت والتاكا وسنار وسواكن. و يضم كل منزل من هذه المنازل عدداً من الطلاب من السنة الأولى وحتى السنة الخامسة ولاحقاً من السنة الأولى إلى السنة الثالثة وقد كان هؤلاء الطلاب ينخرطون في منافسات رياضية فيما بينهم من خلال إقامة مباريات بين هذه المنازل، في منشط كرة القدم والكرة الطائرة وكرة السلة وألعاب المضمار، بغية إحراز كأس البطولة في هذه المنافسات التي كانت تجرى تحت إشراف مجموعة من الأساتذة ضباط الداخلية .

أما النشاطات الثقافية فقد كانت تشتمل على ثلاثة أنشطة هي الصحافة المدرسية والجمعية الأدبية وليالي السمر التي كان يقيمها الطلاب بطريقة دورية بين المنازل. وهذا النشاط الثقافي والرياضي العريض الذي كان ينتظم منازل الطلاب وكانت تخصص له جوائز وكؤوس ، تقدم للمنازل الفائزة في مختلف النشاطات. كان يهدف إلى توطيد روح الإخاء والتنافس الشريف بين الطلاب وملء أوقات الفراغ والترويح وبناء الأجسام وغرس روح البحث والشجاعة الأدبية وحسن البيان واكتساب مهارة الكتابة لدى الطلاب. كما كان يهدف إلى تدريبهم على مختلف جوانب الإبداع المسرحي المتمثلة في التمثيل والإلقاء والأعمال الموسيقية وغيرها بالإضافة إلى الإلمام بإعداد المسرح وإدارته .

سادساً: التدريب العسكري

فيما يتعلق بالتدريب العسكري فقد كان طلاب السنة الخامسة يتلقون جرعات تدريبية زائدة في شتى النواحي خاصة في التربية الريفية والتربية البدنية والفنون والتدريب العسكري وإدارة الجمعيات. وخلال هذه الفترة كان الطلاب

١ - عوض عبد الله أحمد، مصدر سابق.

٢ - نفس المصدر.

٣ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٣٧ و٣٨.

يمنحون قدراً من الحرية في تصرفاتهم وأعمالهم بغرض قتل روح الخوف والتردد في نفوسهم وتحريرهم من الضغوط القاتلة للمواهب و المغيبة لروح الابتكار ، بجانب رفع مستوى الإدراك لدى الطلاب وتدريبهم على تحمّل المسؤولية وغيرها من الصفات الخلقية الأخرى. وفي هذا الإطار كان يندرج التدريب العسكري الذي كان يهدف إلي غرس قيم التحلي بالشجاعة والفداء والصبر والانضباط والنظام في نفوس الطلاب .

٢

والتدريب العسكري بمعهد التربية شندي كان يُعدُّ نشاطاً إجبارياً لطلاب السنتين الخامسة والسادسة ، يمارس في الأمسيات تحت إشراف أحد العسكريين المتقاعدين. وعندما تغير نظام الدراسة بالمعهد إلى نظام السنوات الأربعة أصبح نشاط التدريب العسكري إلزامياً لطلاب المعهد من السنة الأولى وحتى السنة الثالثة، يمارس مرتين أسبوعياً طيلة العام يتدرج خلاله الطلاب في سلك الرتب العسكرية التي كان يصادق عليها عميد المعهد حتى نهاية السنة الثالثة من سنوات دراستهم بالمعهد .

٤

٢-١-٢ السنة السادسة:

حتى العام ١٩٦٩م حيث تخرج آخر فوج من طلاب المعهد الذين درسوا بنظام السنتين .كانت السنة السادسة تعتبر السنة النهائية في برنامج إعداد طلاب معهد تدريب المعلمين بشندي ينتقل إليها الطالب بعد اجتياز الامتحان النهائي لطلاب السنة الخامسة بنجاح. وحياة الطالب في السنة السادسة تختلف إلى حد كبير عن حياته في السنة الخامسة وذلك لأن الطالب في هذه المرحلة كان يخضع لإعداد خاص يؤهله للحياة الجديدة التي تترقبه من خلال المنهج الذي أعد له في هذه السنة من حياته الدراسية بالمعهد. ويرتكز منهج إعداد طلاب السنة النهائية

١ - متنوعات ١٢١/٨/١ ص ٢٢ .

٢ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٣٨ .

٣ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٥ .

٤ - كلية التربية جامعة شندي، مركز أحمد إدريس الأرباب للتطوير التربوي، سجلات معهد التربية شندي .

٥ - مجلة العيد الرابع والعشرون لمعهد التربية شندي، ١١ فبراير ١٩٧٧، معهد التربية شندي، ص ٩ .

٦ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٥ .

سواء أن كان ذلك على أيام نظام السنتين أو نظام السنوات الأربع أو نظام العام
إجمالاً على أربعة محاور هي :

أ/الدراسة الأكاديمية.

ب/التدريب الخلفي.

ج/التدريب العملي على التدريس.

د/النشاط الخارجي.

أ/الدراسة الأكاديمية:

في السنة النهائية من سنوات دراستهم كان طلاب المعهد يتلقون دراسات
أكاديمية، في مبادئ التربية، وطرق التدريس، وعلم النفس التربوي.بالإضافة إلى
جرعات أكاديمية في العلوم الأخرى وفقاً للمنهج الذي تم تصميمه لهذا الغرض،
بالصورة التي تتناسب مع الجرعات الأكاديمية التي تم توزيعها على السنوات
السابقة لهذه السنة من سنوات الدراسة بالمعهد، مع الأخذ في الاعتبار التغيرات
التي لحقت بنظام الدراسة في المعهد خلال سنوات عمرة الاثنان وأربعون
والدراسة الأكاديمية بالنسبة لطلاب السنة النهائية كانت تهدف إلى إعدادهم
كمدرسين صالحين، وإلى استكمال النقص في ثقافتهم العامة وتوجيههم إلى
مصادر المعرفة والتثقيف الذاتي .

ب/ التدريب الخلفي:

هذا النوع من التدريب لم يكن قاصراً فقط على طلاب السنة النهائية ولكنه
كان تدريباً متصلاً يخضع له طلاب المعهد منذ التحاقهم به في السنة الأولى،
عبر مشاركتهم في النشاطات المختلفة الإلجبارية والاختيارية والعيش في داخلية
المعهد. ولكن وعلى الرغم من ذلك فقد كان التدريب الخلفي يمثل محورا قائما
بذاته في منهج إعداد طلاب السنة النهائية بالمعهد طلاب اليوم أساتذة الغد
بالمدارس الأولية أو الإبتدائية، وذلك عبر قيامهم بنشاطات تهدف إلى غرس قيم
أو صفات خلقية معينة في نفوسهم مثل النشاط الجسماني و النشاط العقلي
والمثابرة والثقة الاعتماد على النفس ومعرفة النفس والابتكار وضبط النفس

١ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٤٤ .

٢ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٤٤ .

والقيادة والطاعة والموضوعية والإخلاص، والولاء،
والمروءة، والمجاملة. ويكتسب طلاب السنة النهائية معظم هذه القيم كما ذكرنا
سابقاً عبر مشاركتهم في النشاطات، وقيامهم بالمسؤوليات التي كانت تسند إليهم
والحياة في الداخلية والمظهر الخارجي و نادي طلب السنة النهائية.
أولاً: الحياة في الداخلية

بعد أن ينتقل طلاب السنة الخامسة إلى السنة السادسة أو طلاب السنة
الثالثة إلى السنة الرابعة، فإنهم ينتقلون للسكن في داخلية منفصلة عن داخلية بقية
طلاب المعهد يسكنون فيها بنظام (الميسات) يديرون شؤونهم وحدهم،
ويتصرفون في إعانات غذاءاتهم الشهرية ويعدون وجباتهم تحت توجيه وإرشاد
أحد الأساتذة المسؤولين عن هذا الجانب من التدريب ويسمى ضابط الداخلية، ،
ويضم كل (ميس) عدداً من الطلاب يختارون من بينهم رئيساً بالتناوب لمدة خمسة
عشر يوماً بحيث يتدرب كل منهم على الإشراف على (الميس)، وينظم الطلاب
حياتهم في (الميس) بالصورة التي تؤهلهم لحياتهم المقبلة كمدرسين في
المرحلة الأولية أو الابتدائية .

ثانياً: المظهر الخارجي

إن الالتزام بالمظهر الخارجي الحسن لطلاب المعهد و المتمثل في ارتداء
الزّي المدرسي خلال ساعات اليوم الدراسي والظهور بالمظهر اللائق خلال
الساعات المتبقية من اليوم ، لم يكن أمراً مرغوباً فيه فقط بالنسبة لطلاب السنة
النهائية من طلاب المعهد الذين كان يجري إعدادهم لحياتهم الجديدة كمدرسين
بالمرحلة الأولية فحسب. وإنما كان أمراً مطلوباً بالنسبة لجميع طلاب المعهد
الذين دائماً ما كان ينظر إليهم المجتمع الكبير من حولهم كنواة لبذرة صالحة
ينتظر منها الكثير في المستقبل. لذلك كان الالتزام بالمظهر الخارجي اللائق أمراً
حتمياً لكل طلاب المعهد.

١ - نفس المرجع، ص ٤٧ و ٤٨.

٢ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٥.

٣ - عوض عبد الله أحمد، مصدر سابق.

٤ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٥.

ثالثاً: نادي السنة السادسة

إلى الشرق من الداخلية الغربية لمعهد التربية شندي التي شيدت في العام ١٩٦٢ شيد نادي طلاب السنة السادسة ليكون أكثر قرباً لمن داخلية الطلاب. وفي هذا النادي يقضي الطلاب أمسياتهم ويمارسون فيه نشاطات اجتماعية وثقافية محببة إلى النفس ومبرأة من العيوب والشوائب . وللنادي دستور ولوائح داخلية تنظم أعماله ويدار بواسطة لجنة تنفيذية يتم انتخابها على أساس ديمقراطي من بين طلاب السنة النهائية، وهذه اللجنة تنبثق منها لجان أخرى تشرف على نشاطات النادي المختلفة الثقافية والرياضية والفنية تحت إشراف مستشارين من الأساتذة . والنادي بهذا الشكل كان يعتبر وسيلة فعالة لنشر الروح الاجتماعية والثقافية بين الطلاب تمكنهم من أن يكونوا أعضاء صالحين في المجتمع الكبير الذي ينتظرهم بعد تخرجهم .

٣

ج /التدريب العملي على التدريس:

حينما ينتقل الطالب للسنة النهائية بالمعهد فإنه حينئذ يبدأ أولى خطوات عمله كمدرس في المرحلة الأولية وذلك عبر برنامج تدريبيه العملي على التدريس أو ما كان يطلق عليه الأعداد المهني لطالب السنة النهائية، وفي هذه المرحلة يتلقى الطلاب دروساً في طرق التدريس في كل المواد التي تدرّس بالمرحلة الأولية، ويمارسون التدريس من خلال أداء بعض الحصص في بعض الفصول بالمدرسة الأولية الملحقة بالمعهد. وقد كان يعقب كل حصة من تلك الحصص التي يؤديها أحد الطلاب نقاش مستفيض يشارك فيه مدرسي طرق التدريس و مجموعة من الطلاب في المجموعة المعنية تحت إشراف المعلم المختص في المادة المعنية . وأحيانا كان تتم مناقشة الطالب بعد أداء حصته على شكل منفرد من قبل مدرس الطريقة.

١ - مجلة العيد الرابع والعشرون لمعهد التربية شندي، ١١ فبراير ١٩٧٧، معهد التربية شندي، ص ٩ .

٢ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٥ .

٣ - نفس المصدر، ص ٦٥ .

٤ - عوض عبد الله أحمد، مصدر سابق.

كذلك كان طلاب السنة النهائية يشهدون حصص المعاينات الأسبوعية التي كانت تعقد بحجرة المعاينات وهي عبارة عن حصص نموذجية يؤديها معلم ذو خبرة وتجربة عريضة في مجاله يعقبها أيضا نقاش مستفيض يشارك فيه المعلمون والطلاب معاً . وقد كانت حصص المعاينات هذه تتيح للطلاب مناقشة الأفكار الواردة في كتب الطريقة ومرشد المعلم مناقشة تفصيلية مقرونة بالممارسة العملية مما يجعلهم أكثر قدرة على ممارسة التدريس في مقبل أيامهم بوعي وفهم عميقين .

٢

في منتصف العام كان الطلاب يخضعون لنوع مهم من أنواع التدريب العملي، وهو ما كان يعرف بشهر التدريب في المدارس. وفي هذا النوع من التدريب يختار كل طالب احدي المدارس الأولية أو الابتدائية في ناحية من نواحي الوطن، وغالبا ما تكون في المدينة أو القرية التي قدم منها يقضي فيها شهرا، يتدرب خلاله على التدريس تحت إشراف ناظر المدرسة، وخلال هذا الشهر، يقوم عدد من معلمي المعهد بمتابعة الطلاب في مدارسهم ويقومون بكتابة التقارير حول أداءهم . كما كان يطلب من نظار تلك المدارس كتابة تقارير عن هؤلاء الطلاب تشمل جوانب الأداء والسلوك ونشاط الطالب في المدرسة. وقد كان يستفاد من هذه التقارير في تقدير مستوى الطالب عند تخرجه .

٤

د/النشاط الخارجي:

إلى جانب عملهم في فصول المدرسة الأولية ودراسة المواد العلمية وطرق التدريس، فقد كان طلاب السنة النهائية ينخرطون في معظم نشاطات وأعمال المعهد يوالون نشاطهم في جميع النواحي، الرياضية، والبدنية، والثقافية .

١ - نفس المصدر

٢ - عثمان أحمد الأمين ، مرجع سابق، ص ٥٠ .

٣ - عوض عبد الله أحمد ، مصدر سابق

٤ - عثمان أحمد الأمين، مرجع سابق، ص ٥١ .

٥ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٥ .

بعد إكمال المنهج المرسوم لطلاب السنة النهائية بمعهد التربية
شندي بمرتكزاته الأربع التي تناولناها في الفقرات السابقة والنجاح في
الامتحانات النهائية، يتخرج الطالب في معهد التربية شندي ويمنح شهادة
تؤهله للعمل كمدرس في المدارس الأولية أو الابتدائية . وفي هذا الجانب
فقد خرج المعهد منذ تأسيسه وحتى العام ١٩٦٩، قبل أن يتغير نظام
الدراسة فيه إلى نظام السنوات الأربع، ستة عشر دفعة من طلابه بنظام
السنتين بلغ عددهم ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون طالبا من مختلف
أرجاء السودان. والجدول أدناه يبين عدد خريجي كل دفعة.

جدول رقم (١٨)

خريجو معهد تدريب المعلمين شندي نظام العامين

م	سنة التخرج	ترتيب الدفعة	عدد الخريجين
٩	١٩٦٢	التاسعة*	١٠٢
١٠	١٩٦٣	العاشرة	١١٨
١١	١٩٦٤	الحادية عشر	١١٨
١٢	١٩٦٥	الثانية عشر	١٤٦
١٣	١٩٦٦	الثالثة عشر	١١٣
١٤	١٩٦٧	الرابعة عشر	٦٠
١٥	١٩٦٨	الخامسة عشر	١٢٦
١٦	١٩٦٩	السادسة عشر	١٣٥
	المجموع	١٣٤١	

م	سنة التخرج	ترتيب الدفعة	عدد الخريجين
١	١٩٥٤	الأولى	٢٤
٢	١٩٥٥	الثانية	٣٠
٣	١٩٥٦	الثالثة	٦٠
٤	١٩٥٧	الرابعة	٦٤
٥	١٩٥٨	الخامسة	٥٩
٦	١٩٥٩	السادسة	٦٢
٧	١٩٦٠	السابعة	٦٠
٨	١٩٦١	الثامنة	٦٤

المصدر، مجلة العيد الرابع والعشرون لمعهد التربية شندي، ص ٣

١ - مجلة العيد الرابع والعشرون لمعهد التربية شندي، ١١، فبراير، ١٩٧٧، ص ٣.

* هذه الدفعة فصل جميع طلابها ما عدا اثنين قبل تخرجهم بأسابيع بسبب مشاركتهم في اعتصام ولاحقا أعيدت الدفعة للمعهد وتخرجت.

في فبراير ١٩٦٩ تمّ رفع معهد التربية شندي إلى ثانوي المعلمين، يدرس فيه الطلاب لمدة أربع سنوات بعد إكمال المرحلة الوسطى مع ثمانية معاهد أخرى هي بخت الرضا، الفاشر، كسلا، الدنج، كلية المعلمات أم درمان، كلية المعلمات ود مدني، المعهد العالي للتربية البدنية، وكلية المعلمين لطلبة السنة السادسة. وهذا المشروع كان قد بدأ في المعهد في العام ١٩٦٨ بأربعة أشهر بعدد مائة تسعة وعشرون طالب، وقد كانت الدفعة التي تم قبولها بالمعهد في العام ١٩٦٧م آخر دفعة يتم قبولها بنظام العامين بالمعهد.

استمرت تجربة نظام السنوات الأربع بمعهد التربية الابتدائي بشندي وفق منهج جديد اعد لهذا الغرض لا يقل في وزنه عن منهج المرحلة الثانوية. وقد صاحب تطبيق تلك التجربة إدخال نظام التدريب العسكري على طلاب المعهد من السنة الأولى إلى السنة الثالثة، بغرض إكساب الطلاب المزيد من روح النظام وقوة الاحتمال. وقد قام المعهد خلال الفترة الممتدة بين العام ١٩٧٢ وحتى العام ١٩٩٤ بتخريج تسعة عشر دفعة بنظام السنوات الأربعة عدد طلابها (٢٣٤٩) ألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون طالباً. والجدول أدناه يبين عدد خريجي كل دفعة على حدا مع الإشارة إلى أن العامين ١٩٩٣ و١٩٩٤ شهدا تخريج دفعتين متتاليتين من طلاب معهد تدريب المعلمين بكسلا، في معهد شندي .

٣

جدول رقم (١٩)

خريجو معهد التربية شندي نظام السنوات الأربع:

١ - تربية وتعليم ١٢/٣/١٢/١ ص ٤٨.

٢ - تربية وتعليم ٥/١/١ ص ٦٥.

٣ - مجلة العيد الرابع والعشرون لمعهد التربية شندي-١١/٢/١٩٧٧، ص ٣، وسجلات معهد التربية شندي، مركز أحمد إدريس الأرباب، ووزارة التربية والتعليم، إدارة امتحانات السودان، نتيجة امتحانات السنة الرابعة بمعهد التربية شندي للسنوات ١٩٩٤، ١٩٩٣، ١٩٩٢، ١٩٩١، ١٩٩٠، ١٩٨٩.

م	سنة التخرج	ترتيب الدفعة	عدد الخريجين
١	١٩٧٢	السابعة عشر	١٣١
٢	١٩٧٣	الثامنة عشر	١٢٤
٣	١٩٧٥	التاسعة عشر	٢٠٩
٤	١٩٧٦	العشرون	١٧٠
٥	١٩٧٨	الثانية والعشرون	١٧٩
٦	١٩٧٩	الثالثة والعشرون	١٦١
٧	١٩٨٢	الرابعة والعشرون	١٣٥
٨	١٩٨٣	الخامسة والعشرون	١٥٧
٩	١٩٨٤	السادسة والعشرون	٧٥
١٠	١٩٨٥	السابعة والعشرون	٥٥
١١	١٩٨٦	الثامنة والعشرون	١٠١
١٢	١٩٨٧	التاسعة والعشرون	٧٨
١٣	١٩٨٨	الثلاثون	٦٢
١٤	١٩٨٩	الحادية والثلاثون	٧٦
١٥	١٩٩٠	الثانية والثلاثون	١١٨
١٦	١٩٩١	الثالثة والثلاثون	٨٥
١٧	١٩٩٢	الرابعة والثلاثون	٩٣
١٨	١٩٩٣	الخامسة والثلاثون	١٤٠
١٩	١٩٩٤	السادسة والثلاثون	٢٠٠
		المجموع	٢٣٤٩

في العام ١٩٧٦ بدأ معهد التربية شندي يقبل طلاباً من الذين أكملوا دراسة المرحلة الثانوية بنجاح للدراسة فيه لمدة عام واحد يتلقون خلاله تدريباً عملياً ونظرياً يؤهلهم في نهايته للعمل مدرسين بالمدارس الابتدائية وهذا ما أُصطلح على تسميته بنظام العام الواحد. وقد قام المعهد خلال السنوات الممتدة بين

عامي ١٩٧٧ و ١٩٨٥ م بتخريج أربعة دفعات بنظام العام الواحد مجموع طلابها (٢٠٨) مائتان وثمانية طالب من مختلف أنحاء السودان!
والجدول أدناه يُبين الدفعات المُتخرجة بنظام العام في معهد التربية شندي،
وتعداد الخريجين في كل دفعة.

جدول رقم (٢٠)

خريجو معهد التربية شندي نظام العام.

م	السنة	ترتيب الدفعة بالنسبة لجميع خريجي المعهد	ترتيب الدفعة بالنسبة لنظام العام	عدد الخريجين
١	١٩٧٧	٢١	الأولى	٨٤
٢	١٩٧٨	٢٢	الثانية	٥٣
٣	١٩٧٩	٢٣	الثالثة	٣٨
٤	١٩٨٥	٢٧	الرابعة	٣٣

ومن الجداول أعلاه يتبين لنا أن معهد التربية شندي منذ تخريج اول دفعة من طلبته في ابريل ١٩٥٤ وحتى الحاقه بجامعة شندي في عام ١٩٩٤، قد قام بتخريج ستة وثلاثون دفعة من طلابه تعداد طلابها ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وتسعون طالباً (٣٨٩٨) منهم (١٤١) مائة وواحد وأربعون طالباً من معهد كسلا تم تخريجهم في الدفعتين الخامسة والثلاثون والسادسة والثلاثون.
٥ - ٢ - ١ - ٣ المدارس ذات الفصلين:

منذ وقت ليس بالبعيد عرف السودان نمط المدارس النصفية وهي مدارس أولية مكتملة تتكون في الغالب من فصلين فقط الأول والثالث أو الثاني والرابع. وهذا النوع من المدارس لا يقبل سنوياً تلاميذاً بالسنة الأولى بسبب عدم توفر العدد الكافي من الأطفال الذين يغذون المدرسة سنوياً بالعدد اللازم من التلاميذ. ونتيجة لذلك يتم قبول التلاميذ لهذه المدارس مره كل عامين، وغالباً ما تكون هذه المدارس في القرى الصغيرة ذات الكثافة السكانية المتدنية، وقد كان ظهور هذا النمط من المدارس يمثل إحدى المحاولات المبتكرة لمصلحة المعارف وزارة في

١ - جامعة شندي كلية التربية، مركز أحمد إدريس الأرباب، سجلات معهد التربية شندي ملف الخريجين.

سعيها لنشر التعليم النظامي في القرى الصغيرة التي تظهر حماساً ملحوظاً للتعليم النظامي .

أما المدرسة ذات الفصلين فهي شديدة الشبه بالمدرسة النصفية إلا أنها تختلف عنها في إنها كانت تقبل سنوياً تلاميذاً بالسنة الأولى يقل عددهم قليلاً عن أربعين تلميذاً من الجنسين . وتتكون المدارس ذات الفصلين من فصلين كبيرين يستوعب كل منهما فرقتين مختلفتين تجلس كل منهما في جانب مختلف عن الآخر . وقد جرت العادة في هذه المدارس أن يوضع تلاميذ السنة الأولى مع تلاميذ السنة الثالثة في فصل واحد كل فرقة في اتجاه، وكذلك الحال بالنسبة إلى تلاميذ السنة الثانية مع السنة الرابعة . ويحتوي الفصل الواحد في المدرسة ذات الفصلين على خمسين تلميذاً وتلميذة بواقع خمسة وعشرون تلميذاً للفرقة التي تتكون من خمسة عشر تلميذاً وعشر تلميذات . وقد كان الغرض الأساسي من إنشاء هذا النوع من المدارس الشبيهة بالمدارس النصفية، هو تقليل التكلفة المادية للتعليم عن طريق تقليص عدد مباني المدرسة الأولية وعدد المدرسين العاملين فيها إلى النصف . إلى جانب توفير التعليم للأطفال من الجنسين في القرى الصغيرة ذات الكثافة السكانية المنخفضة في بيئتهم الطبيعية، بدلاً من تجميعهم في داخلية المدارس الداخلية التي كانت تكلف الدولة مبالغ طائلة .

٢

في عام ١٩٦٣ تم إنشاء ست مدارس أولية من هذا النوع في خمسة قرى بمنطقة شندي على ضفتي النيل، في القبة الكرماب، السيل الكبير، السيل الصغير، سقادي، الشقالوة ووضعت المدرسة السادسة في معهد تدريب المعلمين بشندي الذي كان يشرف على هذه المدارس إشرافاً كاملاً من الناحية الفنية والإدارية . وذلك ضمن مشروعات المعونة الأمريكية في السودان، وضمت هذه المدارس لمعهد تدريب المعلمين بشندي وسميت بالمدارس ذات الفصلين أو مدارس التجربة، على اعتبار أن هنالك تجربة تعليمية جديدة كانت تجرى فيها

١ - مقابلة مع الأستاذ محمد علي فضل مدير مدرسة التجربة بالشقالوة ١٩٦٣ بمنزلة بمدينة شندي في ٢٠١٠/١١/٣٠ .

٢ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٤ .

٣ - محمد علي فضل، مصدر سابق .

قوامها الأستاذ الواحد في الفصل ذي الفرقتين مع توفير العدد المناسب من الوسائل التعليمية للتلاميذ. وقد تبنى هذه التجربة التعليمية برنامج المعونة الأمريكية بالسودان الذي قام بتشبيد هذه المدارس.

على الرغم من أن هذه المدارس كانت فعلا تناسب القرى الصغيرة وتوفر قدرا من التعليم لأبناء وبنات هذه القرى و إنها كانت أحسن حالا من المدارس النصفية، إلا أنها لم تجد استحسانا من القائمين على أمر وزارة التربية والتعليم لذلك لم تستمر طويلا، و تلاشت هذه المدارس وماتت فكرتها بوفاة الموظف الأمريكي الذي كان يرعاها في العام ١٩٦٧. وبنهاية العام ١٩٦٧ بدأ الشروع في تحويل هذه المدارس إلى مدارس أولية مكتملة ظل بعضها يعمل كمدرسة مختلطة لفترة من الزمن ثم لاحقا تحول بعضها إلى مدارس للبنين أو البنات بعد فصل التلاميذ من الجنسين في مدارس مستقلة لكل .

٥ - ٢ - ١ - ٤ مدرسة المعهد الأولية:

تأسست مدرسة المعهد الأولية في ١٩٥٤/٩/١ بغرض توفير بيئة تعليمية مناسبة وقرية نسبيا ، يتلقى فيها طلاب السنة السادسة بمعهد تدريب المعلمين بشندي تدريبهم العملي جنبا إلى جنب مع تدريبهم النظري في التربية وطرق التدريس وعلم النفس التربوي. وبغرض توفير فرص التعليم الأولي لأبناء مدينة شندي، والقرى المجاورة للمعهد، خاصة القرى الواقعة إلي الشمال من مدينة شندي في زمن تضاءلت فيه فرص الالتحاق بالمدارس الأولية بسبب قلة عددها في المنطقة. وقد كانت المدرسة بهذا الوصف تفتح أبوابا واسعة لطلاب معهد تدريب المعلمين شندي في مجالات التثقيف المهني واكتساب الخبرات الضرورية في مجال التدريس . وفي نفس الوقت تتيح لمجموعات مقدره من أبناء المدينة فرص التعليم الأولي، وعلى هذا فقد كانت المدرسة تقوم بوظيفتين في آن واحد وهذا هو الدور الذي خطط لهذه المدرسة أن تلعبه كاملا خاصة في ما يلي طلاب السنة السادسة بمعهد تدريب المعلمين الذين كانوا يبدأون فيها برنامج

١ - نفس المصدر.

٢ - تربية وتعليم ٩٧/٢٤/٥/٢ ص ٦٠١.

تدريبهم العملي بحصص المعاينات التي لا تقل أهمية عن نواحي التدريب الأخرى بالمعهد .

في عام ١٩٥٤ بدأت المدرسة نشاطها بصورة متواضعة بعض الشيء، حيث بدأت بفرقتين أولى وثانية ، لكل فرقة ثلاث حجات دراسية ساعة الحجرة عشرون تلميذا .وبناء على هذا يمكننا القول بأن المدرسة قد بدأت بمائة وعشرين تلميذا وفرقتين.

في عام ١٩٥٥ نقلت مدرسة شندي الجنوبية الأولية التي تأسست في عام ١٩٤٢ بكل تلاميذها إلى مدرسة المعهد الأولية. وقد شكل هذا الحدث -الذي لا نعرف مسبباته على وجه التحديد- إضافة مقدره لأعداد تلاميذ مدرسة المعهد الأولية، الذين ارتفع عددهم في عام ١٩٦٤ إلى ٥٥٠ تلميذا اغلبهم من مدينة شندي، و اقلية منهم ممن تبعد مساكنهم أكثر من ثلاث كيلومترات تسكن بداخلية المدرسة التي تشغلها حاليا الفصول الجنوبية لمدرسة التدريب الحالية.

في عام ١٩٦٨ وكنتيجة لتوسع معهد التربية شندي في قبول الطلاب بالمعهد تمشياً مع مشروعات التوسع التعليمي التي انتظمت البلاد في حقبة الستينيات فقد ارتفع عدد تلاميذ مدرسة المعهد الأولية في العام ١٩٦٨ إلى تسعمائة تلميذ وهذا العدد يقابل تقريبا الزيادة في أعداد طلاب السنة السادسة الذين يتلقون تدريبهم العملي بهذه المدرسة من ثلاثين طالبا إلى أكثر من مائة وعشرين طالباً موزعين علي أربعة فرق. وهذا العدد الكبير من التلاميذ كان يتم تغذية المدرسة به سنويا من القرى المجاورة لمعهد تدريب المعلمين كما أن المدرسة كانت تستوعب ايضا الفائض من أبناء المدينة الذين لم يسعفهم الحظ بالالتحاق بمدارس المدينة الأخرى .

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٣.

٢ - تربية وتعليم ٩٧/٢٤/٥/٢ ص ٦٠١.

٣ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٣.

٤ - تربية وتعليم ١٢/٣/١٢/١ ص ٢١.

٥ - تربية وتعليم ٩٧/٢٤/٥/٢ ص ٦٠٢.

في مطلع السبعينيات من القرن الماضي وعندما غادرت المدرسة الريفية الوسطى موقعها، الذي تحتله الآن كلية التربية جامعة شندي كانت مدرسة المعهد الأولية- التي ظلت تعمل في موقعها إلى اليوم تؤدي نفس الغرض الذي أسست من أجله- ، تتكون من عشرين حجرة للدراسة تمثل خمس مدارس أولية أو خمس أنهر بعدد تلاميذ يزيد عن تسعمائة تلميذ على أن هذا العدد الكبير نسبياً قد بدأ في التراجع والانخفاض اعتباراً من العام ١٩٧٠، بسبب تغيير نظام الدراسة بالمعهد، والسلم التعليمي معاً . وقد أدى هذا التغيير بدوره إلى أن يتقلص عدد الأنهر بالمدرسة إلى الدرجة التي أصبحت عليها المدرسة اليوم وهي مدرسة من نهر واحد للبنين، أضيفت لها مدرسة أخرى من نهر واحد أيضاً للبنات ، وقد استخدمت المباني التي كانت تستخدم كداخلية للطلاب في الماضي فصول إضافية بالمدرستين حيث اقتضت ضرورات تغيير السلم التعليمي إلى ست سنوات وثمانية سنوات لزيادة فصول المدرستين.

٥ - ٢ - ١ - ٥ مدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى:

تأسست هذه المدرسة في أغسطس ١٩٥٣ بغرض تأهيل المدرسين من خريجي المدارس الوسطى أو المدارس الأخرى المناظرة لها الذين يعملون بالمدارس الصغرى وتحسين مستواهم الأكاديمي ، عن طريق تلقح أفكارهم بالأساليب التربوية الحديثة و إخضاعهم لتدريب نظري وعملي لمدة أربعة أشهر ، يصبحون بعدها مؤهلين للعمل كمدرسين بالمدارس الأولية بعد اجتيازهم هذه الفترة بنجاح، ومنذ البداية فقد احتشد مدرسو المدرسة وركزوا جهودهم في إعداد المنهج المناسب، وإكمال أدوات المدرسة وتيسير معيشة الطلاب وملء فراغهم حتى لا يصطدموا ببيأس البداية ، وقد تم تعيين السيد بآبكر علي كأول مراقب تدريب بالمدرسة التي كانت تتبع رأساً للسيد مفتش التعليم بالمديرية الشمالية حتى

١ - تربية وتعليم ١/٣/١٨٨/٨٤٢.

٢ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٤.

٣ - تربية وتعليم ١/٣٨/١٣٨، ص ٦٨.

يناير ١٩٥٦، عندما آلت مسئوليتها لمعهد تدريب المعلمين شندي الذي أصبح ومنذ ذلك التاريخ يشرف على المدرسة إشرافا كاملا من الوجيهتين الفنية والإدارية . بدأت فكره إنشاء هذه المدرسة تراود أذهان المسؤولين عن التعليم في المديرية الشمالية منذ وقت مبكر، ولكن المدرسة بدأت عملها - بعد عام واحد من قيام معهد التربية شندي - في أغسطس ١٩٥٣ رغم العقبات التي وقفت في طريقها والمتمثلة في عدم اكتمال المباني ونقص الأدوات، بعدد خمسة وعشرين طالباً من مختلف مديريات السودان، يخضعون لتدريب نظري بالمدرسة، ويتلقون تدريبهم العملي بمدرسة الاستقلال الأولية الملحقة بمدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى.

وتتكون مباني المدرسة التي وضعت في موقع مبنى قسم العيون الحالي بمستشفى شندي التعليمي، من بناية إحداهما هي مباني مدرسة الاستقلال الأولية التي كانت تستخدم لأغراض التدريب العملي لطلاب مدرسة التدريب حتى العام ١٩٧٠، والبناية الأخرى كانت تضم داخلية الطلاب والمرافق الملحقة بها من حمامات وسفرة طعام ومطبخ، وهذه البناية كانت تقع إلى الشمال من البناية الأولى وتعرف حالياً بالباستيل .

ظلت مدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى هذه تلعب دورها المرسوم لها في تدريب وتأهيل معلمي المدارس الصغرى، من كل أنحاء السودان منذ العام ١٩٥٣ ولمدة سبعة عشر عاماً حتى العام ١٩٧٠، وهو العام الذي صادف انتهاء الازدواجية في التعليم الأولي عن طريق التخلص نهائياً من المدارس الصغرى، وذلك إما عبر رفعها إلى مدارس أولية كاملة أو تجفيفها. وقد ظلت عملية رفع المدارس الصغرى إلى مدارس أولية مكتملة تتم بصورة متوازية مع عملية تأهيل معلمي المدارس الصغرى للعمل بالمدارس الأولية ومضاعفة أعداد الطلاب المقبولين بمعاهد تدريب المعلمين.

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٦٤.

٢ - تربية وتعليم ١/٣/٣٨/١٣٨، ص ٦٨.

في عام ١٩٧٠م تمّ تجميع العدد المتبقي من مُدرسي المدارس الصُغرى بمدرسة تدريب مُعلمي المدارس الصغرى بشندي، وأُخضعوا لتدريب نظري لمدة ثلاثة أشهر أعقبة امتحان تمخض عنه استيعاب الطلاب الناجحين فيه بالمدارس الأولية، أما الذين لم يسعفهم الحظ بالنجاح في هذا الامتحان، فقد تم استيعابهم في المجالس البلدية والريفية ، أو أجهزة الحكم المحلي أو تعليم الكبار كموظفين، وبذلك تكون هذه المدرسة قد أدت دورها - الذي وصل إلى نهايته في عام ١٩٧٠م - كاملاً في تأهيل وتدريب مُعلمي المدارس الصغرى .

٥ - ٢ - ١ - ٦ مدرسة الاستقلال الأولية التابعة لمدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى:

تأسست مدرسة الاستقلال الأولية في عام ١٩٥٦ ، لتعمل كمدرسة لتدريب طلاب مدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى التي تأسست قبلها بستين، وقد وضعت المدرسة في مباني الجيش القريبة من مستشفى شندي التي كانت تستخدم كمخازن للجيش، بعد إجراء الترميمات والتعديلات اللازمة عليها، وقد روعي عند اختيار هذا الموقع كمقر للمدرسة مدى ملاءمته لغرض إنشائها كمدرسة تدريب لمدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى، حيث وضعت المدرسة بالقرب منها في موقع يتوسط المدينة ويليق بالتعليم، كما روعي في هذا الإختيار ايضاً أنها كانت تقع بالقرب من بناية استخدمت لسكن أحد أساتذة مدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى، كما توجد بجوارها ثلاثة قطع أراضي يمكن استخدامها كمنازل للمدرسة في المستقبل .

تقبل مدرسة الاستقلال الأولية التلاميذ من مدينه شندي والقرى المجاورة سنويا، وقد ظلت المدرسة تستخدم لأغراض تدريب طلاب مدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى منذ تأسيسها وضمها لمعهد تدريب المعلمين شندي في ١٩٥٦ وحتى العام ١٩٧٠ . وقد تكونت المدرسة قّي بدايتها من أربعة فصول صغيرة

١ - مقابلة مع الأستاذ عباس حسين خريج معهد تدريب المعلمين شندي ١٩٥٧، بمنزلة في ١١/١٢/٢٠١٠.

٢ - تربية وتعليم ٩٧/٢٤/٥/٢، ص ٦٠٣

٣ - تربية وتعليم ٩٤/١٢/١

١
تتسع لحوالي خمسة وعشرين تلميذاً يتم قبولهم سنويا بالمدرسة معظمهم من أبناء مدينة شندي. وفي العام ١٩٧١ وكنتيجة لانتهاه دور مدرسة تدريب معلمي المدارس الصغرى بعد انتهاء الازدواجية في التعليم الأولي وتغير السلم التعليمي، انتقلت المدرسة من موقعها الذي يشغله الآن قسم العيون بمستشفى شندي التعليمي ، إلى موقع آخر يقع إلى الغرب قليلا من الموقع السابق كمدرسة ابتدائية مستقلة عن معهد التربية الابتدائي الذي اكتفى بمدرسة المعهد الأولية الملحقة به كوعاء تدريبي لطلاب السنة الرابعة بالمعهد. أما مدرسة الاستقلال الابتدائية فقد اكتفت هي الأخرى بكونها ثالث مدرسة أولية للبنين على مستوى مدينة شندي.

٥ - ٣ مركز التنمية الاجتماعية شندي:

في مطلع العقد السابع من القرن العشرين شهدت مدينة شندي قيام مؤسسة تعليمية فريدة من نوعها تختلف عن مؤسسات السلم التعليمي المعهودة التي عرفتها البلاد منذ مطلع القرن العشرين، وعن معاهد تدريب المعلمين التي انتشرت في البلاد. هذه المؤسسة الفريدة هي المركز القومي للتنمية الاجتماعية الذي تأسس بمدينة شندي في عام ١٩٦٠ بتعاون مشترك في مجال محو الأمية والتنمية الاجتماعية وترقية المجتمع بين حكومة السودان ممثلة في وزارة التربية والتعليم، والأمم المتحدة ممثلة في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو). بهدف تدريب وتأهيل العاملين في حقل تنمية المجتمع وإجراء التجارب الميدانية ، واستحداث أساليب جديدة في تنمية المجتمع، تناسب الريف السوداني وهو الأول من نوعه في السودان والثاني في أفريقيا بعد معهد التربية الأساسية بسرس اللين بجمهورية مصر العربية.

الموقع:

(١) مبنى للإدارة.

(٢) قاعة كبرى تتسع لمائتي شخص.

(٣) ثلاث قاعات أخرى سعة الواحدة منها ستون شخصاً.

١ - محمد علي فضل ،مصدر سابق

٢ - وزارة التربية والتعليم،إدارة تعليم الكبار،المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار،شندي،ص.١.

٣ - نفس المصدر ،ص ١.

- (٤) قاعة صغيرة سعتها خمسون شخص.
- (٥) استراحة للرجال تتسع لستة وثلاثون دارساً.
- (٦) ست غرف لكبار الزوار والمحاضرين تتسع لاثني عشر شخصاً.
- (٧) استراحة للنساء تتسع لستين دارسة.
- (٨) قاعة طعام (سفرة) تتسع لتسعين شخص.
- (٩) مكتبة.

بدأ المركز نشاطه في عام ١٩٦٠ تحت إدارة خبير هندي مندوب من هيئة اليونسكو هو المستر (راو) الذي شغل وظيفة مراقب المركز حتى العام ١٩٦٣ وقد شرع المستر راو خلال تلك الفترة في تنظيم نشاط المركز و وضع الهياكل الإدارية والتنظيمية له في طور الأول له والذي استغرق أحد عشر عاما متصلة من العام ١٩٦٠ وحتى العام ١٩٧١، تعاقب خلالها على وظيفة مراقب المركز إلى جانب المستر راو ثلاثة مراقبين بيانهم في الجدول التالي :

جدول رقم (٢١)

مراقبو مركز التنمية الاجتماعية في الفترة من العام ١٩٦٠ وحتى العام

١٩٧١م

م	الاسم	الوظيفة	تاريخ شغل الوظيفة	المدة بالسنة
(١)	المستر راو	مراقب	١٩٦٠-١٩٦٣	٣
(٢)	أبو زيد موسى	مراقب	١٩٦٣-١٩٦٦	٣
(٣)	عبد العزيز علي أحمد	مراقب	١٩٦٦-١٩٦٩	٣
(٤)	النور عبد السيد	مراقب	١٩٦٩-١٩٧١	٢

المصدر، وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار، شندي، سجلات المركز.

في هذا الطور ركز المركز نشاطه في السعي لترقية وتطوير المجتمعات الريفية في الريف السوداني ، وذلك عن طريق استقطاب مجموعات من العاملين في حقل تنمية المجتمع وإخضاعهم لدورات تدريبية في مجالات تنمية المجتمعات الريفية. تؤهلهم للعمل بالريف السوداني لمعاونة تلك المجتمعات على

١ - وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار، شندي، سجلات المركز .

تحسين مستواها المعيشي وتوجيهها للاستفادة القصوى من الخدمات التي تقدمها لهم المصالح الحكومية الموجودة في مناطقهم . وقد استهل المركز نشاطه في أغسطس ١٩٦٠ بتدريب دفعة من ثلاثين دارسا من مدرسي المدارس الأولية الذين قضوا فترة خمسة أعوام ، في التدريس بالمدارس الأولية . وقد تلقت هذه الدفعة تدريبا نظريا وعمليا في مكافحة الأمية والخدمات المكتبية والاقتصاد الريفي والتغذية والزراعة والصحة والتعاون وعلم الاجتماع الريفي ، و علم نفس تعليم الكبار والأعمال اليدوية الريفية وغيرها من المعارف التي تهدف إلى ترقية المجتمع . وقد بلغ عدد الذين تلقوا تدريبا من هذا النوع في دورات تدريبية طويلة - تُسمى الدورات الأساسية - مدتها عشرة أشهر حوالي مائتين وواحد وتسعون مرشدا ومرشدة خلال أحد عشر عاما . في احد عشر دورة تدريبية بيانها في الجدول التالي^٢:

جدول رقم (٢٢)

الدورات الأساسية بمركز التنمية في الفترة من العام ١٩٦٠ وحتى العام ١٩٧١

م	النشاط	التاريخ	ترتيب الدفعات	عدد الخريجين
١	تنمية المجتمع	١٩٦٠-١٩٦١	الأولى	٢٩
٢	تنمية المجتمع	١٩٦١-١٩٦٢	الثانية	٢٤
٣	تنمية المجتمع	١٩٦٢-١٩٦٣	الثالثة	٢٨
٤	تنمية المجتمع	١٩٦٣-١٩٦٤	الرابعة	٢٣
٥	تنمية المجتمع	١٩٦٤-١٩٦٥	الخامسة	٢٧
٦	تنمية المجتمع	١٩٦٥-١٩٦٦	السادسة	٣٢
٧	تنمية المجتمع	١٩٦٧-١٩٦٧	السابعة	٢٧
٨	تنمية المجتمع	١٩٦٧-١٩٦٨	الثامنة	٣٣
٩	تنمية المجتمع	١٩٦٨-١٩٦٩	التاسعة	٢٠

١ - مجلة العيد الرابع ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .

٢ - مجلة العيد الرابع ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .

٢٠	العاشرة	١٩٧٠-١٩٦٩	تنمية المجتمع	١٠
٢٨	الحادية عشر	١٩٧١-١٩٧٠	تنمية المجتمع	١١
٢٩١	المجموع			١٢

وقد شارك في هذه الدورات وبنسب متفاوتة دارسين من مديريات السودان التسعة ومشروعي الجزيرة وسكر الجنيد إضافة إلى مجلس ريفي القصارف بلغ عددهم مائتان وواحد وتسعون دارسا. والجدول أدناه يبين عدد المنتسبين لكل جهة من هذه الجهات في كل دورة .

جدول رقم ٥ (٢٣)

أعداد المنتسبين للدورات الأساسية من كل مديرية من مديريات السودان التسعة وبعض المصالح الحكومية

مديرية	مديرية	مديرية	مديرية	مديرية	المديرية	مديرية	ترتيب الدورة
بحر الغزال	كردفان	النيل الأزرق	دارفور	كسلا	الشمالية	الخرطوم	
—	٤	٧	١	٦	٦	٣	الأولى
—	٢	٦	١	٥	٥	٢	الثانية
—	٢	١٣	—	٥	٨	—	الثالثة
—	٦	٣	٢	٥	٥	٢	الرابعة
—	٤	٨	٤	٤	٥	٢	الخامسة
١٢	—	—	—	—	—	—	السادسة
١	١	٨	١	٣	٣	٣	السابعة
—	٥	٦	٥	٨	٥	٤	الثامنة
١	٢	٩	٣	—	—	١	التاسعة
—	٢	٢	٢	٤	٥	—	العاشرة
٢	١	٤	٢	١	٣	٤	الحادية عشرة
١٦	٢٩	٦٦	٢١	٤١	٤٥	٢١	المجموع

مديرية	مديرية أعالي	مديرية	إرشاد	مجلس ريفي	سكر الجنيد	المجموع
--------	--------------	--------	-------	-----------	------------	---------

١ - وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار، شندي، سجلات المركز.

		القضارف	الجزيرة	الإستوائية	النيل	
٢٩	-	-	-	٢	-	الأولى
٢٤	-	-	-	١	٢	الثانية
٢٨	-	-	-	-	-	الثالثة
٢٣	-	-	-	-	-	الرابعة
٢٧	-	-	-	-	-	الخامسة
٣٢	-	-	-	١٣	٧	السادسة
٢٧	-	-	٢	٣	٢	السابعة
٣٣	-	-	-	-	-	الثامنة
٢٠	-	-	-	٢	٢	التاسعة
٢٠	١	-	٢	٢	-	العاشرة
٢٨	١	١	٥	٣	١	الحادية عشرة
٢٩١	٢	١	٩	٢٦	١٤	المجموع

كذلك قام المركز وفي نفس الفترة بتدريب ستمائة وتسعين عاملاً اجتماعياً في ميادين تنمية المجتمع المختلفة، مثل ضباط تعليم الكبار وضباط محو الأمية، والمرشدات، وغيرهم من الذين يعملون في حقل تنمية المجتمع. عبر دورات قصيرة امتدت بين شهر ونصف إلى ثلاثة أشهر. تم تزويدهم خلالها بفلسفة التربية الأساسية ومجالاتها وأساليبها، مع إتاحة الفرصة لهم للممارسة العملية في بيئتهم المحلية، وذلك تمشياً مع السياسات الرامية لنشر ثقافة تعليم الكبار وتنمية المجتمع في كل أنحاء السودان. ولفت الأنظار لأهمية التدريب على الإرشاد النسوي الذي عني بتوجيه وتوعية المرأة في مجالات التغذية والصحة والرعاية الاجتماعية وتعليمها القراءة والكتابة، وبعض الحرف التي يمكن أن تستفيد منها المرأة حسب ظروفها مثل الخياطة، أعمال الإبرة والسعف والزخارف.

في عام ١٩٦٠ قام المركز بتجربة رائدة وناجحة في مجال رياض الأطفال في مدينة شندي. وقد نبعت التجربة من ملاحظة تكاثر أعداد الأطفال

١ - مجلة العيد الرابع، مصدر سابق، ص ٢٤.

٢ - حاجة كاشف بدري الحركة النسائية في السودان، الخرطوم، ١٩٨٤، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط ٢، ص

الذين تتراوح أعمارهم بين سن الرابعة والسادسة من الجنسين بمدينة شندي في شوارع المدينة وأزقة حواريتها. ومن إحساس المواطنين بالحاجة إلى رعايتهم. وقد وجدت التجربة من المركز القومي لتنمية المجتمع بشندي والمجلس البلدي خير معين، ووجد الأطفال من يهتم بهم ويسعى لإبعادهم عن مضار الأوساخ ومخاطر الطرقات.

٥ - ٣ - ١ رياض الأطفال بمدينة شندي:

تعود أصول فكرة رياض الأطفال بشندي للمركز القومي لتنمية المجتمع وذلك عندما لاحظ السيد (راو) مراقب المركز في منتصف العام ١٩٦٠، مجموعات من الأطفال تحت سن المدرسة يلعبون في شوارع مدينة شندي يتعرضون لمخاطر الطريق ومضار الأوساخ بينما توجد بالمدينة ساحات مفتوحة وأشجار كبيرة وظليلة خاصة في المناطق المطلة على النيل . وقد رأى السيد (راو) أنه إذا ما أقيمت تحت ظلال تلك الأشجار الظليلة ألعاب لهؤلاء الأطفال بالإضافة إلى من يرعاهم بحنان وفقاً لأسس تربوية معلومة لكان خيراً لهؤلاء الأطفال وللمجتمع ولأسرهم .

بعد أن اختمرت الفكرة في ذهن السيد (راو) تقدم بمشروع مفصل للمجلس البلدي بشندي لإقامة روضة أطفال بمدينة شندي تحت رعاية المجلس البلدي وإشراف مركز التنمية الاجتماعية. وقد قبل المجلس البلدي الفكرة وتبناها كما وجدت الفكرة صدى طيباً لدى المواطنين، وقام المجلس بتكوين لجنة للروضة ضمت في عضويتها نفرًا من أعضاء المجلس البلدي وبعض رجال التربية والتعليم والطب .

بدأت روضة أطفال شندي نشاطها في يناير ١٩٦١م بأربعين طفلاً وطفلة تحت إدارة مشرفة تلقت تدريباً جيداً في رعاية الأطفال وفق منهج تربوي مناسب تواضع على وضعة رجال التربية، مع عدد مناسب من معدات اللعب كالمراجيح والمتوازيات الخشبية و بعض ألعاب الأطفال وكل ما يجعل منها روضة نموذجية. وكان الأطفال الملتحقين يخضعون لكشف طبي ومتابعة مستمرة بواسطة البطاقات التي تم تصميمها لهذا الغرض. وقد كان افتتاح الروضة بصورة رسمية في

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٣٧.

٢ - المصدر سابق، ص ٣٨.

١٧ أبريل ١٩٦١ على يد الفريق إبراهيم عبود إشارة واضحة على نجاح تلك التجربة و مباركة الدولة في أعلى مستوياتها للفكرة التي وجدت القبول والاستحسان من المواطنين. وبعد أن أحس المواطنون بقيمة رياض الأطفال والخدمة الجليلة التي تقدمها لأطفالهم من رعاية وتهذيب وصقل وإعداد تربوي لمرحلة التعليم الأولي . بدأت مطالباتهم تنهال على المجلس البلدي بضرورة السعي لإيجاد أماكن في رياض الأطفال لأكثر عدد ممكن من أطفالهم . و استجابة لتلك المطالب المتلاحقة اقر المجلس البلدي فتح روضتين إضافيتين بمدينة شندي ليرتفع بذلك عدد رياض الأطفال بالمدينة في عام ١٩٦٣ إلى ثلاثة رياض أطفال تضم ثلاثمائة وخمسون طفلا وطفلة . ومن مدينة شندي خرجت فكرة رياض الأطفال إلى القرى المجاورة لها وفي هذا الجانب لعب مركز التنمية الاجتماعية شندي دورا كبيرا في تدريب المرشحات المشرفات على رعاية الأطفال وبالتالي نشر الفكرة ، وذلك عبر قيامة بعقد ستة دورات تدريبية لمشرفات رياض الأطفال في الفترة من العام ١٩٦٧ وحتى العام ١٩٧٠ درب خلالها أكثر من مائتان وعشرين مرشدة خرجت عبرهم الفكرة إلى قرى قندتو، والجوير ، والنوراب ، والمغاوير ، التي شهدت قيام رياض أطفال قروية جميلة تضم عددا من الأطفال يجدون العناية والرعاية من المرشحات المشرفات على الرياض . والجدول التالي يبين دورات مرشحات رياض الأطفال التي عقدت بمركز التنمية شندي في الفترة المذكورة.

جدول رقم: ٥ - ٨

دورات مرشحات رياض الأطفال بمركز التنمية شندي في الفترة حتى العام ١٩٧١م

م	اسم الدورة	التاريخ	الدفعة	فترة الدورة	عدد الخريجات
١	مرشحات رياض أطفال	١٩٦٧	الثانية	٩٠ يوم	٤٢
٢	مرشحات رياض أطفال	١٩٦٨	الثالثة	١٨ يوم	٤١
٣	مرشحات رياض أطفال	١٩٦٩	الرابعة	٣٠ يوم	٥٥
٤	مرشحات رياض أطفال	١٩٧٠	الخامسة	٦٠ يوم	٨٢

١ - التعليم في المديرية الشمالية، مصدر سابق، ص ٣٨.

٢ - نفس المصدر، ص ٣٩.

٣ - المجلس القومي لمحو الأمية وتعليم الكبار ،المركز القومي لتدريب قيادات تعليم الكبار -شندي سجلات المركز.

٤٣	٣٠ يوم	السادسة	١٩٧١	مرشدات رياض أطفال	٥
٢٦٣	المجموع				٦

المصدر: وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار، شندي، سجلات المركز

وقد تلاحظ من رصد عدد المرشدات الدراسات بالمركز في كل دورة من هذه الدورات، أن مديرية النيل الأزرق قد أولت اهتماما كبيرا برياض الأطفال، انعكس في عدد المشاركات في هذه الدورات من المديرية، والجدول أدناه يوضح عدد المشاركات في هذه الدورات من كل مديرية من مديريات السودان المختلفة.

جدول رقم (٢٥)

عدد المشاركات في دورات رياض الأطفال من كل مديرية من مديريات السودان المختلفة

م	المديرية	الكورس الأول في الفترة من	الكورس الثاني في الفترة من ٣/٢٨ إلى ١٩٦٧/٦/٢٧ م	الكورس الثالث في الفترة من ١٩٦٨/٤/١٨	الكورس الرابع في الفترة من ٣/٢٢ إلى ١٩٦٩/٤/٢٤	الكورس الخامس في الفترة من ٣/١ إلى ١٩٧٠/٤/٥	الكورس السادس في الفترة من ٣/٢٧ إلى ١٩٧١/٤/٢٧	المجموع
١	الخرطوم	٢	٦	٩	٩	٩	١٠	٣٧
٢	النيل	١١	٦	١٣	١٣	١	٥	٣٦
٣	الشمالية	-	٦	١	١	١٥	-	٢٢
٤	كسلا	٨	-	٨	٨	٦	-	٢٢
٥	النيل الأزرق	٣	١٢	٨	٨	١٨	١١	٥٢
٦	النيل الأبيض	١	٢	٢	٢	-	٣	٨
٧	الجزيرة	٩	-	٤	٤	-	١٤	٢٧
٨	بحر الغزال	-	-	١	١	-	-	١
٩	أعالي النيل	-	١	٤	٤	٤	-	٩
١٠	الإستوائية	-	-	١	١	٥	-	٦

٠							
١	١	٣	١	١٧	-	٢٢	كردفان
١	٢	٥	٣	٧	-	١٥	دارفور
١	٣	-	-	-	-	٦	البحر الأحمر
١	٤	٤١	٥٥	٨٢	٤٣	٢٦٣	المجموع

المصدر: وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار، شندي سجلات المركز.

بالإضافة إلى الدورات التدريبية التي عقدها المركز في مجالات تنمية المجتمع ورياض الأطفال في الفترة الممتدة من العام ١٩٦٠ وحتى العام ١٩٧٣، فقد قام المركز كذلك بإنجاز كثير من الأعمال والأهداف التي سعى إلى تحقيقها خلال تلك الفترة، مثل إقامة معسكرات العمل التطوعية وعقد الحلقات الدراسية للقادة المحليين وتنظيم وفتح الفصول الثقافية للعمال. وقد كان من نتاج هذا النشاط المتواصل بالمركز أن اكتسب المركز الكثير من الخبرات في مجال العمل الاجتماعي، كما تمكن من استحداث الكثير من الطرق والأساليب والتجارب التي تلائم البيئة السودانية والريف السوداني في تنمية المجتمع، وقد سخر المركز تلك الخبرات من أجل تأهيل ضباط التنمية الاجتماعية والمجتمعات الريفية، وذلك عن طريق جعل هذه النشاطات والبرامج في متناول المجتمع الريفي عبر تدريب العناصر العاملة في مجالات تنمية المجتمعات الريفية وتنمية المجتمع.

في أغسطس ١٩٧٣ تحول مركز التنمية الاجتماعية شندي إلى مؤسسة قومية للتدريب على محو الأمية والتعليم الوظيفي للكبار، وذلك تمشيا مع سياسة الدولة التي كانت ترمي آنذاك إلى تخفيض نسبة الأمية فيها من ٨٠% إلى

١ - مجلة العبد الرابع، مصدر سابق ص ٢٤.

٢٠% خلال خمسة سنوات .وقد تزامن ذلك مع صدور قانون محو الأمية الوظيفي للكبار في عام ١٩٧٢ ،الذي جعل مسؤولية مكافحة الأمية مسؤولية قومية . وبموجب هذا القانون تم إنشاء المجلس القومي لمحو الأمية والتعليم الوظيفي للكبار الذي انبثقت عنه مجالس إقليمية في الأقاليم.وفي إطار قانون ١٩٧٢ تحددت مسؤولية وزارة التربية والتعليم ممثلة في إدارة تعليم الكبار في إعداد المناهج، وتدريب العناصر القيادية في المستويات الإدارية المختلفة.ولكي تقوم الوزارة بالاضطلاع بمسئوليتها هذه قامت بتوظيف كل قدراتها في إعداد المناهج وتدريب العناصر المطلوبة لإنجاح المشروع .وفي هذا الجانب ،فقد أسندت الوزارة مسؤولية تدريب العناصر القيادية المطلوبة إلى مركز التنمية الاجتماعية شندي الذي ظل يلعب هذا الدور إلى الآن . وقد تحددت أهداف المركز في وظيفته الجديدة هذه في الآتي :

٣

- ١/ إعداد وتدريب المدربين و العناصر القيادية في محو الأمية الوظيفي للكبار.
 - ٢/ إجراء الدراسات والبحوث في مجالات التعليم الوظيفي للكبار.
 - ٣/ القيام بجمع الإحصاءات في مجال محو الأمية والإفادة العملية منها في ميدان التدريب ومشروعات التعليم الوظيفي للكبار بهدف ترشيد العمل.
 - ٤/ إعداد وإنتاج الوسائل التعليمية.
 - ٥/ اختبار وتجريب الأساليب والطرق التعليمية المستحدثة وقياس مدى فعاليتها.
- ٥ - ٣ - ٢ التنظيم الداخلي للمركز:

للمركز تنظيم داخلي تم تصميمه بصورة دقيقة تمكنه من تخطيط وتنفيذ ومتابعة النشاطات والمشروعات التي تصب في خاتمة تحقيق الأهداف المناط بالمركز تحقيقها ، وهذا التنظيم ،يقوم على خمسة شعب هي:

(١) شعبة الإدارة:

وتتكون الشعبة من :

١ - وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار ،المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار - شندي، ص ٢ .
٢ - نفس المصدر، ص ٢ .
٣ - نفس المصدر ص ٢ .

(أ) مدير المركز (مراقب المركز)، وهو المسئول الأول عن إدارة المركز بصفة عامة ، والمناطق به وضع خطة العمل العامة للمركز مع رؤساء الشعب، ومتابعة أوجه النشاط الإداري والتنظيمي والفني للمركز ، وإعداد وتصريف الميزانية السنوية للمركز، والمصادقة على جميع القرارات التنفيذية والإدارية والمالية، والاهتمام بشئون العاملين وتنظيم أعمالهم وسجلاتهم وتقاريرهم، وإعداد التقارير الدورية والسنوية عن المركز. وقد تعاقب على منصب مدير المركز- في وظيفته الجديدة -خلال تلك الفترة من عمر المركز ،مجموعة من الإداريين المتميزين من العاملين في حقل تنمية المجتمع وتعليم الكبار.

(ب) المشرف الإداري للمركز وتتلخص مهامه في تنظيم الصادر والوارد من المكاتبات، وحفظ ملفات وسجلات المركز، المالية والإدارية .
(٢) شعبة التدريب:

وهذه الشعبة مناط بها وضع موجهات مناهج الدورات التدريبية المختلفة بالمركز ومتابعة تنفيذها، ووضع مخططات التدريب العملي والميداني، والاهتمام بشئون المتدربين بالمركز، إلى جانب وضع خطة الجدول الأسبوعي، وتوفير المواد التدريبية الموضوعية لكل مادة في المنهج، وتنظيم تقويم المتدربين بعد كل دورة ، والتعاون الاشتراكي في عمليات التقويم والتطوير بالمركز .
(٣) شعبة المواد التعليمية:

وتتلخص وظيفة هذه الشعبة في إعداد كتب المتابعة بصورة تناسب ميول واحتياجات الكبار وفق خطة إدارة التعليم بالإضافة إلى إعداد المواد التعليمية للبرامج المختلفة بالمركز، بالتنسيق مع إدارة البرامج بالأمانة العامة للمجلس القومي، وتدريب المبعوثين في الجوانب المتعلقة بالمواد التعليمية، ووضع خطط تتضمن إجراء تجارب في المواد التعليمية ، والاشتراك في عمليات التقويم والتطوير بالمركز .

(٤) شعبة الوسائل التعليمية:

١ - وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار ،المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار - شندي، ص ٣.
٢ - وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار ،المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار - شندي، ص ٤.
٣ - نفس المصدر ، ص ٤.

ويندرج تحت مهام هذه الشعبة التدريب العملي والنظري على الوسائل التعليمية وإعداد الوسائل التعليمية اللازمة للمواد التعليمية ، ووضع خطة للأبحاث والتجارب المتعلقة بالوسائل التعليمية، وإنتاج واستحداث وسائل تعليمية تناسب العمل في محو الأمية، والتعليم الوظيفي للكبار، والتعاون والإشتراك في عمليات التطوير والتقويم بالمركز .

(٥) شعبة البحوث والتقويم:

وتتلخص مهام هذه الشعبة في إجراء الدراسات والبحوث الميدانية في مجالات محو الأمية والتعليم الوظيفي للكبار، وتنسيق الأعمال الخاصة بالأبحاث والتجارب، مع وحدة البحوث والتقويم بإدارة تعليم الكبار، وجمع الإحصاءات لمحو الأمية وتوثيقها وتقويمها والاستفادة منها في ميدان التدريب، وتجريب واختبار الأساليب والطرق التعليمية المستحدثة وقياس مدى فعاليتها، وإجراء البحوث القبلية للمواد والوسائل التعليمية، والتعاون الإشتراك في عمليات التقويم والتطوير بالمركز .

٥ - ٣ - ٣ مناهج التدريب:

تباين المستويات التعليمية والمهنية للمبعوثين للتدريب بالمركز حتم على شعبة التدريب بالمركز تبني مناهج مرنة في برامج التدريب تسمح ببعض التنوع في الأهداف والمحتوى. وفي هذا الصدد فقد درجت شعبة التدريب بالمركز عند التخطيط للدورات، على تحديد الدورة المعنية واختصاصاتها من حيث الأهداف والمحتوى والأنشطة التعليمية حسب مقتضيات الحاجة، والمستويات التعليمية والمهنية للمبعوثين والمستوى الذي يتعين عليهم الوصول إليه من خلال برنامج التدريب المعني. وبناءا على ذلك فقد قام المركز بوضع موجّهات عامة يسير عليها البرنامج العام للإعداد والتدريب تتمثل في :

١/ دراسات توجيهية تعرف الدارسين بالقوانين المنظمة للعمل - الأجهزة - وخطة العمل.

١ - نفس المصدر، ص ٤.

٢ - نفس المصدر، ص ٥.

٣ - نفس المصدر، ص ٤.

٤ - وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار-شندي، سجلات المركز.

٢/ تزويد الدارسين بالمبادئ والطرق الأساسية للتعليم الوظيفي للكبار على أن يكون ذلك بطريقة علمية تتيح للدارسين المعرفة التفصيلية للمواد التعليمية المستخدمة في البرامج ودراستها وفهم أسسها.

٣/ تزويد الدارسين بالمعلومات عن الكبار واتجاهاتهم النفسية ودوافع سلوكهم وحوافز التعليم لديهم وأفضل الأساليب لتطوير سلوكهم وأنماط تفكيرهم

أنواع التدريب في المركز:

في إطار وظيفة المركز المتعلقة بتدريب وتأهيل القيادات العاملة في مجالات محو الأمية وتعليم الكبار وتنمية المجتمع يقدم المركز نوعين من التدريب هما:

١- برامج تأهيلية:

وهذه البرامج تمثل النشاط الرئيسي للمركز وتستهدف في المقام الأول العاملين الجدد الذين ينخرطون في برنامج تعليم الكبار من معلمي ومعلمات المدارس الابتدائية. وهذا البرنامج يوفر لهؤلاء المنخرطين الجدد في هذا المجال التأهيل والتدريب اللازم ليصبحوا فيما بعد مسئولين عن نشاطات محو الأمية وتعليم الكبار على مستوى المجالس الشعبية .^١

٢- برامج تجديدية:

وهذه البرامج تقدم للقيادات العاملة في ميدان تعليم الكبار وذلك بهدف تزويدهم بالخبرات الفنية الجديدة والمستحدثة بغرض تطوير أسلوب عملهم، وتزويدهم بأحدث الاتجاهات والمفاهيم والخبرات المتعلقة بمحو الأمية وتعليم الكبار . كما ينظم المركز برامج تدريبية وورش عمل وسمنارات لبرامج مختلفة في مجال محو الأمية وتعليم الكبار وفق احتياجات الميدان.

٥ — ٣ — ٣ — ١ معينات التدريب:

للاوصول للهدف الذي يرنو إليه المركز في الوصول بالعناصر التي يتولى تدريبها وتأهيلها بالصورة التي تمكنها من قيادة برامج محو الأمية وتعليم الكبار في إطار المواجهة الشاملة، كان لابد من تزويد الدارس ببعض المعينات التي

١ - نفس المصدر، ص ٥.

٢ - وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار-شندي ٥.

تعيّنه على الوصول لأهداف الدورة التدريبية بصورة مرضية وهذه المعينات تتمثل في :

١- الإمكانيات البشرية:

يضم المركز عناصر مؤهلة تأهيلا رفيعا للعمل في مجال التدريب والتأهيل والتخطيط والتقنيات التربوية، بجانب الخبرات الواسعة في مجال محو الأمية وتعليم الكبار.

٢- المكتبة :

يضم المركز بين جدرانه مكتبة غنية بالمراجع والكتب القيمة في شتى مجالات العلوم والثقافة، وتشتمل على كتب في علم النفس، والاجتماع، والتاريخ، والتربية والفلسفة، والدين ومعالجة شئون الريف. والمكتبة باعتبارها إحدى وسائل التدريب الأساسية بالمركز يرتادها المبعوثين للاطلاع والاستفادة من كتبها ومراجعتها في دراساتهم وانجاز بحوثهم .

٣- التقنيات التربوية:

كذلك يهتم المركز بالوسائل السمعية والبصرية لما لها من أهمية في التدريب، لذا فقد افرد لها مبان خاصة، تشتمل على أقسام للتصوير الفوتوغرافي، وإنتاج الملصقات، وعرض الأفلام المتحركة والثابتة، والطباعة بالباندا ، وتتوفر فيها أجهزة لعرض الأفلام الثابتة، وأجهزة التسجيل، وأدوات كاملة للتصوير، والطباعة باللوحة الحريرية. ويتولى هذا القسم تدريب المبعوثين على تشغيل مختلف الأجهزة وإنتاج واستخدام مختلف الوسائل السمعية والبصرية خلال الدورات التدريبية .

٤- القاعات :

بالمركز خمس قاعات تسع القاعة الكبرى منها مائتا شخص، وثلاثة منها تسع ستين شخصا، وقاعة مدرجة تسع خمسين شخصا.

٥-السكن:

١ - نفس المصدر، ص٩.

٢ - وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار - شندي، ص٩.

بالمركز استراحتان إحداهما للرجال وتسع ست و ثلاثين شخصاً، إضافة
لست غرف لكبار الزوار والمحاضرين تسع اثنا عشر شخصاً، بالإضافة إلى
استراحة للنساء تسع ستين دارسة. وكل السكن مؤثث ومزود بالخدمات
الضرورية.

٦- النشاطات الإضافية:

برنامج تدريب المبعوثين بالمركز لا يقتصر فقط على الدراسة النظرية
للعلوم المتعلقة بمحو الأمية و تعليم الكبار، وإنما يشتمل أيضاً على النشاطات
المصاحبة للمنهج والتي ينخرط فيها المبعوثين تحت إشراف الأساتذة
المختصين. و تسهم هذه النشاطات في إعداد المبعوث إعداداً فنياً يؤهله للعمل في
المجال الاجتماعي كما تساعد على خلق روح الجماعة بينهم . وتمارس هذه
النشاطات في شكل جمعيات متعددة تشتمل على النشاطات الآتية:

أ/النشاط الرياضي.

ب/النشاط الثقافي.

ج/النشاط الترفيهي .

٧- العمل الميداني:

نظراً لأهمية التدريب الميداني في إعداد العاملين في مجالات تعليم الكبار
فقد خصصت فترة عملية مدتها أربعة أسابيع لمدة ثماني ساعات يومياً، للتدريب
الميداني يقسم خلالها المبعوثين إلى مجموعات توزع على القرى المختلفة،
يقومون فيه إقامة تامة وخلال هذه الفترة يكتسبون الخبرات وتتاح لهم الفرصة
لتطبيق الأساليب المهنية التي درسوها ويتضمن برنامج التدريب العملي القيام
بالعمليات الآتية :

أ/دراسة البيئة واستخلاص المشاكل

ب/تخطيط برنامج تعليمي لمحو الأمية وإعداد مستلزماته

١ - نفس المصدر، ص ٩.

٢ - وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار - شندي، ص ٩.

٣ - نفس المصدر ص ١٠.

ج/تنفيذ البرنامج التعليمي والتقويم

٥ - ٣ - ٤ الحياة بالمركز :

يقيم المبعوثون بالمركز في داخلية مؤتثة تأثيثا كاملا، ويمدهم المركز بالطباخين وعمال السفره وأدواتها وهم ينظمون حياتهم ومعيشتهم بأنفسهم، عن طريق لجان منتخبة. وبالداخلية ناد اجتماعي مزود بكثير من العاب التسلية يقضي فيه المبعوثين بعضا من أوقات فراغهم ويشاركهم الأساتذة أياما معينة من أيام الأسبوع.

٥ - ٣ - ٥ التعاون مع المؤسسات الأخرى:

إن طبيعة عمل بالمركز تتطلب تضافر الجهود وتكاملها مع المؤسسات ذات الصلة الوثيقة بعملة، ولهذا فقد ظل المركز يسعى للتعاون مع كل المؤسسات بالمنطقة وذلك لتنسيق العمل وتوحيد الجهود وتبادل الخبرات والاستفادة الكاملة من التجارب والإمكانات المتاحة وتسخيرها لخدمة أهداف المركز . وللمركز علاقات إقليمية ودولية بمنظمة اليونسكو، وصندوق الأمم المتحدة للسكان، ومنظمة هانس زايدل الألمانية، ومنظمة الخدمات الجامعية البريطانية، واتحاد تعليم الكبار الألماني واتحاد تعليم الكبار الكندي، واتحاد تعليم الكبار الأفريقي، والمنظمة العربية للتربية والعلوم، وعلاقات متميزة بالجامعات السودانية، خاصة جامعات الخرطوم وجوبا وشندي .

الخاتمة

بعد الرجوع إلى مصادر البحث تبين أن انتشار التعليم الديني في منطقة شندي قد ارتبط بانتشار الإسلام والثقافة العربية في منطقة حوض النيل الأوسط، التي شهدت في القرن السادس عشر الميلادي حركة علمية ساهمت في تدعيم

١ - وزارة التربية، معهد التربية الابتدائي شندي، مجلة عيد التعليم الرابع ١٩٧٧، ص ٢٦ و ٢٧.

٢ - المجلس القومي لمحو الأمية وتعليم الكبار، المركز القومي لتدريب قيادات تعليم الكبار - شندي، سجلات المركز.

الثقافة العربية والإسلامية، وعلى هذا فإن المنطقة تُعدُّ جزءاً أصيلاً من الحركة العلمية التي انتظمت السودان في القرن السابع عشر الميلادي و القرون التي تلتها، من خلال المراكز العلمية التي قامت فيها الثقافة العربية والإسلامية.

ظهرت في منطقة شندي بعض المراكز العلمية التي اقتصر دورها على تعليم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في القرن السادس عشر الميلادي، و تطوّرت إلى مدارس للعلم أصابت شهرة عظيمة في السودان، و ظلّت تشكل الجهاز التعليمي الوحيد الذي كان يضطلع بنشر المعرفة في المنطقة حتى العقد الثاني من القرن العشرين .

في مطلع الربع الثاني من القرن العشرين بدأت مصلحة المعارف تغيير في نظام الخلاوى القرآنية عن طريق إدخال بعض المناهج المشابهة لمناهج المدارس الأولية فيها، فظهر نمط من الخلاوى أُطلق عليها اسم الخلاوى النظامية، وقد ظهر هذا النوع من الخلاوى في منطقة شندي في العام ١٩٢٤م، ومنذ ذلك التاريخ ظلّت الخلاوى النظامية في منطقة شندي في تزايد مُستمر وذلك خصماً على الخلاوى القرآنية التي تقلّصت أعدادها وأعداد منسوبيها.

على الرغم من أن التعليم النظامي دخل إلى منطقة شندي في مطلع العقد الثاني من القرن العشرين إلا أن منطقة شندي - باستثناء مدينة شندي - كانت بعيدة تماماً عن هذا النمط التعليمي و ظلّت تعتمد على مؤسساتها التعليمية التقليدية ولم يتغيّر هذا الواقع إلا في نهاية العقد الرابع من القرن العشرين .

بقيام مدرسة كبوشية الأولية للبنين في عام ١٩٣٧م تضاعفت أعداد التلاميذ المقبولين سنوياً بالمدارس الأولية في منطقة شندي من أربعين طالباً في السنة إلى أكثر من ثمانين طالباً مما يشير إلى أن التعليم الأولي في منطقة شندي حتى ذلك الوقت لم يكن مُتاحاً للسواد الأعظم من الفتيان ممن هم في سن التعليم.

جاء تعليم البنات الأولي في منطقة شندي متأخراً بعض الشيء مُقارنة بتعليم البنين، وظهرت أول مدرسة أولية للبنات في المنطقة في العام ١٩٣٠م في مدينة شندي، ولعل السبب في ذلك يعود فيما يبدو لعدم تحمُّس الحكومة لهذا النوع من التعليم في ذلك الوقت بسبب طبيعة المجتمع المحافظ بالمنطقة .ويعتبر قيام هذه المدرسة في ذلك الوقت محاولة جريئة من القائمين على أمر التعليم بمصلحة

المعارف لنشر تعليم البنات في هذه المنطقة المحافظة، حيث أُغلقت المدرسة في العام ١٩٣٥م ثم أُعيد فتحها مرة أخرى في عام ١٩٤٩م بعد انتشار تعليم البنات في المديرية الشمالية وتفهم المجتمع المحلي لمبررات وجوده .

في الفترة من العام ١٩١٢م وحتى العام ١٩٣٧م ، تمركز التعليم في منطقة شندي في مدينة شندي من خلال تمركز المؤسسات التعليمية الحديثة المتنوعة فيها خلال تلك الحقبة التي كانت فيها مدينة شندي هي الحد الجنوبي لانتشار التعليم النظامي بالمديرية الشمالية حتى مطلع أربعينات القرن الماضي.

نتيجة للسياسة التعليمية الجديدة التي تبنتها الحكومة شهدت الفترة الممتدة بين العامين ١٩٣٨م و١٩٤٧م تطورات مُتسارعة في مجال التعليم في منطقة شندي، تمثلت في قيام مجموعة من المدارس في المنطقة شكّلت إضافة حقيقية للتعليم عبر زيادة أعداد المدارس في المنطقة، وبالتالي زيادة أعداد الطلاب والطالبات الذين تستوعبهم هذه المدارس، ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن هذه السياسة قد وصلت بالتعليم في منطقة شندي إلى قرية قندتو في العام ١٩٤٧م.

أما فيما يتعلق بالتعليم الأوسط في منطقة شندي فقد أنشئت مدرسة شندي الريفية الوسطى بمدينة شندي في العام ١٩٤٤م و كان قيامها تطوراً مهماً في مجال التعليم في منطقة شندي .

شهدت الفترة الممتدة بين العامين ١٩٤٩م و١٩٥٥م توسعاً ملحوظاً في التعليم الأولي بمنطقة شندي كان بدايةً لانتشار التعليم في القرى المحيطة بمدينة شندي. أما الفترة الممتدة من ١٩٣٨م وحتى عام ١٩٥٥م فقد شهدت زيادة مُقدّرة في مؤسسات التعليم النظامي في مختلف المراحل في جميع أنحاء منطقة شندي بنسبة زيادة قدرها ٣٠.٠% في مدارس البنين الأولية وزيادة قدرها ٢٠.٠% في مدارس البنات الأولية، الأمر الذي أدى بدوره إلى ارتفاع أعداد المنتسبين لتلك المدارس من الجنسين تبعاً لهذه الزيادة في عدد المدارس، كما تميّزت هذه الفترة أيضاً بظهور مؤسسات التعليم النظامي الأوسط و المعاهد المتخصصة والتعليم الأهلي الأوسط لأول مرة في المنطقة.

في عام ١٩٥٥م شهدت منطقة شندي توسعاً غير مسبق في التعليم الأولي في المنطقة بأكملها حمل في ركابه المؤسسات التعليمية الحديثة - ولأول مرة - إلى مناطق العرب الرُّحَل، الواقعة على الأطراف الشرقية من منطقة شندي والمُتاخمة لحدود منطقة البطانة، وإلى بعض القرى الواقعة إلى الجنوب من قرية قندتو جنوب مدينة شندي، التي لم تشهد قيام أي مؤسسة تعليمية حتى مطلع النصف الثاني من القرن العشرين، وكانت تعتمد في السابق على المؤسسات التعليمية الموجودة بمدينة شندي وأصبح النظام التعليمي بذلك يلامس تطلعات المجتمعات السودانية في المدن والقرى التي لم تكن قد نالت حظاً منه.

كان إنشاء معهد لإعداد المعلمين بمدينة شندي في العام ١٩٥٢م لسد حاجة البلاد من مُدرسي المدارس الأولية نُقْلةً كُبرى في تاريخ التعليم بمنطقة شندي، وذلك عبر احتضانها لهذه المؤسسة التعليمية المتفردة والتي ظَلَّت تعمل لخدمة التعليم في السودان لمدة أربعين عاماً.

كذلك شهدت مدينة شندي في مطلع العقد السابع من القرن العشرين، قيام مؤسسة تعليمية فريدة من نوعها تسعى لترقية وتطوير المجتمعات الريفية في الريف السوداني، وذلك عن طريق استقطاب مجموعات العاملين في حقل تنمية المجتمع، وإخضاعهم لدورات تدريبية تؤهلهم للعمل بالريف السوداني، لمعاونة تلك المجتمعات على تحسين مستواها المعيشي، وتوجيهها للاستفادة القصوى من الخدمات التي تقدمها لهم المصالح الحكومية الموجودة في مناطقهم.

تميزت الفترة الممتدة من العام ١٩٥٦م وحتى العام ١٩٦٩م بالاهتمام الكبير بمشروعات التوسُّع التعليمي في جميع أنحاء السودان وإصلاح نُظم التعليم والسُّلم التعليمي، أما في منطقة شندي فقد تميَّزت هذه الحقبة بانتهاء الازدواجية في التعليم الأولي والانتشار الكثيف للمؤسسات التعليمية، بما في ذلك المدارس الثانوية التي ظهرت في هذه الحقبة فقط في مدينة شندي على مستوى المنطقة .
عموماً وبنهاية العام ١٩٦٩م كان التعليم الأولي للبنين والبنات قد غطَّى مُعظم أنحاء المنطقة، خاصة تعليم البنات الذي تعرَّثت مسيرته بعض الشيء في المنطقة ثم انطلق مرة أخرى حتى بلغ تعداد مؤسساته في مطلع العام ١٩٦٩م بمنطقة

شندي، ثلاثة وعشرون مدرسة أولية وست مدارس وسطى مُوزعة توزيعاً دقيقاً
على أجزاء منطقة شندي الشمالية والوسطى والجنوبية خاصة المناطق الحضرية
على شاطئ النيل.

أولاً: النتائج

- ١- لم تكن منطقة شندي خالية من المراكز العلمية في نهاية القرن السادس عشر الميلادي و مطلع القرن السابع عشر الميلادي.
- ٢- شاركت منطقة شندي عبر مراكزها العلمية في الحركة العلمية التي انتظمت السودان في القرن السابع عشر الميلادي، وأصبحت في هذه الفترة قبلة للعديد من العلماء والفقهاء الذين قامت على أيديهم فيها مراكز علمية ذائعة الصيت.
- ٣- كان مطلع العقد الثاني من القرن العشرين هو الباب الذي ولج منه التعليم النظامي الحديث لأول مرة إلى منطقة شندي.
- ٤- لم تتمكّن مؤسسات التعليم النظامي في منطقة شندي في النصف الأول من القرن العشرين من ملء كل المساحات التي كان يشغلها التعليم الديني.
- ٥- ظلّت مدينة شندي تستأثر بمفردها بمؤسسات التعليم الحديث في المنطقة حتى العام ١٩٣٧م.
- ٦- تميزت الفترة الممتدة من العام ١٩١٢م وحتى العام ١٩٤٠م من تاريخ انتشار التعليم النظامي في منطقة شندي بالبطء الشديد ومحدودية الانتشار الجغرافي، بينما تميزت الفترة الممتدة من العام ١٩٥٦م وحتى العام ١٩٦٨م بالانتشار الواسع والسريع لمؤسسات التعليم النظامي في جميع أنحاء منطقة شندي.
- ٧- تعتبر مدينة شندي من المدن الرائدة في ميدان تعليم البنات في مراحلها المختلفة بالمديرية الشمالية.
- ٨- تمتعت مدينة شندي بأكبر قدر من المؤسسات التعليمية في المراحل المختلفة على مستوى منطقة شندي.
- ٩- ساهم المجتمع المحلي في منطقة شندي في نشر التعليم في المنطقة من خلال السعي لدى القائمين بأمر التعليم في البلاد لإنشاء المدارس الحكومية، وقيامه بإنشاء عدد من المدارس الأهلية خاصة في المرحلة الوسطى.
- ١٠- نالت جماعات العرب الرُّحَل في منطقة شندي قدراً كبيراً من اهتمام الحكومة في مجال التعليم خاصة في حقبة الحُكم العسكري الأول في السودان.

١١- اضطلعت منطقة شندي بدور مهم ومُقدّر في مشروعات التوسع التعليمي وتنمية المجتمعات الريفية وتعليم الكبار في البلاد وذلك من خلال احتضانها لمعهد التربية ومركز التنمية الاجتماعية.

١٢- تميزت الفترة الممتدة من العام ١٩٥٦م وحتى العام ١٩٦٩م بالانتشار الكثيف للمؤسسات التعليمية في منطقة شندي، واكتمال حلقات السُّلم التعليمي فيها.

١٣- قامت المدارس الثانوية للبنات والبنين في منطقة شندي حتى مطلع العام ١٩٦٩م فقط في مدينة شندي .

١٤- شهد العام ١٩٦٩م انتهاء الازدواجية في التعليم الأولي بمنطقة شندي.

ثانياً: التوصيات

١- ضرورة الاهتمام بدراسة القضايا المتعلقة بالتعليم وتطوره باعتباره من أهم مُرتكزات البناء الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للدول.

٢- القيام بدراسة مماثلة عن تاريخ التعليم في منطقة شندي على الضفة الغربية لنهر النيل(محلّية المتممة حالياً)، حتى تكتمل الصورة بالنسبة لانتشار التعليم فيما كان يُعرف بالمنطقة الجنوبية من المديرية الشمالية أو مركز شندي .

٣- توجيه عناية الباحثين للاهتمام بدراسة بعض الجوانب المتعلقة بالموضوع والتي رُبما تكون الدراسة قد مسّتها مساً خفيفاً.

٤- توجيه إدارات التعليم والمناطق التعليمية على مستوى المحليات والولايات بالتقيد بنظام الأرشيف أو إنشاء قاعدة بيانات تهتم بتسجيل وحفظ جميع البيانات المتعلقة بالتعليم وتطوره على مستوى المحلية أو الولاية.

٥- حتّى جميع المدارس في المراحل المختلفة على تبني إنشاء سجل دائم للمدرسة يحتوى على البيانات الأساسية للمدرسة ويضمن فيه ما يعتري المدرسة من تطوّر بين الفينة والأخرى.

الملاحق

۲۵.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

(١) المصادر غير المنشورة

(أ) الوثائق والمحفوظات بدار الوثائق القومية بالخرطوم

أولاً: ملفات وزارة التربية والتعليم	
(أ) تربية وتعليم (١)	
٥/١/١	
٦٠/١٠/١	
٩/١٢/١	
٩٤/١٢/١	
١٤١/١٦/١	
١٥٠/١٧/١	
١٧٢/٢٠/١	
١٧٩/١٢/١	
١٣٨/٣٨/١	
١٢/٣/٧	
٢٠/٥/٧	
٣٤/٦/٩	
٦٠/١٠/٩	
١٢/٣/١٢	
(ب) تربية وتعليم ٢	

٩٧/٢٤/٥	
١٠١/٢٢/ب١٧	
١٥٦/٣٥/ب١٧	
(ج) تربية وتعليم ٣	
٨٤٢/١٨٨/١/٣	
ثانياً: المتنوعات	
١٢١/٨/١	
ثالثاً: ملفات المديرية الشمالية:	
٨٠/١٤/١	
٨٥/١٥/١	
٦٢٤/٦٠/٢	

(ب) التقارير المصلحية غير المنشورة:

إدارة امتحانات السودان، نتيجة امتحانات السنة الرابعة بمعهد التربية شندي للسنوات ١٩٩٤، ١٩٩٣، ١٩٩٢، ١٩٩١، ١٩٩٠، ١٩٨٩.	
صلاح عمر الصادق، تقرير عن العمل الميداني لقسم الآثار، جامعة شندي، كلية الآداب قسم الآثار، يونيو ٢٠٠٠،	
المجلس القومي لمحو الأمية وتعليم الكبار، المركز القومي لتدريب قيادات تعليم الكبار - شندي، سجلات المركز	
مكتب التعليم، إدارة تعليم مرحلة الأساس، شندي، سجلات المكتب	
وزارة التربية والتعليم، معهد التربية شندي، سجلات المعهد، كلية التربية جامعته شندي، مركز احمد إدريس الأرياب	
وزارة التربية والتعليم، إدارة تعليم الكبار، المركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار، شندي، سجلات المركز	

(ج) الرسائل الجامعية غير المنشورة

جعفر محمد دياب، تاريخ الإدارة الأهلية بمنطقة الجعليين ١٨٩٨م-١٩٥٥م، جامعة الخرطوم، قسم التاريخ، رسالة دكتوراة غير منشورة، ص ١٦.	
أندرس بيركلو، إرهابات الثورة المهدية والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للجعليين وجيرانهم ١٨٢١-١٨٨٥م. ترجمة عادل عبد الماجد فرج، جامعة الخرطوم، ١٩٩٥م، رسالة ماجستير غير منشورة. ص ١٦١.	
رتشارد هيل، على تخوم العالم الإسلامي، ترجمة عبد العظيم أحمد عكاشة، جامعة الخرطوم، قسم الترجمة، ١٩٨٤م، رسالة ماجستير غير منشورة.	
محمد الحسن أحمد الحفيان، الأسباب الاقتصادية والاجتماعية لضعف التسجيل والتسرب بمدارس مرحلة الأساس محلية ريفي جنوب شندي والآثار المترتبة على ذلك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة شندي، ٢٠٠٣م.	

(٢) المصادر المنشورة

(أ) التقارير المصلحية المنشورة

أولاً: التقارير المنشورة بدار الوثائق القومية

٣٤/٣/٦	
٣٦/٤/٦	
٦٧٧/٤/٦	
١٢٩٩/٦/٦	
٢٠١/١٨/٦	
٢٠٦/١٨/٦	
١٠٥٦/٥٨/٦	
١٠٥٧/٥٨/٦	
١٠٥٩/٥٨/٦	
١٢٠٣/٨٥/٦	
١٤٠٣/٨٥/٦	

ثانياً: التقارير المصاحية المنشورة بالمصالح الحكومية

إدارة المديرية الشمالية، الدامر، مرشد المديرية الشمالية، أبريل ١٩٧٣م.
حكومة السودان، وزارة المعارف، مقترحات لتوسيع وتحسين نظم التعليم في مديريات السودان الشمالية في الفترة ما بين ١٩٤٨م-١٩٥٦م.
وزارة التربية والتعليم، التعليم في المديرية الشمالية. ط١؛ الخرطوم: المطبعة الحكومية، ١٩٦٤م.

(ب) المصادر باللغة العربية:

أحمد بن الحاج أبو علي، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية، تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل. ط١؛ الخرطوم: الدار السودانية للكتب، ٢٠٠٩م.
الزبير ود ضوه وآخرون، تاريخ ملوك السودان، تحقيق مكي شبكية، ط١؛ الخرطوم، ١٩٤٧م.
محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل محمد. ط٣؛ ١٩٨٥م.

(ج) المصادر المعرّبة

جون لويس بوكهارت، رحلات بوكهارت في بلاد النوبة والسودان. ترجمة فؤاد دندراوس، ط١؛ القاهرة: مطبعة المعرفة، ١٩٥٩م.

ثانياً: المراجع

(١) المراجع باللغة العربية

إبراهيم الحارذلو، الرباط الثقافي بين مصر والسودان. ط١؛ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ١٩٧٧م.
إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر. ط١؛ القاهرة: منشأة المعارف، ١٣١٩م.
أحمد سيد أحمد، رفاعة رافع الطهطاوي في السودان. ط١؛ ١٩٧٣م.
أحمد الحسن سمساعة وآخرون، تاريخ المكنية وخالوى الشيخ حامد ابو عصا. ط١؛ الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٩م.
جعفر حامد البشير، مملكة الجعليين الكبرى. ط٢؛ الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

حسن أحمد إبراهيم، رحلة محمد علي باشا إلى السودان ١٨٣٨-١٨٣٩م. ط١؛ الخرطوم، ١٩٨٠م.
حمدنا الله مصطفى حسن، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان ١٨٤١-١٨٨١م. ط١؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م.
د. عبد العزيز أمين عبد المجيد، التربية في السودان في القرن التاسع عشر والأسس النفسية والاجتماعية التي قامت عليها. ط١؛ القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٤٩م.
زاهر رياض، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال ١٨٢٠-١٩٥٣م. ط١؛ القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦١م.
زكي البحيري، السودان تحت الحكم الإنجليزي المصري. ط١؛ القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٩م.
سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية القديمة. ط١؛ الخرطوم: دار هایل للطباعة والنشر والتغليف، ١٩٩٩م.
سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية القديمة. ط١؛ الخرطوم: دار هایل للطباعة والنشر والتغليف، ١٩٩٩م.
سعاد عبد العزيز أحمد، قضايا التعليم الأهلي في السودان. ط١؛ الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٩٠م.
الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط. ط١؛ القاهرة، ١٩٧٣م.
شوقي الجمل، تاريخ السودان وادي النيل. ط١؛ القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦٩م.
شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم. ط١؛ القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.
صلاح الدين الشامي، السودان دراسة جغرافية. ط١؛ القاهرة: منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٢م.
صلاح الدين الشامي، الموانئ السودانية. ط١؛ القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦١م.
ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث. ط٣؛ الخرطوم: الدار السودانية، ١٩٨٨م.
الطبيب محمد الطيب، المسيد. ط١؛ الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
عثمان حمد الله، سهم الأرحام في السودان. دار العهد الجديد للطباعة.
عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان. ط٢؛ الخرطوم: أفروكراف للطباعة، ١٩٩٤م.
الفحل الفكي الطاهر، تاريخ وأصول العرب في السودان. ط١؛ الخرطوم: دار الطابع العربي، ١٩٧٦م.
الفكي الأمين الفكي يوسف، السادة الحجازة العمراناب بمدينة شندي. ط١؛ شندي، ١٩٩٨م.
محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهديّة. ط٣؛ الخرطوم، ١٩٨٩م.
محمد إبراهيم بكر، المدخل إلى تاريخ السودان القديم. ط١؛ القاهرة: المطبعة الحديثة بمصر، ١٩٦٨م.
محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠-١٩٥٥م. ط٢؛ الخرطوم: مركز عب الكريم ميرغني، ١٩٩٢م.
محمد سعيد معروف ومحمود محمد علي نمر، الجعليون، الخرطوم. ط٢؛ الخرطوم: دار السودان الحديث للطباعة والنشر. ١٩٤٧م.
محمد صالح محي الدين، مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية. ط١؛ الخرطوم: الدار السودانية للكتب، ١٩٧٢م.
محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقيانله. ط١؛ القاهرة، ١٩٥٣م.
محمد فؤاد شكري، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٩٩م. ط٢؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م.
محمد فؤاد شكري، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٩٩م. ط٢؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م.
محمد محبوب مالك، رواد الثقافة الإسلامية في جزيرة الفونج. ط١؛ بيروت: دار الجبل، ١٩٩٤م.
محمد ود ضيف الله، الطبقات، تحقيق يوسف فضل حسن. ط١؛ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ١٩٧١م.
مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، ط٢؛ القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦٠م.

معتصم أحمد الحاج، التعليم الأهلي في أمدردمان. ط١؛ الخرطوم: مطبعة البشير، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، ٢٠٠٢م.	
المعتصم أحمد الحاج، حاضر مؤتمر الخريجين ١٩٣٩م-١٩٤٧م. ط١؛ أمدردمان: شركة مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٩م.	
مكي شبكية، السودان عبر القرون. ط١؛ بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٤م.	
مكي شبكية، تاريخ شعوب وادي النيل. ط١؛ بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٥م.	
ناصر السيد، تاريخ السياسة والتعليم في السودان. ط٢؛ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.	
نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان. ط١؛ بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٢م.	
وحسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، دور الصوفية في ميدان التربية والتعليم. ط١؛ الخرطوم: مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، ٢٠٠٥م.	
يوسف فضل حسن وآخرون، من معالم تاريخ الإسلام في السودان. ط١؛ الخرطوم: دار الفطر للطباعة والنشر، بدون تاريخ.	

(٢) المراجع العربية

الآن مورهد، النيل الأزرق. ط١؛ تعريب الدكتور إبراهيم عباس، بيروت: دار الثقافة، ١٩٩٦م.	
ب.م. هولت، المهدي في السودان، ترجمة د. نبيل عيد. ط١؛ بغداد: دار الفكر العربي، ١٩٨٧م.	
شارلس بونيه وأحمد محمد علي الحاتم، كرمة مملكة النوبة، ترجمة صلاح الدين محمد احمد. ط١؛ الخرطوم: شركة دار الخرطوم للطباعة.	
محمد عمر بشير، تطور التعليم في السودان ١٨٩٨-١٩٥٦م، ترجمة هنري رياض وآخرون، ط١؛ بيروت: دار الجيل، ١٩٦٨م.	
هارولد مكمايكل، السودان، ترجمة محمود صالح عثمان صالح. ط١؛ الخرطوم: مركز عبد الكريم ميرغني، ٢٠٠٦م.	
ونستون تشرشل، حرب النهر، ترجمة عبد الله محمد سليمان. ط١؛ الخرطوم: دار جامعة القرآن الكريم، ١٩٩٩م.	

(٣) المراجع باللغات الأجنبية

Arkell. A J. A history of the sudan from the earliest time to 1821. London. 1900. published by the Athlone press. First Edition. P.174	
Hill Richard, Egypt in the Sudan, 1820-1881, London, 1958. P.16	
Hillelson. David Reubeni, an early visitor to Sennar. SNR. Vol. 16-1933.	
Hillelson. David Reubeni, an early visitor to Sennarm SNR. Vol.16.1933.	
Macmichael H.A. A history of the Arabs in the Sudan. London. 1921. P. 233	
O.G.Graw ford. The Fong Kingdom of Sinnar, 1951, Published by John .Bellows L T D P. 58	
Yousif Fadl Hassan, the Arab and the Sudan, Khartoum 1967. Edinburg university Press. First Edition P. 146	

ثالثاً: الصحف والمجلات والدوريات

جريدة النيل، العدد رقم ٨٤ بتاريخ الأحد ١٤/٩/١٩٤١م.	
جريدة الانتباهة، العدد رقم ١٤٩٨، الجمعة ٢٩/١٠/٢٠١٠م.	
مجلة العيد الرابع والعشرون لمعهد التربية الابتدائي بشندي، ١٩٧٦م.	
مجلة العيد الثامن والعشرون لمعهد التربية شندي	

رابعاً: الشبكة العنكبوتية

--	--

--	--

خامساً: المقابلات الشخصية

مقابلة شخصية مع الشيخ محمد عبد الله بقرية المسيكتاب شمال في خلوة الفكي عثمان في ٢٠١١/١/١٨ .	
مقابلة مع الأستاذ أحمد علي المبارك من أوائل الذين درسوا بمدرسة كبوشية الأولية بمكتبه بجامعة شندي في ٢٠١٠/١٠/١٥ م.	
مقابلة مع الأستاذ عباس حسين – أستاذ مؤسس بالمدرسة بمنزله بشندي في ٢٠١٠/١٠/٢٦ م.	
مقابلة مع الأستاذ عباس حسين خريج معهد تدريب المعلمين شندي ١٩٥٧، بمنزلة في ٢٠١٠/١٢/١١ م.	
مقابلة مع الأستاذ عبد الرحيم محمد ابراهيم لوكا، أستاذ بالمعهد بمنزلة في ٢٠١١/١١/٢ م.	
مقابلة مع الأستاذ علي عبد الرحمن ، دفعة العام ١٩٥٢ بمدرسة شندي الريفية باستراحة الجامعة في ٢٠٠٩/٤/١٤ م.	
مقابلة مع الأستاذ عوض عبد الله أحمد، الأستاذ بقسم تدريب المعلمين بمعهد التربية شندي ١٩٧٥-١٩٩٤، بمنزلة في ٢٠١١/١٠/٢٧ م.	
مقابلة مع الأستاذ محمد علي فضل مدير مدرسة التجربة بالشقالو ١٩٦٣ بمنزلة بمدينة شندي في ٢٠١٠/١١/٣٠ م.	
مقابلة مع بشير جميل عضو لجنة مؤتمر الخريجين بشندي من مواليد ١٩١٨م بمنزله بشندي مربع ٩ في ٢٠٠٩/٧/١٩ م.	
مقابلة مع محمد البشير محمد عثمان من كبار رجالات التعليم بشندي والمهتمين بالتاريخ بمدينة شندي في ٢٠٠٨/١/١٥م مقابلة مع محمد البشير محمد عثمان من كبار رجالات التعليم بشندي والمهتمين بالتاريخ بمدينة شندي في ٢٠٠٨/١/١٥ م.	